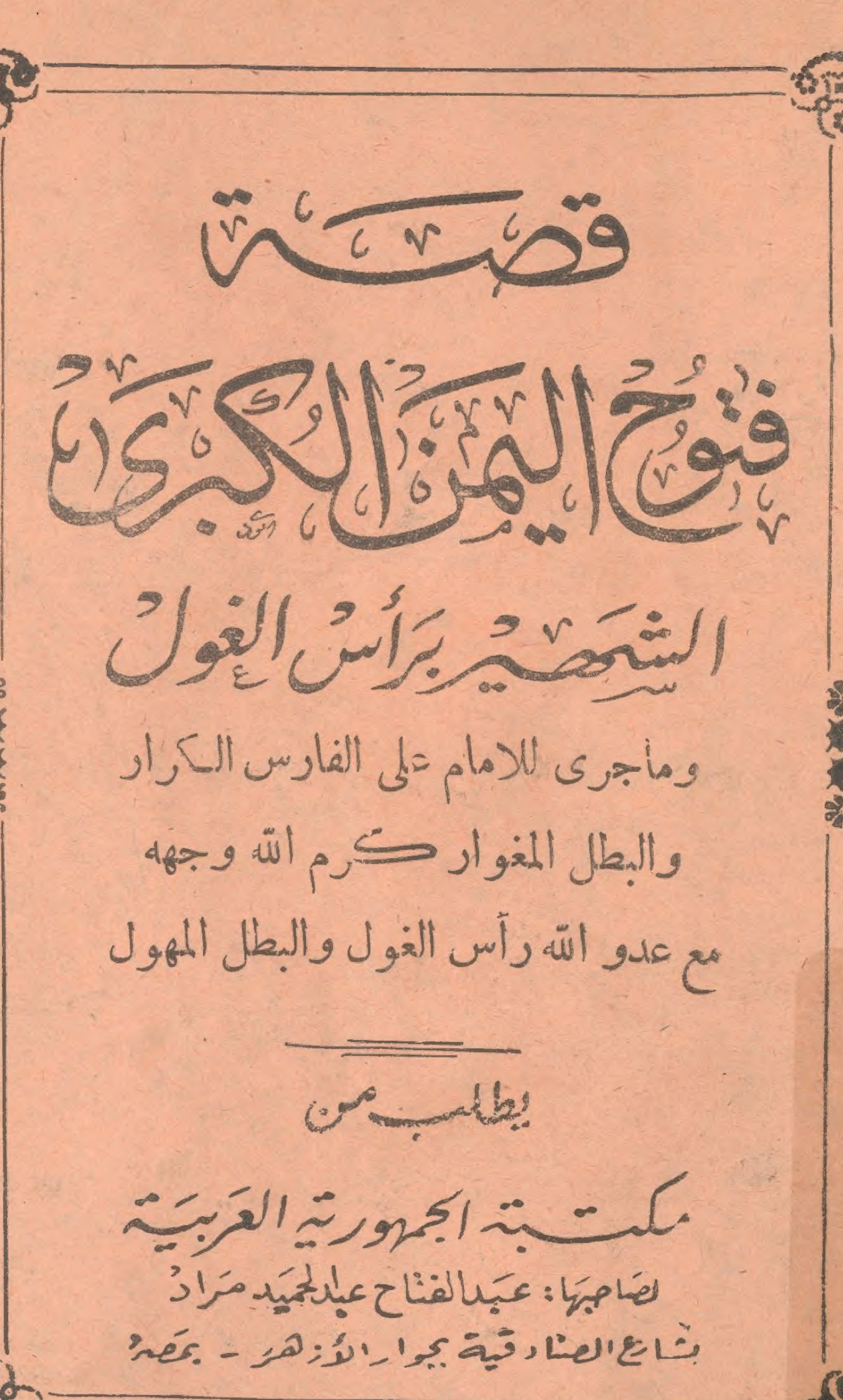


قصة

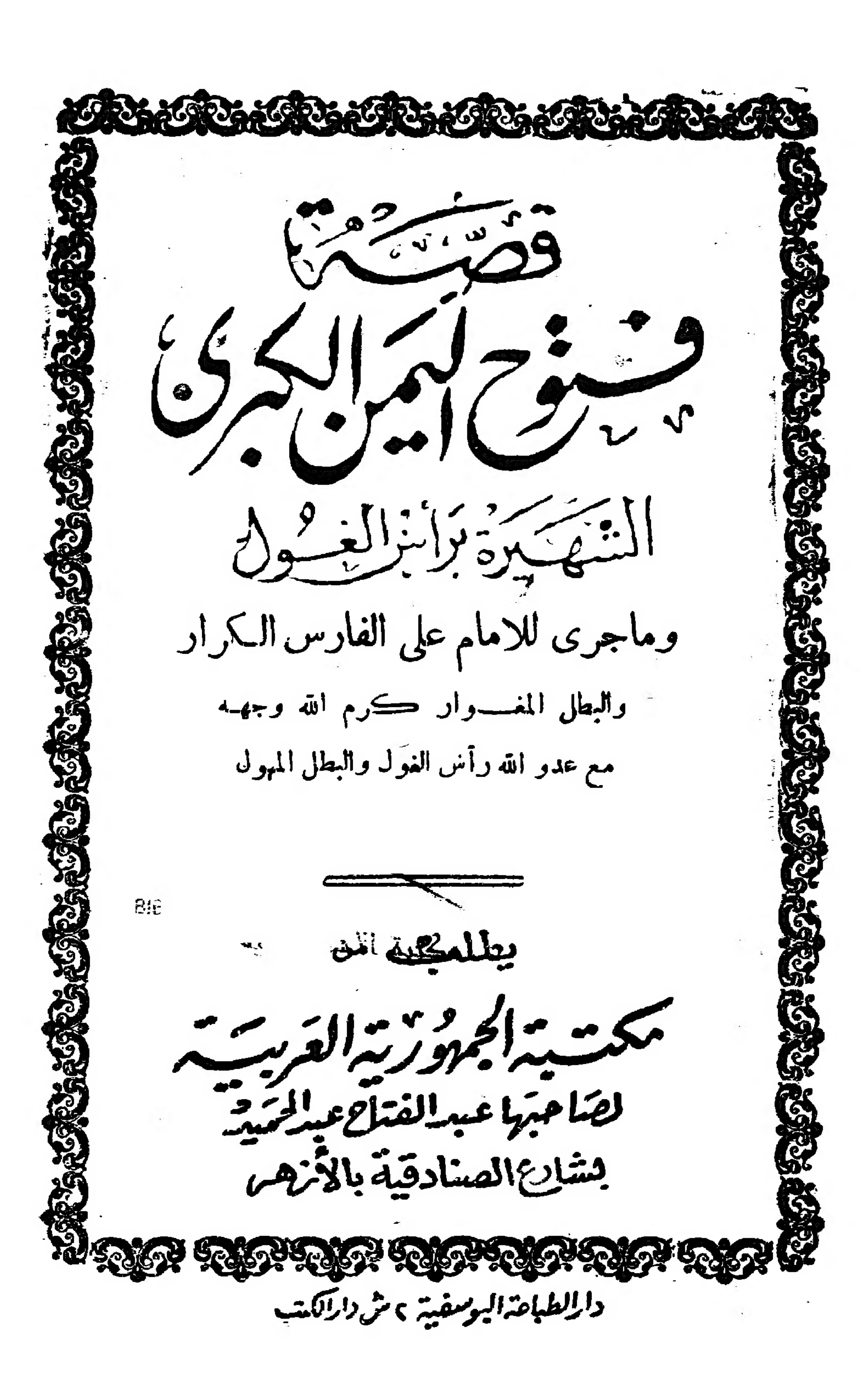
فتوح اليمن الكبرى

الشهير برأس الغول

وماجرى للامام على الفارس الكرار
والبطل المغوار كرم الله وجهه
مع عدو الله رأس الغول والبطل المهول

يطلب من

مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد
بشارع الصنادقية بجوار الأزهر - بمصر



قصة

فتوح اليمن الكبرى

الشهيرة برأس الغول

وماجرى للامام على الفارس الكرار

والبطل المغوار كرم الله وجهه

مع عدو الله رأس الغول والبطل المهول

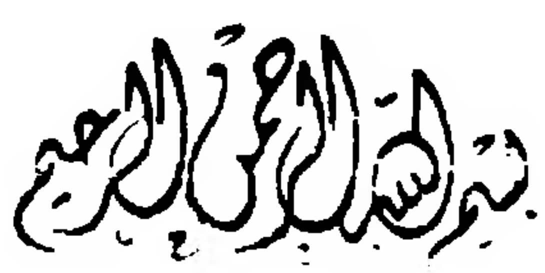
يطلب من

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد

بشارع الصنادقية بالأزهر

دار الطباعة اليوسفية ٢ ش دار الكتب



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد فهذا كتاب فتوح اليمن المعروف برأس الغول عن سيدنا الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه ونفعنا به آمين قال حدثنا محمد بن إسحاق الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن الأعمش حديثاً فى الصحيح أن النبى ﷺ صلى صلاة الصبح ذات يوم من الأيام وأسند ظهره إلى المحراب ووجهه كالبدر ليلة تمامه والناس من حوله مجتمعون وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار حتى اسود منه ضوء النهار وانكشف بعد ساعة وبان للناظرين فتأملوه وإذا به انكشف عن عشرة فوارس كأنهن الليوث العوابس وفى مقدمتهم عجوز قد أنحلها السير فى البر الأقفر لما عليها من الدهور قد عبر قال ولم يزالوا على ماهم عليه من المسير يقطعون الأرض فى طولها والعرض إلى ان وصلوا إلى مسجد النبى ﷺ فأناخوا مطاياهم وحطوا رحالهم وقد نزلت العجوز وسارت إلى النبى ﷺ وأرادت الدخول وإذا قد بان منها أمر عجيب وهى أربعة عشر ذؤابة من الشعر الأجعد والثياب التى عليها ملطخة بالدم الأسود ثم أن العجوز تأملت ذات اليمين وذات اليسار فلم تر أحسن ولا أبهى ولا أجمل من النبى الأواب الناطق بالصواب وقد علمت أنه هو سيد البشر فأتت إلى بين يديه وقالت هل هو سيدهم أم غيره وهى بين الحذر والخوف تقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

أهل المكارم والصفا خير الورى	ومن ساد فى الدنيا بفضل محمد
فأيكم المبعوث من آل هاشم	نبى زكى فى الورى خير مرشدى

قال فلما فرغت العجوز من شعرها تجاسرت وقالت أيكم النبى العظيم والرسول الكريم فقالوا لها الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ويلك أما تنظرين إلى البدر الطالع والنور الساطع محمد ﷺ من قد علا بالسكينة والوقار من ربه الملك الغفار أما تنظرين إلى أنوار المصطفى وهى طالعة بلا صفى لائحة متصلة إلى عنان السماء وقد فضله مولاه على جميع الأمم قال فلما سمعت العجوز من الصحابة ذلك الكلام ازداد يقينها واطمأن قلبها وقد التفتت إليه وأرادت أن تحقق النظر فما استطاعت أن تحقق نظرها إلى تلك الأنوار الباهية وفى الحال خرت إلى الأرض مغشية هذا وقد انكشف منها عن تلك الذوائب المشروحة فما تقدم فلما عاين ﷺ ذلك بكا بكاء شديداً وبكت الصحابة لبكائه ساعة زمانية وقد أفاقت العجوز من غشاوتها وزادت فى بكائها وما زالت تنتحب إلى أن مزقت ببكائها وأدمعت العيون ثم أنها أنشدت تقول :

يا خير مبعوث إلى خير أمة ويا خير من يلقى غداً فى موقف الحشر
ويا صادق الألفاظ يا هادى الورى ويا أيها المبعوث فى محكم الذكر
أجرنى فقد أقبلت نحوك سيدى فأنت ملاذى فى الشدائد للحشر
أجرنى أغثنى وبادر لنصرتى على من ظلمنى فقد بليت بالضر
واقتل ذا الباغى الذى عم شره على جميع أهل الأرض فى البر والبحر
ذبح أولادى وأفنى عشيرتى وألبسنى حزناً فى مدة الدهر
أنت الذى نرجوك عند كل ملمة لتأخذ بثارى قبل أن ينقضى العمر

قال فلما فرغت العجوز من شعرها بكا النبي ﷺ وكذلك كل من كان حاضراً ثم أن النبي ﷺ قال يا أمة النبي أقلى من بكاك وأخبرينى عن من دهاك ومن بشره رماك فقالت يا رسول الله أنى امرأه من بنى يرعوب يقال لى الوافرة إبنة الصوام اليرعوبى وكان يارسول الله أبى سيد قومه وعشيرته وأمير قبيلته وكنا يارسول الله نازلين بجوار جبار عنيد وفارس شديد وبطل صنديد يقال له شهاب الخثعمى وكان له ولد يقال له مخارق ويلقب برأس الغول لكبر رأسه وهو جبار عنيد وقد نزع الله تعالى الرحمة من قلبه وهو وقت الحرب يهرق الدما ويهلك الأبطال ويبيد الأقيال وإنه جبار كافر لا يرحم صغيراً ولا كبيراً ويشرب دماء الأبطال كشرب الماء الزلال ويهجم على الحلائل فى قصورها ويعارض الملوك فى حصونها وذلك أنه لما تولى بالملك بعد أبيه جار على العباد وزاد فى الظلم والفساد وضجت العرب من كثرة فساده وظلمه وقساوة قلبه ومكره فرحلوا العرب من بين يديه فسمع بذلك من بعض الرجال فزاد غضبه وتجبر وتكبر وشن عليهم الغارات وقتلهم وسبا جميع نسائهم وشتت شملهم واعلم يا رسول الله أنه قد كان لى أب من أقرب الناس إليه وأعزهم عليه وكنا نازلين على قدر أربعة فراسخ بعيداً منه فأراد أن يقربه هذا الملعون إليه فأبى عنه يارسول الله فقتله فقمت أنا من وقتى وساعتى وقد اختارونى للملك بعد أبى وأطاعوا أمرى وحكمت فيهم ما أريد ومكثنا مدة من الزمان واعلم يارسول الله أنه كان لى أربعة بنات كأنهن الأقمار فائقات فى الحسن والجمال والبهاء والكمال ثم أنى يارسول الله قد زوجتهن لأمراء قومى وكانوا أحسن العرب وكانوا يوقرونى ويرفعونى بأعظم مكان ويخشون سطوتى لما يعلمون من شدة بأسى وقوة مراسى قال فلما كان يوم من بعض الأيام وصلت إلينا أخبارك الحسان ومعجزاتك وما قد ظهر لك من الأنوار والبرهان وماشاع لك من الآيات القرآنية والأسرار الربانية

والمعجزات الباهرة التى غير خفية والكرامات السمية فلما أن تحققت ذلك يارسول
الله آمنت بك وبرسالتك مع أنى بعينى مانظرتك ثم أنى يارسول الله جمعت قومى
واهلى وعشيرتى وعرفتهم بإسلامى وعرضت عليهم الإسلام فأسلموا عن آخرهم
وأقت الإسلام بيننا جهرا وتمينا على مثل ذلك هذا وقد وصل الخبر إلى عدو الله
وهو رأس الغول فلما بلغه إسلامنا زاد غضبه علينا وأرسل رجاله فينا وأمرهم
بوصول الأذية إلينا وقد أمرهم أن يأمرونا بعبادة الأصنام والأوثان ودين الشيطان
ثم أنهم لما نزلوا علينا يارسول الله وأعلمونا بذلك الهوان غضبت أنا من سماع ذلك
الهذيان فأغلظت عليهم الكلام فأرسلوا أعلموا ملكهم رأس الغول بذلك الأمر
والشأن قال فلما بلغه الخبر أرسل إلينا أقران وجيوش وأقوام وشجعان وقد أتونا
تحت الظلام فقتلوا الرجال وذبحوا الأطفال ونهبوا الأموال فلو رأت عيناك يارسول
الله والرجال تنادى واحمداه والبنات تنادى وافضيحتاه وقد وضعونا فى السلاسل
والأغلال وسحبونا على وجوهنا مهتكات وقد سالت من عيوننا العبرات ولم يزالوا
الأعادى سائرين وإلى عدو الله طالبين حتى قدمونا إليه وأوقفونا بين يديه فلما
نظرت إلينا عيناه زعق علينا زعقة عظيمه وشخط فينا اللعين بملو رأسه أذهل بها
كل من كان حاضرا حوله من الأبطال ثم وثب من مكانه وخطف بناتى وأزواجهن
وذبحهم كما يذبح البهيم وأنا أنظر لهم بعينى ثم أنه يا رسول الله سجن باقى الرجال فى
سجن عنده ووكل بهم من يعذبهم آناء الليل وأطراف النهار ثم قال لى يا ويحك
ما كان أغرك لهذا الدين دخلت فيه وما أغنى عنك شيئاً ولكن ارجعى إلى دين أبيك
وجدودك وأنا أطلق لك باقى رجالك وأخلى سبيلك قال فلما سمعت يارسول الله
منه ذلك الكلام صار الضيا فى وجهى ظلام لأنى قد حلا فى قلبى دين الإسلام وعبادة
الملك الديان ثم أنى قلت له الويل لك ياملعون ولأبيك وأجدادك الذين يعبدون
الاحجار من دون الملك الجبار أتعيدوننى إلى عبادة الاصنام بعد أن هدانى رب
الانام وأقررت لله بالوحدانية والرسالة للنبى عليه الصلاة والسلام فكيف أرجع
إلى دين لا يرضى به إلا كل ناقص عقل وإنى وحق النبى محمد ﷺ لا أرجع عن
ما أنا فيه من دين الإسلام ولا أحيد عنه أبدا ولا أغيره وقد قلت لك على ماعندى
فاصنع بى ما شئت وافعل ما خطر ببالك فإنى صابرة على قضاء ربى وحكمته
ولو قطعتنى أرباً أرباً ما أريد فى دين محمد إلا حباً فلما سمع منى يارسول الله الملعون
ذلك الكلام امتزج بالغضب وطغى وتجبر وشخر ونخر وشتم الشمس وسب القمر
وقد أمر بإخراج من بقى فى السجن فذبحهم كما يذبح الاغنام ثم قال وحق اللات

والعزى والهبل الكبير إن لم ترجعى الآن عن دين محمد لأقتلنك أشر قتلة فقلت له ويحك وأين عين محمد تراك وأنت تفعل هذه الفعال ياعدو الله قال فلما سمع منى ذلك الكلام أطلق سبيلي بعد أن قطع ذوائبي وعلقها فى عنق وعلق رؤس بناتى فى عنق بعيرى وقال لى سيرى إلى محمد بن عبد الله وقولى له يأتى بالفوارس والرجال والأبطال وإنى قد أتيتك يا رسول الله وأخبرتك بما قد جرى ونحن حامدون الله تعالى على ما أصابنا ولا نغفل عن ذكر الله ولا عن ذكرك وأنا مستجيرة بك فخذ بثارى واكشف عارى فأنت المخصوص بالوقار والضيا والأنوار ثم أنها بعد ذلك أنشدت تقول:

ألا يا رسول الله يا خير البرايا	ويا حاوى الفضائل والعطايا
أدركنى وجرنى قبل موتى	فما تبقى العداة لنا بقايا
تفانت أهلنا بالسيف جهراً	وأولادى البنات قد عادوا سبايا
وبعد السبي ذبحهن ظلماً	ولم يخشى وقوعاً فى رزايا
فبادر يا رسول الله نحو حى	تحكم فيهموا سيف المنايا
عليك صلاة من البارى دواماً	ما غرد القمرى صباحاً أو مسايا

قال ابن عباس رضى الله عنهما فبكى النبى ﷺ بكاء شديداً وبكت المسلمون من حوله ثم أنه قال ﷺ وقد أشاروا لها يعنى طيبى نفساً وقرى عيناً وانصرفى إلى غداة غد فعندها انصرفت العجوز إلى حالها كما أن النبى ﷺ أمرها قال هذا ما كان منها وأما ما كان من النبى ﷺ فإنه قال لأصحابه يامعشر المسلمين من فيكم يعرف هذا الملعون المعروف برأس الغول الكافر المهول قال فعندها قام إليه عمرو بن أمية الضمرى وقال أنا يارسول الله أعرفه وأعرف بلاده وأعرف واديه المرة بعد المرة فقال النبى ﷺ ياعمرو وفقك الله الخير أخبرنى فقال اعلم يارسول الله أنى كنت قبل الإسلام لا أعرف حلال ولا حرام وكنت أغير على العرب وأنهب كل جواد سابق منتخب فرحلت من بلادى إلى واد متسع يقال له وادى الزهرية فنظرت إلى تلك الربوات وهى مخضرة بجميع الأعشاب والفاكهات وهى متسعة الجنبات مملوءة بالرجال العلوات وهم كأنهم الأسود الضاريات ونظرت إلى نوق وجمال وأناس لا يعلم عددها إلا الذى خلقها فسألت بعض الرعاة لمن تكون هذه الديار فقال إنها للملك المشهور وهو شهاب الخثعمى وله ولد يسمى مخارق البطل المهول الملقب برأس الغول وهم سادات بنى خثعم وهم أقوى العرب حجة وأشدهم نخوة وأبذلهم عنفاً وأكثرهم ضيفاً أخبرنا أنت الآخر كما أخبرناك فمن تكون أنت ومن أين أقبلت وإلى أين تريد فقلت لهم من بعض قبائل العرب قد خاننى الدهر والزمان ولم يبق لى ملجأ ولا أمان وقد عزمت على بلاد الملك

لا تغفل عنى فأجابه بالسمع والطاعة ثم أن مهجع تركه على ماهو عليه وسار إلى
أن وصل إلى أبيه ووقف بين يديه وقال له يا أيها الملك الهمام والبطل الضرغام لقد
أحسنت فى رأيك وأحسنت أيضاً فى قبض ولدك وأرحت الناس من شر هذا الفاسق
وتجبره وظلم مخارق وتكبره فإنه قد زاد فى ظلمه وفساده وكفره وعناده فجزيت
خيراً كما أرحت رعيتك وأمنت قلوبهم من شر ولدك ولكنى الآن خائف من شىء
قد خطر ببالى وسوف أعلمك به وهو أنه يا أيها الملك ربما أن بعض الخدام أو
الحفظة ينافقون له ويطلقونه مما هو فيه ويرجون بذلك اليد البيضاء عنده فربما
فعلوا ذلك وأطلقوه من المهالك فيهجم عليك فى مجالسك وإنه لا يحفظه غيرى فلما
سمع شهاب ذلك الكلام قال له يامهجع وأنت له كفء فاذهب من وقتك هذا إليه
وأرحنا من شره ومكره ودهاه قال فرجع مهجع إلى الموكلين به وأخبرهم بأمر الملك
وأنه توكل به من دونهم فقالوا له يامهجع لقد أرحتنا من شر هذا الجبار فدونك
وإياه قال فتقدم مهجع إلى رأس الغول ولطمه لطمة جبار مهول وصار يوبخه بغليظ
الكلام ويقول له ياويلك يا مخارق فلقد ظلمت العباد وأهلكت الاجناد ولكن
قد وقعت فى عاقبة ظلمك وحط بك غدرك ومكرك ثم أنه زاد فى عذابه إلى أن
انصرفوا عنه الحجاب الذين كانوا موكلين به وقد أخبروا سيدهم بما عاينوا من مهجع
وتعذيبه إلى مخارق هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر مهجع فإنه صبر إلى
أن دخل الليل بالاعتكار وذهب النهار بالانوار ونامت العيون وانبسط القمر على
الكون وتقدم إليه وحله من الوثاق وأخذه وسار إلى أن وصل إلى محل خال من
الناس وبعيد عن ديار القوم وأنزله إلى الارض ثم أنه قدم له طعاماً وشراباً كان
معه فأكل الملعون عدو الله وشرب ثم أن مهجع قال امض إلى أبيك وافعل به ما تريد
فعندها وثب عدو الله وثبة الاسد المهول واخذ بيده سيفاً مسلول ومضى إلى أن
وصل إلى أبيه فوجده نائماً فوكزه برجله وقال له قم فقد جاء وقتك وآن أوانك
فعندها وثب أبيه من منامه وهو مرعوب فتأمل فرأى ولده على رأسه فقال من هو
الذى أطلقك فلم يرد عليه جواب ولا أبدى له خطاب دون أن ضربه بالسيف
أطاح رأسه وخمد أنفاسه ورفص جثته برجله وجلس على كرسى المملكة من وقته
ولم يعلم به أحد من العباد لان ذلك كله كان فى ليلة خلاصه قال فلما أصبح الصباح
دخلوا الخدام على شهاب فوجدوه قتيل وفى دماه جديل ووجدوا رأس الغول وهو
جالس على كرسى المملكة فخافوا منه خوفاً شديداً ثم أنه صاح عليهم صيحة مرعبه
وقال لهم ادنوا منى ثم أنه كشف عن رأس أبيه وقال لهم أتعرفون من هذا فقالوا

له عن لسان واحد أنت قائد زمام أمرنا كما نريد وتشاء فقال لواحد منهم خذ هذا الخاتم وامض به إلى الوزير وقل له أن الملك يدعوك فأجبه بالسمع والطاعة ولم يزل يدعو سيداً بعد سيد وكل من دعاه أجابه حتى أنه أرسل مائة كتاب وكل من وصل إليه كتاب يظن أن الملك شهاب يدعوه ليحضر وينظر ما يصنع بولده مخارق هذا ما كان من أمورهم وأما ما كان من أمر الخادم الذى سار إلى الوزير فلم يزل سائراً إلى أن وصل عنده فأعطاه كتاب وقال له أيها الوزير أجب الملك شهاب فأجاب بالسمع والطاعة وركب معه من تلك الساعة ولم يزل الوزير سائراً حتى دخل على رأس الغول فرآه جالساً على سرير مملكة أبيه وكان الوزير من أكبر أعدائه فوثب إليه رأس الغول وثبة الاسد الجسور والسيف فى يمينه مسلول وضربه قطع رأسه من غير أن يكلمه كلمة واحدة ثم أن عدو الله التفت إلى الخادم وهو الحاكم الاول وقال له امض إلى الحاجب الكبير وائتنى به ولم يزل الملعون يدعو واحداً بعد واحد وكل من حضر عنده من رؤوس المملكة يفعل به مثل ما فعل بأمثاله حتى قتل مائة وسبعين سيداً فى تلك الليلة قال ولما أصبح الله بالصباح طلعت سائر أرباب الدولة إلى الديوان وسائر المماليك والخدام وكل منهم لا يعلم بتلك الاحكام ولما أنهم تكاملوا فى الديوان وجدوا رأس الغول جالساً على سرير ملكه والتاج على رأسه وهو جالس كأنه الأسد الضارى من شدة بأسه وتجبره وكل من صار بين يديه ونظر إليه منه لا يقدر أن يتأخر إلى ورائه نصف قدم ولا يقدر يتقدم ولا يتكلم وتموا على مثل هذا الحال حتى تكامل كل الرجال وهم باهتون إليه بالأبصار قال فلما طال بهم الأمر التفت إليهم رأس الغول وصاح بهم صيحة عظيمة وقال فى صياحه ياويلكم ما الذى أبهتكم ثم أنه كشف لهم عن رأس أبيه وقال لهم أتعرفون من هذا فقالوا له بعد ذلك هذا أبوك أيها الملك الهمام فمن الذى فعل به هذه الفعال أخبرنا بتحقيق الحال فها نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك بل نأخذ بثاره ونجلى عنه عاره عن تعدى وقتله قال فلما سمع رأس الغول من الرجال هذه الأقوال ضحك ضحكاً عالياً وقال لهم أما تعلمون من فعل به هذه الفعال قالوا لا نعلم بشيء من هذه الأحوال فقال لهم أنا الذى فعلت به هذه الفعال ومن يتكلم منكم بكلمة واحدة ألحقته به فى الحال أتظنون أنى أفعل ذلك مع أبى وأرحم غيره فمن أطاعنى منكم أعطيته المال والنوال ومن خالف أمرى وعصانى من بعيد أو قريب أسقيته كأس الوبال بعد أن أعذبه بأنواع العذاب وأجعل لحمه طعاماً للنسور والذئاب قال فعند ذلك تقدم إليه رجل من خواص دولته وناداه وكان ذلك الرجل من المعظمين عند أبيه ومن أعز الناس

ليه وقد صعب عليه ما جرى عليه وصارت الدنيا ظلاماً فى عينيه وقال له والله يا عدو الله لقد بغيت على أبيك وتعديت عليه فهل سمعت يا أخس العباد أن أحداً فى سائر البلاد قتل أباه وتعدى على أذاه فبئس ما فعلت وإنك والله قد طغيت وتجبرت وما بقيت تستحق تلك النعمة التى أنت فيها بل تحل لك النقمة بدواهيها فوعزة ربى إله إبراهيم ورب زمزم والحطيم ما قلت هذا الكلام فزعاً منك ولا خوفاً ولو أنى أجد من يعيننى على قتلك لقتلتك وملت عليك بكل حيف وأخذت منك بثار أبيك وأسقيتك كأس الهلاك قال فلما سمع عدو الله رأس الغول من ذلك الرجل هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وقامت عينيه فى وسط رأسه وأهابته جميع خدمه وجلاسه واغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وفى الحال نهض الملعون قائماً على الأقدام وقد جرد بيده حسامه وقال للرجل من مثلك يقدر يجاوبنى أو بمثل هذا يخاطبنى ثم أنه ضربه بالسيف على عاتقه أخرجه يلمع من علائقه قال فلما أن رأى ذلك الحاضرون ارتعدت أبدانهم وتغيرت أحوالهم وألوانهم ثم أنهم صاحوا عن بكرة أبيهم أيها البطل الهمام اغمد عنا حسامك واجعلنا تحت زمامك وأمرنا كما تريد فما نحن لك من جملة العبيد فقال لهم أريد منكم أن تكونوا تحت أمرى حتى أفرغ عليكم نعمتى وتكتفوا شرى فأجابوه كل الحاضرين لما طلب وخافوا من الموت والعطب طمعاً فى الأموال والمكسب قال ففرق عليهم الأموال وخلع عليهم الخلع الغوال ووسع عليهم بالعطايا وأجزلهم أعظم عطاياه فمالت إليه القلوب وساروا له مطيعين ولأمره سامعين ثم أرغب الرجال بجزيل المال فسمعت به العرب الطماعة وأهل الشرك والرقاعة وقد اجتمع عليه يا رسول الله من أرباب الشجاعة وأهل القوة والبراعة ما يزيد عن مائتين وخمسين ألف فارس من كل مدرع ولابس وكلهم ليوث عوابس وغير ذلك يا رسول الله من اللصوص والعيارين والبراق والخائنين ما يزيدون عن خمسين ألف فارس أخر قال وقد نظر عدو الله إلى تلك الجيوش والأمم فأعجبه ذلك وتجهرم وظلم وطغى وبغى وتكبر وقتل النفوس وتجبر ثم أن الملعون أمر من وقته وساعته بإحضار الصناع بين يديه ففى عاجل الحال أحضروهم إليه وأوقفوهم بين يديه فقال لهم أريد منكم أن تصنعوا لى صنماً كبيراً ويكون من الزبرجد الأخضر وعيناه من الياقوت الأحمر ويكون فى أحسن ما يكون من الصناعات فأجابوه بالسمع والطاعة وصنعوا له ذلك الصنم وقدموه بين يديه فلما أن رآه الملعون خر له ساجداً من دون الله واتخذه له إلهاً وأمر تلك العربان بأجمعهم أن يسجدوا لهذا الصنم وسماه الرب فراش وسار الملعون هو ومن تبعه يسجدون له فى كل وقت وقد

قرب له قربان ورآوه يسجدله فى كل ساعة من الزمان وقد زاد فى كفره وعناده
على قطع الطريق وخان كل صديق وقتل كل محب ورفيق ونهب المسافرين وقطع
الأرض عن المتوجهين والمقيمين وشن الغارات على العرب فنهب الأموال وقتل
الرجال وسار إلى أن وصل إلى حصن العنبرى واحتاط به من كل جانب ومكان
فخرجوا له من الحصن ستمائة فارس وكانوا هم أهل الحصن يا رسول الله قال ثم أن
الملعون التفت إلى جماعته وقال لهم هل فيكم من يعرف صاحب هذا الحصن فقالوا
له جماعة من العرب الذين معه ها هو صاحبه الذى لابس الزرد والدرع الأصفر
وعليه عمامة خضراء وبين عينيه ياقوتة حمراء فلما سمع من المتكلمين هذا الكلام
عرف صاحب الحصن ثم أنه سل حسامه من غمده وخرج من بين عساكره وجنده
وقصد إلى خصمه وهو فى قلب رجاله ولم يزل إلى أن وقف عنده فضربه بالسيف
ومال عليه كل الميل وحاف عليه كل الحيف هذا وقد قسمه نصفين وتركه على الأرض
شطرتين من غير أن يبدى له خطاب ولا جواب قال فلما أن نظرت الرجال إلى ما حل
بكبيرهم عظم ذلك عليهم وكبر لديهم وحملوا عليه بأجمعهم يريدون أخذ الثار وجلاء
العار فاستقبلهم بالحسام وضرب فيهم ذات اليمين وذات اليسار فقلب الميامن على
المياسر ولم يزل يضرب فيهم هو بمفرده دون رجاله حتى أهلكهم عن آخرهم ثم فتح
الحصن وعمره برجاله ولم يزل يا رسول الله يفتح القلاع والحصون وشاع ذكره
بين العربان وكان يارسول الله إقامتى بأرض ذلك الملعون لشىء عجيب وأمر مطرب
غريب وهو أنى سمعت أن بعض العربان عنده فرس شقراء اللون مليحة الكون
بحافر كالدرهم ولم يكن فى زمانها أحسن منها وأن بعض أكابر العرب أعطاه فيها
ملء عنق بعير من الذهب الأحمر فأبى أن يأخذه فى ثمنها فراودوه عن ذلك فأبى
عن المبيع فذهب إليه هذا الملعون وأخذها منه قهراً بعد أن قتله فلما سمعت يارسول
الله بخبر هذا الفرس سرت إليه ومكثت عنده تسعة أيام وأنا أريد سرقتها قال فلما
كانت الليلة العاشرة قمت إليها واستغفلت الحراس وسلبتها من قيودها وملكتها
وسرت بها إلى أن انفجر الصبح فسمعت حس حوافر الخيل وهم لاحقون فرجعت
إليهم وقتلت منهم عشرة أبطال وتخلصت منهم وكانوا هؤلاء من حراس هذا الفرس
ثم أنى أخذت الفرس وأتيت بها إلى وادى من بعض الأودية وبعتها فيه وغبت عنها
مدة وأتيت إليها وسرقتها وبعتها ولم أزل أبيعها وأسرقها حتى أنى بعتها ثمانين مرة
من واحد إلى واحد ومن تلك المدة إلى الآن مدة عشرين سنة من أيام ما فارقت
رأس الغول يا رسول الله وكان كافر عنيد قد كثرت جنوده وأنه نازل بأرض

الأقصى فى بلاد اليمن بوادى يقال له وادى الزهر ومن دونه ستة أودية وكل واد فيه بلاد وحصون وقلاع وعدو الله فى الوادى السابع لا يقدر عليه أحد من الناس وأن جميع العربان تفزع منه وكل القبائل والعشائر تخشى سطوته لأنه بطر صنديد وجبار عنيد وشيطان مريد وقد هيأ لذلك الصنم الذى يعبده المسمى بفراش كما ذكرنا فيما تقدم وقد رصعه بالدر والجوهر كما وصفنا وله عينان من الياقوت الأحمر كما قدمنا وكان ذلك اللعين رافعه على كرسى لأجل العلو على رؤوسهم وضل فى عبادته هو ومن تبعه ثم أنه هيأ له بعد ذلك واصطنع له قبة عظيمة من الزمرد الأخضر وجعل أرضها بالرخام المختلف الألوان قال واصطنع فوق تلك القبة هيئة صندل من خشب العنبر وقد زين القبة بما يزيد عن ستمائة قنديل من الذهب الأحمر والفضة وقد ألبس تلك القبة من الجواهر الصافية وفرشها بأنواع المفروشات وجعل على تلك القبة حراس وأبطال وخدام وشجعان وعبيد وسار اللعين عدو الله لا يفتحها إلا من الهلال إلى الهلال فإذا أراد عدو الله أن يدخل إلى تلك القبة يسرجون له الخدام تلك القناديل بأطيب الأدهان ويزينوا له تلك القبة فيدخل عدو الله إلى أن يأتى إلى الصنم ويخر له ساجداً من دون الله وكذلك كل من كان معه يأمرهم بالسجود له عن بكرة أبيهم فيسجدون فعندها يتحرك الصنم ويميل على اليسار واليمين وينطق فيه الشيطان اللعين لأجل غرورهم لأن الشياطين يتحدثون فى أجواف الأصنام ويكون كلام الشيطان على قدر ما يريدون وما يفعلون فلما يسمع الملعون كلام الشيطان يرفع رأسه من السجود ويجلس على كرسى من العاج مقابل الصنم ويجرد سيفه الصمصام وهو سيف صقيل المتن جوهرى الحد لأن ذلك السيف كان لعمرو بن معدى كرب الزبيدى وكان يصول به على الشجعان ويهجم به على الأقران ويخوض به فى الوقائع ويحارب فى كل المعامع وكان طوله عشرين شبراً وعرضه سبعة أشبار وكان عدو الله إذا غضب على أحد من عشائره أمر بإحضاره بين يديه ثم يضع ذلك السيف على راسه من غير أن يضرب به فيهوى ذلك السيف فى بدن الإنسان ويشق رأسه ولم يزل نازلا إلى أن يصل إلى بين الفخاذ ويقطع دكة لباسه فى أسرع من طرفة عين لأن ذلك السيف خفيف ويد الملعون أيضاً خفيفة وهذا كان عمله إذا غضب على أحد من رجاله أو من غيرهم ولما أن الملعون يجرد سيفه يصغى لما يقول الصنم فيقول له كل ما كان يجرى على أهل تلك القرية وإذا حدث حادث أو طرق طارق أو عبر غريب يخبره به ويعلمه الشيطان من جوف الصنم على كل الأمور وكان بذلك أمواله محفوظة ودياره معمورة وهو

كافر جبار وله سبعة أولاد كبار كل واحد منهم يعد فى الحرب بألف فارس كرار وقد بنى له فى الوادى السابع قصراً عالياً مشيد الأركان واسع القصار والبنيان مفروش بالرخام الألوان لا يوجد مثله فى ذلك الزمان وجعله منقوشاً بأنواع التحائف والذهب والفضة وقد زاد بعد ذلك فى كفره وطغيانه فلا يرجع عن أكل الحرام ولا يمتنع عن عبادة الأصنام والاوثان .

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع النبى ﷺ ذلك الكلام وتحكمت عنده تلك الاحكام مر عمر وأطرق رأسه الشريفة إلى الأرض قدر ساعة تمام وقد قال وهو مطرق كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أدفع بها ما أطيق وما لا أطيق ثم أن النبى ﷺ قال لاصحابه وقد أقبل عليهم بوجهه الوضاح . اعندكم من الرأى يا أصحابى يرحمنى الله وإياكم فقالوا له عند سماع ذلك منه ها نحن يارسول الله لك طائعون وبين يديك حاضرون ولامرك مجيبون فأمرنا بكل ما تريد من الامور فقال رسول الله ﷺ وأشار إليهم يعنى إلى غداة غد يكون ما يريده الله تعالى قال فلما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمر النبى ﷺ بالخروج إلى ظاهر المدينة فخرجوا كما أمرهم وهو ﷺ معهم وهم يهللون ويكبرون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فتجاوبهم الجبال والرمال والاشجار والاثمار وجميع الاودية والعمار والخوال ولم يزالوا سائرين إلى ظاهر المدينة فجلس النبى ﷺ وأشار لهم بالجلوس فجلسوا قليلا قال فبينما النبى ﷺ مستنظر أمر مولاه إذ هبط جبريل عليه السلام من عند الله سبحانه وتعالى وهو فى صورته التى جعله الله بها وهى ستمائة جناح فى كل جناح ستمائة ألف لسان وكل لسان يسبح الله سبحانه وتعالى ويقدسه بستمائة ألف لغة ورأسه فى السماء ورجلاه فى الارض قال فلما نظره النبى ﷺ خر مغشياً عليه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه ورش على وجهه من أنهار الجنة ففتح النبى ﷺ عينيه فرأى ألف من الملائكة الكرام حوله وهم يسبحون الله ويقدسونه وفى يد جبريل رآية النصر مكتوب عليها بقلم القدرة نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين فقال جبريل عليه السلام يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك لا تخف ولا تحزن فإن الله معك وناصرك ويقول لك ارسل رسولا من عندك بالإحذار والإنذار والإقرار إلى مخارق بن شهاب يحذره من عذاب النار وينذره من الإحراق والإشرار ويقرره بالإسلام ويشوقه إلى الجنة دار القرار وهذا مما أمر به ربى وهو أعلم ثم أن جبريل عليه السلام عرج إلى السماء فأقبل النبى ﷺ على أصحابه رضى الله عنهم أجمعين وقال لهم يا أصحابى وأحبابى

أن الله أمرنى أن أرسل رسولا من عندى إلى مخارق بن شهاب يدعوه إلى الجنة ويحذره من عذاب النار فمن فيكم قلبه شديد وبأسه خليد يبيع نفسه فى سبيل الله تعالى ويمضى إلى هذا الملعون وأنا أضمن له على الجنة (قال الراوى) فلما سمعت الصحابة ذلك من النبى ﷺ أطرقوا جميعهم إلى الارض ولم يجاوبه منهم أحد لانهم سمعوا بأخبار هذا الجبار فيما تقدم فأعاد القول عليهم ثانياً وثالثاً فوثب إليه عبد الله بن أنس الجهنى رضى الله عنه وقال يارسول الله انا لها فقال النبى ﷺ اجلس مكانك بارك الله فيك ثم أعاد القول وقال من يمضى إلى مخارق بن شهاب فقال عمرو بن أمية الضمرى أنا أمضى إليه يا رسول الله فقال النبى ﷺ اجلس مكانك بارك الله فيك ثم قال النبى ﷺ يا أصحابى من فيكم ينطلق إلى عدو الله رأس الغول ويحذره من النار وأنا أضمن له على الله الجنة وقصرا من لؤلؤة بيضاء وألف حوراء ويكون رفيقى فى الجنة وقد قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه سيجعل الله بعد عسر يسرا وقال فى آية أخرى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله وكان الزبير بن العوام حاضر فى المجلس فخشى أن رسول الله ﷺ يقول له اجلس مكانك إذا هو قام مثل ما قال لعبد الله بن عمرو بن أمية الضمرى وغيره وقد أراد أن يكون ذلك القصر له فقام وخرج من عندهم وودع أهله وأقاربه وقد أوصى أهله أن لايعلموا أحدا بخبره وماقد سار فيه ثم أنه سار يقطع البرارى والقفار ليلا ونهارا هذا ما كان من أمر الزبير بن العوام وأما ما كان من أمر النبى ﷺ فإنه هبط جبريل عليه السلام وقال يامحمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك أن الزبير بن العوام مضى إلى بلاد رأس الغول وحده راجياً بذلك ما قلت له ووعدته فى الجنة وأن الله سبحانه وتعالى قد صدق مقالتك وأعطاه الله ماقلت عليه وهو يقول لك ارسل على بن عمك خلفه على أثره وعرج جبريل إلى السماء فأخبر النبى ﷺ الحاضرين بخبر الزبير بن العوام ثم بعد ذلك نادى أين سلمان الفارسى فأجابه بالتلبية فى الحال فقال له النبى ﷺ امض إلى ابن عمى على بن أبى طالب فقال السمع والطاعة ثم انطلق رضى الله عنه وأخبر الإمام علياً كرم الله وجهه بما قاله النبى ﷺ قال وكان الإمام على رضى الله عنه فى تلك الأيام مريضا محموماً فقال الإمام على المرض والحمى وأنا وحياة عينيه لم أستطع القيام مما أنا فيه من هذه الآلام فارجع إليه واقرؤه منى السلام واخبره بتلك الأسقام فلما سمع سلمان ذلك من الإمام رجع إلى النبى ﷺ وأخبره بما قال الإمام على رضى الله عنه فلما سمع النبى ﷺ ذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم نهض قائماً من ساعته

على الأقدام ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فسارا إلى الإمام وقد دخل النبي ﷺ على الإمام على رضى الله عنه فأراد الإمام أن يقوم فلم يقدر أن يتحرك من مكانه لما هو فيه من الألم فقال النبي ﷺ يا أبا الحسن كيف تجد نفسك قال بخير إن شاء الله تعالى بقدومك يا ابن العم فقال النبي ﷺ يا أبا الحسن إن أخى جبريل قد هبط على وقد أمرنى ربى أن أرسلك فى أثر الزبير بن العوام إلى ديار رأس الغول فقم واخلع ما عليك من الثياب ثم أن النبي ﷺ دعا بإناء فيه ماء بارد ووضع النبي ﷺ أصبعه الشريفة فيه وصب على رأس الإمام على رضى الله عنه فوالله ما استقر الماء على رأس الإمام على حتى خرجت الحمى فى الوقت والحال من سائر جسد الإمام على وأفاق لروحه وجاءه عزمه فعندها قال النبي ﷺ يا أبا الحسن كيف تجد نفسك فى هذا الآن فقال الإمام على ذهب ما بى وارتدت قوتى ونشاطى زاد ببركتك يا رسول الله فأمرنى بكل ما تريد فقال النبي ﷺ أخرج الآن وجد فى المسير لعلك أن تلحق الزبير بن العوام قال فركب الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه من وقته وساعته وخرج من المدينة وهو ينشد ويقول :

ألا ابشروا بالذل يا الخثعم ... قد جاءكم ليث الحطيم وزمزم
فلا بد من ضربى عليكم وغزوتى ... بحد السيف أمزج الماء بالدم
وأهرق دماكم بصارمى ... وأسقيكم مثل سم الأرقم
وأنا على ابن عم محمد ... رسول الله سيد العرب والعجم
عليه صلاة الله ثم سلامه ... ما سار ركب إلى تلك المعالم

(قال الراوى) ولم يزل الإمام على سائر الليل والنهار إلى أن أشرف على قافلة قد أتت سائرة وإلى نحوه مقبلة وفيها قوم من الأنصار فوقف الإمام على وهو يرتقب هؤلاء الركبان إلى أن وصلوا إليه فنزلوا من على مطاياهم وسلموا عليه وقبلوا يديه ورجليه فقال لهم الإمام مرحباً بكم فهل رأيتم الزبير بن العوام فقالوا له نعم رأيناه يا أبا الحسن فى وسط المرج ولم تلقاه إلا فى بلاد القوم ثم أن الإمام على ودعهم وسار إلى ماهو قاصد إليه وودعوه الآخرين وساروا إلى سبيلهم هذا ما كان من أمر الإمام على وأما ما كان من أمر الزبير بن العوام فإنه مازال سائرا إلى أن قرب من الوادى فوجد وادياً متسعاً كثير العمارات غزير المياه كثير النبات له رائحة طيبة تفوق المسك والعنبر معتدل الهوى ذا أشجار وأطيار وأنهار دافقة وأطيار ناطقة تسبح من له الدوام والبقاء كما قال فيه بعض واصفيه هذين البيتين

واد ترنم طـــيره بفصونه يشتاقه الولهان فى الأسحار
شبهته الفردوس فى نفحاته ظل وفاكهة وماء جارى

(قال الراوى) فوقف الزبير يتأمل فى أمر ذلك الوادى وأنهاره فبينما هو ينظر إلى ملاحته وطيب هوائه وإذا هو بقافلة قد أقبلت عليه من صدر الوادى فتلقاهم الزبير بن العوام وأراد أن يسلم عليهم وإذا بهم قد احتاطوا به من كل جانب ومكان وسألوه عن حاله فقال اعلموا أننى رجل غريب وعابر سبيل وإنى طالب الملك ابن شهاب مخارق عسى أنه يعطينى شيئاً من المال أستعين به على عيالى وقد أظهر الفقر والمسكنة والذل فقالوا له سر بنا وعلى صحبتنا فها نحن من أتباع الملك قال فساروا إلى أن أقبلوا على الباب الأول فمنعوه الحجاب من دون الداخلين ومنعوه عن الدخول فقال لهم الحاضرون معه دعوه فإنه رجل فقير طالب الدخول إلى الملك لعله أن يعطيه شيئاً يستعين به على عياله قال فتركوه الحجاب فقال الزبير ثم أنى سرت بعد أن أطلق الحاجب سبيلى ثم جئت إلى وسط الوادى وإذا قد رأيت قباباً مضروبة وخياماً منصوبة وأغناماً كثيرة وأنعاماً غزيرة وفيه حصن منيع ومن حوله خندق عميق بسور عالى البناء وهو ملآن بالرجال والأبطال والعبيد والسادات والغلمان والقادات ومن حولهم بساتين وأشجار وهو يهوج ويموج بأهله قال أنس رضى الله عنه قال الزبير فقلت للتجار أنا قصدى أقضى من ها هنا حاجة وألحق بكم ثم مضيت عنهم وقد عرجت عن الطريق ودفنت سلاحى فى الأرض فى مكان أعرفه وتركت ناقتى ترعى فى تلك الأزهار وقبلت بعد ذلك على الوادى الذى لعدو الله فنظرت إلى خيام كالنجوم وعساكر كالغيوم ورجال لا يحصى عددهم إلا الحى القيوم وأبطال ورجال جل الذى يدوم قال الزبير فدخلت تلك الأودية وقلت فى نفسى إذا رجعت إلى رسول الله ﷺ من غير أن تقضى حاجتى فيكون ذلك عار والقتل أهون من العار ثم جعلت أتخطى البيوت والخيام والمضارب وإذا أنا بخادم وقد أتى وعليه ثياب من الحرير الأملس وحوله عبيد وغلمان ورجال أشاوس فتأملت بعينى وإذا بعدو الله جالس على كرسى من الذهب الأحمر وعن يمينه خمسمائة مملوك وعن يساره مثل ذلك وبين يديه كاسات الخمر تدور وهو بينهم مثل الأسد المكسور قال الزبير فلما نظرت إلى ذلك وقفت باهتاً إليهم ولم أستطع العبور عليهم لأن ذلك الملعون صاحب هيبة وكثير الجنود ثم إنى صعدت بعد ذلك إلى شجرة عاليه وجعلت أنظر إليهم وإذا بصراخ قد علا وزعاق قد

تماحتى ارتج الوادى فقال عدو الله اطلعوا واكشفوا عن الخبر ثم انهم مضوا ورجعوا اليه وقالوا له يا أيها الملك العظيم ان إلهنا قد غضب علينا غضباً شديداً ما عليه مزيد وان النار تخرج من فيه والدخان من مناخيره قال فلما سمع عدو الله ذلك الكلام قام سريعاً إلى عند الصنم وخر له ساجداً من دون الله وأطال له فى السجود ثم إنه رفع رأسه إلى الصنم وقال له أيها الرب العظيم أعوذ بك من عقوبتك وغضبك فلا تعجل علينا بالعقاب فانك تذل الجبابره وتخضع لك الملوك الأكاسرة فان عاقبتنا فمن يرحمنا غيرك وأنت لك الامر فينا ثم أن الملعون سكت ليسمع رد الجواب قال وإذا بابليس اللعين قد دخل فى جوف الصنم قال للملك يا ويلكم قد اشتغلتم بالهوى عن العبادة واتبعتم اللهو واللعب وانتم عليه مقيمون وتركتم ما سويت لكم من النعيم ومازلتم فى لهو ولعب حتى ظهر فيكم محمد الساحر وهو قد أرسل اليكم ابن عمته الزبير بن العوام جاسوساً ثم إنه يرسل بعده رجالا وأبطالا فوعزتى وقدرى إن لم تدهموهم بالرجال والأبطال وتلحقوهم بالفرسان لأخذلنكم وانصرهم عليكم واجعلكم دهانا لسيوفهم قال فلما سمع عدو الله ذلك الكلام من الصنم نهض من ساعته وجرد سيفه وقد اتضح الخبر فيهم أن محمد أرسل اليهم الزبير بن العوام جاسوساً يكشف له عن الأخبار ويعود يعلمه بحالنا فيرسل لنا الأبطال والرجال فانهضوا الآن وابصروا هذا الجاسوس فلما سمعت الرجال بهذه الأخبار جذبت سيوفها واستلت حرابها وصاحوا صياحاً مزعجاً فارتج الوادى من كثرة الصياح وسار الملعون برجاله وهم شاهرون السلاح كل هذا يجرى والزبير ما عنده خبر بشىء من ذلك الأثر قال ثم التفت يتأمل وإذا هم قاصدين إليه وهم يقولون لبعضهم هو عند الشجرة الفلانية قال الزبير فلما سمعت بهذا الكلام انزعجت جوارحى وضاقت أنفاسى وشكوت أمرى إلى خالقى وقد عرفت إنى أنا المطلوب ثم إنى نزلت من على ظهر الشجرة ولسانى لا يغفل عن ذكر الله تعالى وأنا أقول يا سابل الستر كفو عزتى ربى وجلاله ما رآنى أحد منهم عند نزولى ولم أزل سائر إلى أن وصلت إلى مغارة هناك ودخلت فيها وكنت هناك وأنا أنظر اليهم بعينى وأشاهد كل فعالهم ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى تلك الشجرة فلم يجدونى عندها قال فعندها قال عدو الله وقد امتزج بالغضب أن الهنا لا يكذب ولا هو بكاذب وإنما الغريم من غير شك دخل إلى تلك المغارة فلما أن سمعوا الرجال من الملعون ذلك قصدوا إلى خرجت من المغارة وقد ضاقت الدنيا فى وجهى هذا وقد نظرنى بعض رجالهم فتصايحوا على بعلى رؤسهم وقالوا هاهو الزبير بن العوام فتسارعوا إلى الرجال من كل جانب ومكان واحتاطوا بى كما يحتاط الخاتم بالأصبع فايقنت بالهلاك وقلت لاحول

ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم أن رجلا منهم قصد نحوى وقاطع على وأراد أن يمسكنى فضربته بخنجرى فى نحره أخرجته من ظهره فرجعوا عنى لما أن شاهدوا ما فعلت مع هذا الرجل وقد ثبتنى الله تعالى وارعب أعدائى ولكنهم صاروا يرمونى بالأحجار وكلما لحقنى رجل منهم قتلته حتى قتلت منهم عشرة فوارس وسبعة وبعد ذلك تكاثروا على وأخذونى أسيرا وقادونى ذليلا وفى الحال أوثقونى كتاف وقووا منى السواعد والأطراف وجعلوا يضربونى صفحا بالسلاح والحراب إلى أن وصلوا إلى خيمة وقيدونى بثلاثة قيود وثلاثة سلاسل ووكلوا على مائة عبد وذلك بعدما أمرهم عدو الله بكل ما يفعلوه معى وقد أمرهم أن لا يغفلوا عنى ولا يرجعوا عن عذابى ورجع بعد ذلك اللعين عدو الله إلى مكانه واطمأن قلبه وزال عنه كربه واعتقدر به وشكره وسجد له هذا ما كان من الملعون وأما ما كان من الزبير بن العوام فانه لما نظر إلى ما حل به من العذاب والعقاب والأهوال فايقن بشرب كاس الوبال وقد أسلم أمره للواحد المتعال فانشد وقال :

ياعين جودى بالبكا وتهلى	واسعفى بدمع منك كالدرر
يامن يخبر الهادى النبى محمد	بأنى أصبحت فى شدة الامر
وماضرنى إلا رمونى بشرهم	ولاسمعوا منى مقالا ولا عذر
عسى الله أن يأتينى برحمة	وينقذنى من يد طائفة الكفر
ادعوه بالمصطفى النبى محمد	يفرج عسرى إلى أيسر اليسر
وصلى ربى على المصطفى	الهادى الشفيع المشفع فى الحشر

(قال الراوى) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جلس الملعون على سرير مملكته ورائق مجلسه وتكامل جيشه وجنده فأمر باحضارى بين يديه فغابوا وأخذونى إلى بين يديه وهم يسحبونى قال الزبير فسرت تارة أقوم وتارة أقع فأيقنت بالهلاك حتى أوقفونى قدامه وصرت واقفا بين يديه وهو ينظر إلى بعينه ولا يكلمنى من أول النهار إلى قرب العصر ثم أنه رفع رأسه إلى وقال من أنت أيها الفقير المسكين اليائس فقلت له اليائس الذى ييئس من رحمة الله فاعلمك أنى أنا الزبير بن العوام ابن عمة محمد ﷺ فقال وما سبب قدومك إلى بلادى وما الذى جئت بسببه من بلادك فاخبرنى بالصحيح قبل أن اعدمك الحياة وأكسر منك كل عضو صحيح فقلت له اعلم أيها الملك المغرور أن سبب مجيئى إلى بلادك أمر عجيب وهو أن امرأة من قومك أتت إلى النبى ﷺ وشكت له من ظلمك عليها وجورك أنت وقومك وذلك بسبب اسلامها هى وقومها فظلمتهم وقتلت رجالهم ونهبت أموالهم وسبيت حريمهم فعظم ذلك الأمر على ابن عمى محمد فارسلنى اليك ناصحا وأنى أقول لك أن الذى انت فيه ضلال وزور ومحال فاترك

عبادة الاصنام واتبع عبادة الملك العلام الذى خلقك وسواك وكلم موسى ونجاه واصطفى محمد وجعله خير الانبياء وعرج به إلى السماء ليله الاسراء فهو خير خلق الله بالاتفاق واجل المرسلين على الاطلاق وقد نصحتك أيها الملك المغرور فابطل عبادة النفاق وتبرأ من أهل الكفر والشقاق واعبد الله الملك الخلاق ثم انى بعد ذلك جعلت أنشد وأقول .

هو السميع البصير الخالق البارى ... وهو العظيم الذى يعفو عن أوزارى
رفع السماء بلا عمد وزينها ... وأرسى الجبال على الأرضين باقدار
سبحانه من هو ليس له مثيل ... ولا له ولد أيضا ولا جارى
سألتك يا رحمن يا صمد ... يا إله العرش خلصنا من النار

قال الزبير بن العوام فلما فرغت من كلامى وسمع عدو الله ذلك الكلام أطرق رأسه إلى الأرض ساعة زمانية فظننت أنه لان قلبه ورفع رأسه وقال لى كلما ذكرته عن ابن عمك ومن مدحك فى ربك فانا مالى به شىء وكل كلامك لم يدخل أذنى أما كفى محمدا بعد فقره وجوعه وفاقته يقتل الرجال وينهب الأموال ويشن الغارات على بلاد العرب وبعد ذلك يأمرنى بالرجوع عن دينى والدخول فى دينه وينهانى عن عبادة الرب فراش والآن فما أنت ألا رمات نفسك واهرقت دمك بفعلك السوء وأنا لا بد لى أن اعذبك عذابا شديدا حتى يأتى الذى أرسلك ويخلصك منى ثم أن الملعون أمر العبيد أن ينزعوا ما كان على من الثياب ويضربونى حتى مزقوا جلدى وأنا أقول ياغياث المستغيثين ويا أرحم الراحمين ويا عدو الله ورسوله تضرب جسدا يقاتل عن دين الإسلام ويجاهد امثالك الكفرة اللئام ويدعوك إلى عبادة الملك العلام وينهاك عن عبادة الاصنام قال ابن عباس رضى الله عنه قال الزبير لما أن سمع عدو الله منى ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وغضب غضباً شديداً ثم أمر بناقتى أن يذبحوها ففعلوا ما به أمرهم وسلخوا جلدها والبسونى إياه وأوقعونى فى الشمس الحاره فيبس الجلد على وأنا واقف اتلظى واستغيث بالله قال هذا ما كان من أمر الزبير بن العوام وأما ما كان من أمر الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فانه جد فى السير وهو سائر على أثر الزبير بن العوام قال ابن عباس فبينما الإمام على رضى الله عنه سائر وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما وقائل من أعلا جبل أبى قبيس ينادى بصوت عال مزعج وهو يقول يامعاشر أبطال مكة وساداتها اعلموا أن على بن طالب قد انفرد بنفسه وهو الآن سائر فى البرية وحده فالحقوه وبسيروا فكم قطعوه وخذوا منه بالثار واكشفوا عن أنفسكم العار وكان هذا الصياح من إبليس أبو مرة لعنه الله وأضره قال فلما سمعت القوم الصياح هاجت الرجال واجتمعت

الأبطال من الكفرة وأهل الضلال إلى أن امتلأت الأرض فعند ذلك أقبل عليهم أبو سفيان وقال أما تعلمون من الذى صاح فيكم فقالوا له لا نعلم بشىء من هذا فقال لهم هذا رسول الهبل الأعلى قد صاح فيكم ويأمركم أن تنصروه على عدوه وكل منكم له على على بن أبى طالب ثار أخيه فخلوا عنكم الكسل والتقصير واعزموا على الجد والتشمير واركبوا الآن اليه والطبقوا بكليتكم عليه فلا بد أنكم تملوا نه قال فعند ذلك قام عبد اللات والعزى وقال لهم أريحوا أنفسكم فما أحد يسير إليه غيرى وأقام معه أبو سفيان وصارم ولم يكن يومئذ بمكة أفرس من هؤلاء الثلاثة فقال لهم أبو سفيان يا أبطال مكة أن هذا غنيمة لكم فما كنوا بنا فى هذا الطريق إلى أن يأتى الينا ونعدمه السعادة والتوفيق وقد اتفق رأيهم على مثل ذلك وجدوا فى السير إلى أ كنوا فى الطريق هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العباس فانه قد بلغه ذلك الخبر فخاف على ولد أخيه على رضى الله عنه وكرم الله وجهه أن يغدروه على غفلة فنادى عبده زيداً وقال له زيد أن هؤلاء الثلاثة لا بد أنهم ساروا إلى ابن أخى على رضى الله عنه وإنهم الآن شياطين العرب وإنى أخاف عليه منهم أن يقتلوه فقم الآن من وقتك وساعتك وأركب حصانى الأدهم واسبقهم والتقى به وقل له يأخذ حذره منهم فانهم ملاعين وأنت حر لوجه الله تعالى فقال العبد حباً وكرامة ثم ركب العبد جواد سيده وجد فى السير حتى أشرف على واد صعب المسالك كثير السباع فتعب العبد من المسير فعرج على الطريق وربط الحصان فى رجله ونام فتذكر قول العباسى رضى الله عنه فخاف على نفسه أن يمروا به الفرسان وهو نائم فيغدروه أو يلحقوا الإمام قبل وصوله هو إليه فربما أن يحصل له منهم أذى ويكون ذلك بسبب تهاونى فى المشى ثم أن العبد أنشد يقول :

أنا أسير والجواد يطيعنى	أقطع الفيافى والقفار سالم
أروم على ابن عم محمد	أخبره بعمل الطغاة الظوالم
فقد سار عبد اللات ثم مقاتل	وأبو سفيان الطغاة المآثم

وقال وكان العبد يحدث نفسه بهذه الأبيات والإمام رضى الله تعالى سامع كلامه لأنه كان قد نزل بذلك الوادى وأنه عرف صوت العبد فاجابه على عروض شعره

ياعبد لا تخشى على من العدا	أنا فالق الهامات برمحى وصارمى
ولا تحسب إنى فى المسيره غافلا	ولا أنا فى جنح الظلام بنائم

(قال الراوى) فلما سمع العبد كلام الإمام وثب قائماً على الأقدام وسل سيفه وهجم على الإمام وهو يقول له من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام السائر فى جنح الظلام فقال له الإمام كرم الله وجهه أنا الذى ذكرتنى فى شعرك ياغلام أنا ليث

بنى غالب أنا على بن أبى طالب فلما سمع العبد ذلك تقدم اليه وتمثل بين يديه واثنى عليه فقال له الإمام من أنت فقال أنا عبد عمك العباس أرسلنى اليك شفقة منه عليك وإنى أحذرك من الثلاثة فوارس القادمين عليك وهما من سفهاء مكة قال فلما سمع الإمام على من العبد ذلك الكلام شكره على ذلك وقال له يازيد أجلس بنا ههنا لجلسوا لأجل أن يتحدثوا فما استقر بهم الجلوس حتى سمعوا حس حوافر الخيل وهى مقبلة نحو تلك الأرض التى هم فيها نازلين (قال الراوى)فقال الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه يازيد هذا حس حوافر الخيل الذى ذكرتهم لأنى قد سمعتهم وهم يتحدثون فى شأنى وعبد اللات والعزى يقول لهم أعلموا أن الإمام على بن أبى طالب منا قريب وإن قلبي يحدثنى أنه فى ذلك الوادى وسوف ترون ما ذكرت لكم وكانكم به وقد خرج عليكم من ظل هذه الأشجار قال الإمام على وأن مقاتل يازيد لما سمع من اللات ذلك الكلام فما صدقه فيه بل قال له خابت منك الآمال وسقيت كأس الوبال ياقرنان أنت كنت له رفيق أو أرسلك بذلك الخطاب تحقيق ولكن أعرجوا لنا عن الطريق وانزلوا بنا فى باب هذا الوادى لأجل نأخذ لنا راحة ونريح خيولنا وننام فى أول الليل وننظر بعد ذلك مايحصل من كلام عبد اللات وندبر على قدر مانعرف فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب قال فعرجوا عن الطريق إلى أن أقبلوا إلى صخرة هناك وتدلوا من أعلا خيولهم وتركوها ترعى ثم إنهم أخرجوا ماكولا كان معهم وجلسوا على الطعام هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الإمام على فانه قال يازيد أجلس ههنا وانظر ما أفعل بهذه الكلاب الملاعين أعداء رب العالمين والرسول الأمين ولابد لى من أهلاكهم أجمعين ببركة سيد الاولين والآخرين ثم أن الإمام نزع ما كان عليه من الثياب وقد أخذ سيفه بيده وأسر فى مشيته وسار قليلا وأتى إلى نحوهم قال فلما نظروا اليه بهتوا له وأوقع الله الرعب فى قلوبهم وظنوا أنه غول أتى اليهم من البرية ثم أن الإمام تركهم وطلع على ربوة عالية وجلس عليها وصار يأخذ الحصا ويرميهم به ويعفرهم بالرمال فقال عبد اللات قوموا إلى هذا الغول واعتوا إليه بالسيوف عسى أن يهرب منا فى الفلوات لأنه قد أشغلنا عن الزاد فقال صارم أنا أقوم اليه وفى الحال نهض قائماً على قدميه وسار إلى أن قرب منه وقد زاد رعبه ولعبت ضبته وطار عقله من رأسه وارتعدت فرائصه وتأخر إلى ورائه وولى هاربا إلى قومه وقال لهم ياقوم ماهذه الفعال القباح فافيكم من عنده رأى سديد

ما تعلمون إنى خرجت معكم من مكة إلى قتال السباع والغيلان بل خرجت طالب الامام على قال فلما سمعوا منه ذلك قالوا له أجلس مكانك فها نحن نمضى اليه ونريحك من شره ثم نهض مقاتل بعد أن جلس صارم وسار إلى أن أقبل على الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وقد امتشق سيفه بيده ورفعها حتى بان سواد أبطه وأراد أن يضرب الامام على فعندها وثب اليه الإمام وثبة الأسد الهمام وهو لايعتنى به بل قبض عليه من منكبيه ورفعه على كلتا يديه حتى ظن أنه لحق بالسماء من سرعة ماخطفه وجلد به الأرض رض عظامه بعضها فى بعض وتكسرت أضلاعه وانقطع نخاعه وقد وقع له عند الوقعة رنين ولكن ما أحد سمع له أنين (قال الراوى) هذا ما كان من أمر الامام على وخصمه وأما ما كان من أمر اللعين عبداللات فانه التفت إلى صاحبه وقال له أتدرى ما فعل الغول بصاحبك فقال له لا فقال له وحق اللات والعزى والهبل الكبير الأعلى انه عطبه ونكبه وإن ما كنت تأتينى أنت برأس هذا الغول وإلا أسقيتك كاساً مهول ثم أن عبداللات صاح فيه بعلو رأسه صيحة عظيمة فقام من وقته وساعته وجسر قلبه وثبت جنانه ولبه وقد عرف أنه طريد الإثنين ولم يزل كذلك إلى أن أقبل على الامام على كرم الله وجهه فما تحرك الامام من مكانه بل إنه صبر عليه حتى انه تقرب منه وأراد أن يجذب سيفه وإذا به قبض على مراق بطنه ورفعه على قائم زنده فصار على يده أضعف من النملة فتحقق الأمر عنده أن هذا الليث الغالب على بن أبى طالب فصرخ صرخة عظيمة وقال ما أنت غول وما أنت إلا ابن عم الرسول الطاعن بالرمحين الضارب بالسيفين المصلى نحو القبلتين أنت الأسد الضارب أنت فخر بنى غالب أنت على بن طالب وأنا أقسم عليك برب المشارق والمغارب وبحق النبى الغالب سيدنا محمد ﷺ أنك لاتفعل بى مثل غيرى لأنى أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال فلما سمع الامام على رضى الله عنه ذلك الكلام من صارم أطلق سبيله ورجع عنه وقد عرف أنه أسلم أسلاما صادقا هذا ما كان من أمر الامام وأما ما كان من أمر صارم فانه رجع إلى عبداللات وهو ساكت لايبدى ولا يعيد فقال له عبد اللات وقد ارتعب قلبه من اقباله أين رأس الغول ياصارم فانى أراك قد رجعت من قدامه وتركته سالم فقال له أعلم إنى رأيته أقوى منى عزما وأشد منى بأساً وأقوى مراساً فخضعت بين يديه وذكرت له حسبى ونسبى وأهلى وعربى وقد هداه إلى حربى فعفى عنى وتجاوز عن عطبى وأن الرأى عندى أن تذهب اليه أنت الآخر وتسأله العفو عنا وأنه يخلى سبيلنا ويكون لنا عوناً على الامام على ونقتله ونبلغ مرادنا ونشفى بقتله قلوبنا لأنه قتل رجالنا وأباد أبطالنا ونهب أموالنا وسبى حريمنا قال فلما سمع اللعين عبد اللات

ذلك الكلام دبت النخوة فى رأسه ونهض قائماً من وقته وصار قاصد إلى نحو الغول وما زال يجد المسير حتى بقى بينه وبين الإمام قدر ميل هذا وقد صرخ عليه الامام على صرخة عظيمة بها أرعبه وأزعجه ووقع مغشياً عليه فى الأرض وصار كأنه ميت من سنين من صرخه الامام فعندها قام اليه الامام وأخذ بيده من الأرض وعلقه على زنده وصبر عليه حتى أفاق من غشوته وهو لا يدرى هو فى أى مكان فناداه الامام على وقال له يا ويلك جئت تقتل الغيلان فوقعت فى اشراكهم ويلك يا عدو الله أما تعرفنى أما علم إنى أنا غريمك وقاتل أهلك وناهب حريمك أما تعلم أنى أنا الليث الغالب والأسد الضارب صاحبك على بن أبى طالب فلا تخف وطمن قلبك فأنا قاتلك لامحالة قال فلما سمع الملعون من الامام ذلك الكلام أراد أن يخلص نفسه منه ويطمع فى قتله وإذا بالامام قبض عليه من ساقيه وجعل أدناه ورأسه ورجلاه أعلاه ورماه بهمته إلى أسفل الجبل والوادى فصار منه كل عضو على ناحية وما بقى منه باقية ثم أن الامام على رجع إلى زيد وقال له ارجع يا زيد إلى عمى العباس واقرئه منى السلام واعلمه عن كل ما جرى ونظرته أنت بالعيان فأجابه زيد بالسمع والطاعة وقد سار فيما أمره به من تلك الساعة ثم التفت الامام إلى صارم وقال له ارجع أنت الآخر إلى مكة مع زيد وإلا تريد أن تسير معى فقال صارم يا أبا الحسن أنت تعلم أن لى بمكة أولاد وأموالا وأن سرت معك نهبوا أموالى وأولادى وأهلى فارجع أنا إلى رسول الله ﷺ وأجدد إسلامى على يديه وأفعل ما يأمرنى به وأنا الآمر بعد ذلك اليك فقال له نعم الرأى الصواب وهذا الأمر الذى لا يعاب قال ثم أنهم ودعوا الامام وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وهم فرحانين بذلك السرور والفرح فرح صارم بحلاوة الاسلام ومتعجبين من فعل الامام بالفرسان ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الديار وقد اتضحت الأخبار هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الامام على كرم الله وجهه ورضى الله عنه فانه استراح بقية يومه وليلته وسار طالباً إلى وادى الزهر هذا ما كان من أمر الامام قال ابن عباس رضى الله عنه أنه قال أن جبريل عليه السلام هبط على النبى ﷺ وأعلمه بأمر الزبير ابن العوام وبالثلاثة الذين خرجوا على الامام من أرض مكة والبيت الحرام واعلمه أيضا بعبد العباس وهو زيد بعد أن أعلمه جبريل بما قد تحرر وفى كتابنا هذا عرج إلى السماء وقد أمر النبى ﷺ بلال ابن حمامة أن ينادى ويجمع الناس فأجاب بلال إلى ذلك ونادى كما أمره النبى باهى الكمال وكان له صوت رخيم يشفى عند سماعه كل مريض وسقيم وقال فى ندائه يا معاشر المسلمين وعباد رب العالمين أن الرسول يدعوكم اليه ويأذن لكم فى الحضور بين يديه لأجل سؤال قد بدا إليه فماذا أنتم قائلون قالوا

فوالله ما استتم كلامه من ندائه حتى امتلأ المسجد من المسلمين وازدحم المكان بالحاضرين فنهض النبي ﷺ وصعد على المنبر خطيباً فبدأ الحمد لله أولا والصلاة عليه ثانياً وقد ذكر الله وأثنى عليه وذكر نفسه الكريمة وجماله والنور الذى لائح عليه ثم بعد أن تشهد فى الخطبة قال يامعشر المسلمين اعلموا أن أخاكم الزبير بن العوام مأسور مع الاعداء فى قيود الردى وإنى أرسلت اليه الامام عليا بأمر العظيم العلى وقد جرى له مع أعداء الله فى الطريق ماهو كذا وأنتم الآن حاضرون ولهذا الأمر مستمعون فاذا أنتم قائلون يرحمنى الله وإياكم أجمعين وهذا ماأشار به اليهم سيد المرسلين وإمام المتقين (قال الراوى) فقام اليه سعيد بن عمار من دون كل حاضر وقال بأفصح أخبار الصلاة والسلام عليك يامليح الافتخار وعالى المقدار وجزيل الغزال هل تأذن لى أن اتكلم بشىء من المقال وأقول قولا لاخطر لى بالبال وألا أسكت ولا أنطق بسؤال فأذن له النبي ﷺ فى المقال فقال يارسول الله أرسل الفضل بن العباس بألف فارس من فرسان المسلمين وأبطال الموحدين فى أثر هذا الأسد الضارب والسبع الكاسر ليث بنى غالب الامام على ابن أبى طالب وأن ذلك السعى بركتك يكون مباركا (قال الراوى) فلما سمع النبي ﷺ من سعيد ذلك قال له نعم الرأى ياسعيد ثم أن النبي ﷺ أمر الفضل بن العباس أن يسير ويأخذ معه ألفاً من الناس فامتثلوا أمره وساروا مع الفضل وهم فرحون بذلك الأمر وطلبوا منه الاذن فى المسير فأذن لهم أخرجوا على آثار ابن عمى على ثم أن النبي ﷺ قال على بعمرو بن أمية الضمرى فأجابه بالتلبية فى عاجل الحال فاشار إليه النبي ﷺ قائلا له أنت وعبد الله بن أنس الجهنى تخرجون أمام القوم وتسبقون القوم وتلحقونهم بابن عمى على بن أبى طالب واقرؤه منى السلام وكونوا معه فى تلك الآكام ليقضى الله أمراً كان مفعولا قال فاجابوه بالسمع والطاعة وخرجوا من عنده وهما مثل الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الانبوب أو السيل المسكوب فلم يكن آخر النهار حتى أدركوا الفارس الكرار وقد لبست الشمس حلة الاصفرار فلما نظر اليهم الامام على كرم الله وجهه نادى ما الخبر ياأحباب الله فقالوا له أن النبي ﷺ أرسلنا اليك وقد أمرنا بالسلام عليك وهو يقرئك السلام ويثنى عليك بالاكرام وأن جبريل عليه السلام أخبره بما صار من الأحكام وتخبر الزبير بن العوام الآن مأسور فى يد اللئام وقد وقع له شىء من الآلام وأيضاً أعلمه جبريل بما جرى من عبد اللات وجماعته وخروجهم من مكة واسلام صارم وموت رفقته وأن النبي ﷺ أرسل لك الفضل بن العباس فى ألف فارس من فرسان المسلمين وأبطال الموحدين ولكننا كنا لهم سابقين وهم بنا لاحقين فلا تخاف أبدا ومعك رب العالمين والرسول

الأمين وهذا ماجئنابه من الرأى فلما سمع الامام منهم ذلك الكلام شكرهم على ذلك الاهتمام وأكثر من الصلاة على سيدنا محمد ولد عدنان قال لهم إن شاء الملك العلام فى غداة غد نرحل من ههنا إلى مرج أفيح ومحل من ههنا أبرك وانجح فقالوا له شأنك وما تريد فها نحن لك عبيد ثم أن الامام جلس يتحدث معهم أن إلى ارتحل الظلام ولاح نور الفجر بالابتسام ركب الامام على كرم الله وجهه وبهما قد سار إلى أن تضاحى النهار وقرب الزوال وحمى الهجير وسار البرزفير وإذا بهم أشرفوا على مرج أفيح كثير المياه وحوله بساتين وأشجار وغصون وأنهار وأطيار فنزل الامام على كرم وجهه على العين واستراح هو وجماعته الإثنين وهو ثالثهم وذلك الوادى قد أعجبهم فمكثوا فيه يومهم وليلتهم (قال الراوى) ولما أن أصبح الله بالصباح ركب الامام على رضى الله عنه وتأمل ذات اليمين وذات الشمال فوجد قباله طريقين فقال الامام على يا عمرو وأى طريق من هذين الاثنين توصلنا إلى رأس الغول فقال له عمرو أن هذا الطريق تنتهى إلى بلاد رأس الغول وهى أوائل بلاد اليمن لكنها صعبة المسالك كثيرة الأهوال كثيرة الجبال والتلال قليلة المياه والغدران قال فبينما الامام على مع عمرو فى الكلام وإذا بغبار ثار وعلا وسد الأقطار وانعقد الجو من الغبرة كالدخان فقال الامام على رضى الله عنه أجلسوا مكانكم حتى أكشف لكم هذا الغبار ثم انه سار إلى أن وصل إلى ذلك الغبار وإذا به تحقق فرأى فارس طويل راكب على جواد أدهم عالى ململم وعليه ثياب حمر ونى وسطه منطقة مرصعة بالدر متقلد بسيف صقيل وفى يده رمح طويل وله سنان يلوح منه الموت لكل إنسان وله عبد أسود راكب على جواد أجرد وفى يده كبش مذبوح ويقود بعير أحمر وعلى ظهر ذلك البعير هودج مكلل بالدر والجوهر فوقف به بدا عنهم فنزل ذلك الفارس عن جواده وأنشد يقول

هبوب الريح يسبقه حصانى وكاس الموت يسقى من سنانى
وذكرى شائع فى كل أرض على ضرب المثالث والمثانى
أجوز مواضعا لو جاز فيها سليمان لهاب من المكان
وكل الخلائق جمعاً والورى يخشوا سطوتى ويخافوا سنانى

(قال الراوى) فلما فرغ ذلك الفارس من انشاده أناخ بعيره بعد أن نزل عن جواده ورمى رأس الكبش إلى الارض وعمد إلى شجرة عالية ومد يده اليها وجذبها اقتلعها من الارض بأصولها وجذورها ورماها إلى الارض وأمر العبد أن يكسرها فقال له العبد السمع والطاعة ونهض من تلك الساعة إلى حجر كبير مثل المنجنيق لا يقدر عليه إلا عشره رجال من الصناديد ومسك الشجرة بيده اليسرى والحجر باليمنى وجعل يضربها حتى تكسرت كل هذا والامام على ينظر ويرى وقد زاد تعجب

الامام مما رأى ثم أن العبد أضرم النار وطرح الكبش عليها وسار يقلبه على سائر جوانبه حتى استوى ونادى الجارية التى داخلة الهودج فخرجت له فاجلسها على ذلك الحجر الذى كان يكسر به وقدم للفارس الطعام وصار يقطع من اللحم ويرمى إلى الجارية وهما يأكلان حتى اكتفوا قال ولما أن فرغ الفارس من الأكل قامت الجارية ودخلت الهودج ثم أن العبد أتى له بعد الأكل بزق من الخمر كان معه لأن ذلك عادته إذا أكل يشرب ذلك الزق فمسكه الفارس ورفعه على فمه قال عمرو فسمعنا له دوى كدوى السيل إذا انحدر من رؤس الجبال وهو نازل فى جوف الفارس مثل الناعورة وقد سمعناه ونحن مكاننا فجئنا على صوت تلك الدوى حتى انتهينا إلى الامام وجعلنا ننظر لهم ونتفرج عليهم ثم أن الفارس لما شرب الخمر أخرج سيفا صقيلا وقال للعبد خذ هذا السيف وائتنى بخبر هؤلاء فقال العبد السمع والطاعة ثم أن العبد أخذ السيف وأتى الينا وقال من أنتم ومن أى القبائل وإلى أين تريدون أن تمضوا فقال له عمرو بن أمية الضمرى نحن النجوم الطوالع والسيوف القواطع والليوث البواتع والحصون الموانع والكواكب السواطع نحن أهل الإيمان ومبددون أهل الطغيان وأصحاب فخر الإيمان محمد سيد ولد عدنان (قال الراوى) فبينما العبد مع عمرو فى الكلام وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان للنظار وقد بهتت إليه الأبصار وتمزق وبان عن الجيوش المحمدية العازمين على الحرب بكل نية أصحاب العزائم القوية والسيوف المشرفية وفى أوائل ذلك الجيش الفضل بن العباس ولهم ضجة ورنة وهم ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير (قال الراوى) فلما نظر العبد إلى تلك الأحوال وسمع تلك الضجة والابتهال رجع العبد فى عاجل الحال واخبر سيده بتلك الأمور والأحوال وقال له هذا جيش المسلمين وعساكر الموحدين واتباع سيد الاولين والآخرين قال فاسمع ذلك الجبار بذكر النبي المختار حتى غضب واحتار وشخر وكفر وتمرد وتكبر وعبد الشمس وصاح فى عبده ياويلك ياعبد السوء تأتى بغير فائدة ولكن أخرج من وقتك وساعتك وأتنى برؤس عساكر المسلمين وأرنى فعلك وعزمك وائت برؤس الجميع ولا تبقى لا رفيع ولا وضيع وان لم تفعل ذلك أسقيتك كأس المهالك فعندها قال له العبد السمع والطاعة وخرج العبد من تلك الساعة إلى أن قرب من عساكر المسلمين وطلب البراز وسأل الانجاز وقال دونكم والقتال فبرز له فارس يقال له عنان بن زيد وانطبق عليه طبقة جبار عنيد وأخذ فى الطراد والابعاد وإذا بالعبد ضرب الفارس بالحسام فجاء على يد الفارس اليمين أبراها مثل أقلام الكاتب ثم أن العبد طلب

البراز وسأل الانجاز فبرز إليه فارس يقال له نوفل والطبقوا الاثنين كأنهما جبلين وافترقا كأنهما بحرين متلاطمين وأخذا فى الكر والفر والضرب والطعن والرد والطرد إلى أن تحكمت الشمس فى الزوال وعلا عليهما الغبار واغتسلا الاثنين فى بحر من العرق وزاد بهما القلق وأراد كل منهم أن يتجرد من صاحبه والمسلمون يتحدثون فى أمر هذا الفارس ويقولون صاحبنا هو الغالب وإذا بجواد خرج من قلب المعمعة وهو خال من راكبه فتأملوه المسلمين وإذا به جواد صاحبهم نوفل فأرادوا الهجوم على هذا العبد الميشوم وإذا به خارج من المعمعة راكب جواده وهو مثل الجمل الهائج إذا حل من قياده نوفل أسير وقد قاده حقير وما زال سائراً به إلى أن وصل إلى سيده وقال له خذ هذا عندك أسير ودعه عندك فى قيود الذل والتعثير فقال ويلك ياعبد السوء أنا ما اعرف الأسر ولا القواد ثم نهض من مكانه وقبض على ذلك الأسير قبضة جبار عنيد وشيطان مريد وقد قبض عليه من مرقات بطانه فكسر أضلاعه فى جوفه وخصف صدره ثم أنه صاح فى عبده أرجع اليهم وأهلك شجعانهم وأفنى أقرانهم ولا تأسر أحدا مثل هذا فعاد العبد اليهم وطلب البراز بعد أن توسط الميدان فبرز اليه الشهيد سعيد بن عامر واستقبله بضربة بحسامه أطاح رأسه عن هامه وطلب البراز وسأل الإنجاز وصار كل من نزل اليه من المسلمين يقتله ويجعل من الدنيا مرتحله إلى أن أهلك من المسلمين عشر فرسان أهلكهم هذا اللعين على حد السنان ورجع بعد ذلك إلى حومة الميدان وطلب النزال والطعان فتأخرت عنه الشجعان وهابته الأقران فلما عاين العبد ذلك من الإسلام تمايل عجباً وأوسع فى الميدان دلالا وطرباً وأعجبته نفسه فقال ياويلكم أن لم تبرزوا لى الآن وإلا أهجم عليكم فى الخيام وانزل بكم الهوان وآخذ رؤسكم بحد الحسام (قال الراوى) فبينما العبد يتكلم بمثل هذا الهذيان إذ برز اليه بطل من الشجعان وقرن من الأقران يقال له النعمان وكان فارساً شديد وبطل صنديد وفى الحرب معروف وبالشجاعة موصوف وفى الكرم مشهور وفى وقائع الحرب مذكور هذا وقد انطبق النعمان على هذا العبد فى الميدان من غير أن يبدى له سلام ولا كلام بل قال له ليس مثلى يقاتل مثلك ولم يكن لك قيمة وأنا لا اشتهى أخضب حسامى بدماك فاذهب وأتينى بسيدك وارح نفسك فقال له العبد لا تطيل كلام إذا لم تحمى نفسك فى هذا المقام فوالله ما استتم كلامه حتى ضربه النعمان بحد حسامه اطاح رأسه عن هامه فوقع إلى الأرض صريع يعج علقماً وتجيع وقد تخبط فى دمه وماج

فى عندمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار قال فلما نظر الفارس إلى عبده ورآه قتيل وفى دمه جزيل صعب عليه وكبر لديه وركب على جواده وحرك رأس الجواد إلى نحو الميدان وذلك الفارس المصان وحمل على النعمان وقال له ياويز العرب والجلة والحطب تقتل عبدى وتحرق عليه كبدى ولكن أبشر بالهلاك وسوء الارتباك ثم انه هجم عليه ومد يده إليه من غير حربة ولا سيف ومسكه بيده الواحده اقتلعه من غير سرجه ورفعه على زنده حتى بان سواد إبطه ثم أنه حذفه على قومه وجنده فوقع على عبدالله بن نعيم فاسكنه النعيم وماتوا الإثنين بعد أن نطقوا بالشهادتين وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة وكانت لهم عند الله أعظم منه (قال الراوى) فلما نظر المسلمون إلى هذه الفعال زاد بهم البلبال وخافوا من هذا الفارس الريبال هذا وقد عاين الملعون ذلك فهجم يريد أن يحل بهم المهالك فانهزموا من بين يديه وولوا من جهة على اليمين فلما نظر الفضل ابن العباس ذلك الخبر والوسواس قال للإمام على ياأمير المؤمنين أصدم لنا هذا الفارس بقوتك واهجم عليه بهمتك واقصم لنا نفسه وأرغم لنا أنفه وإن لم تفعل ذلك أورث المسلمين كاس المهالك فأجابه الإمام على إلى ماطلب وحمل على عدو الله حملة الأسد الهجام فلما نظر الفارس إلى الإمام رضى الله عنه قال له من أنت أيها الذى دنا أجله وآن من الدنيا مرتحله لقد أرميت نفسك فى الهلاك وأوقعت نفسك فى الاشتباك فقال له الإمام على رضى الله عنه دونك والقتال والحرب والنزال وإن كنت ماتعرفنى أنا أعرفك بنفسى أنا الليث الغالب أنا على بن طالب قال فلما سمع الملعون منه ذلك الكلام صاح عليه وقال له ويلك أنت أقل واحقر مما وصفته ولكن دونك والبراز ثم حملا على بعضهما وانطبقا والتحما وافترقا والتزما وتقاتلا وتجاولا وتحاربا وتقاتلا قتالا شديداً ولم يزالوا فى قتال ونزال إلى أن كان وقت الزوال وقد حس الفارس من جواده بالتقصير فقال ياابن أبى طالب امهلنى ساعة زمانية حتى أغير حصانى وإلا أشرب كأس المنية فأجابه الامام إلى ماطلب وقال له شانك وماتريد فافعل مابدا لك فان كنت أريد قتلك فا امهلتك إلى الآن فرجع الفارس وهو متعجب من الامام ومن ذلك الاهتمام وغير جواده وعاد إلى الميدان وصال وجال وقد زال همه وطلع الزبد على فمه وصار كأنه الجمل الهائم ونادى بأعلى صوته إن كنت أنت على بن أبى طالب فأنا صاحب العجائب والغرائب أنا خائض الاهوال أنا قاتل الرجال أنا مبيد الابطال أنا صاحب الوقائع المشهورة والقواطع المذكوره قال فلما سمع منه الامام ذلك الكلام قال له أنت المادح بنفسك المتكبر على ابناء جنسك فمن أين تكون وما أسمك بين عربك فقال أنا زهير العامرى

المعروف بين الفرسان فى حومة الميدان أنا قاتل الشجعان قال فلما سمع الإمام على ابن طالب منه ذلك الكلام انطبق عليه وصرخ الإمام على على الملعون صرخة عظيمة أدوت لها الجبال وكادت أن تقطع الأشجار وأراد الامام بتلك الصرخة أن يذهل خسمه وقد تأمله الامام على بعد ذلك الصرخة فرآه ثابتاً قدامه ملازما لحربه وضرابه ولا تأخر ولا انزعج ولا تألم ولا سكت بلسانه قال له يا على يا على مهلك يا ابن أبى طالب مثلى لا ينزعج من فعلك ولا ينطلى عليه سحرك فما تكون أنت وما تكون صرختك ثم حمل على بعضهما البعض حملات منكرات وصرخات مكدرات وقد طال بينهما القتال إلى أن عزم النهار على الارتحال وكان الامام مطاولا له لما رأى من شجاعته وبراعته وأراد بذلك المطاولة أن يميله إلى الإسلام ويبعده عن عبادة الأصنام ولما أن طال بهما المقام وما مال قلبه إلى الإسلام وثب إليه الامام وقبض على مرقات بطنه واقتلعه من سرجه وعلقه على قائم زنده فصار كأنه العصفور على يد الباشق المكسور ثم أن الامام على صاح يا أبا الفضل خذ هذا الملعون أوثقه كتاف وقوى سواعده والأطراف فأخذوه المسلمون أسيرا وقادوه ذليل حقير (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الجارية لما أن نظرت إلى الغلام وهو أسير فى قيود الذل والتعثير كشفت عن وجهها وأرمت نفسها من هودجها وأخذت سيفاً كان معها وركبت جواد سيدها وهجمت على المسلمين فقتلت رجلا وطلبت البراز فلم يبرز لها أحد فحملت على المسلمين وقتلت أربع رجال ونادت يا أصحاب محمد من فيكم يبرز إلى ويقدم فى حومة الطعن وأنتم رجال فلا تهجعون منى فما منكم يماثلنى فإنى معودة بشن الغارات والنبطن فى الخلوات والآن أريد أن آخذ بالثار وأجلى عن نفسى العار وأقتل شجعانكم وأبيد أقرانكم قال فلما سمع الامام على منها ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وأراد أن يبرز اليها فعاد إلى نفسه وقال هذه امرأة ضعيفة فلا ابرز اليها ثم إنه رجع وأمر فارساً بالنزول لها وكان يقال له الصفوانى فامتثل أمر الامام وبرز لها وأراد أن يحاولها فى البراز وإذا بها بادرته بضربة من يدها فوقع الحسام على رأسه فما زال يهوى إلى دكة لباسه وقد وقع قتيل فى رضا الملك الجليل ونزل اليها ثانى فقتلته بلا توانى وقد عظمت فى أعين المسلمين فلما شاهد الامام ذلك خرج إلى الميدان وهو على غير خاطر وصار إلى أن قاربها وقد وكزها بعقب الرمح أرماها وعلى وجه الأرض أدناها وأراد أن يأمر بأسرها وإذا بها بادرته فى الكلام وقالت له أيها الفارس الهمام أطلق سبيلى واعف عنى فانى قائلة على يدك قولا عدلا مخلصاً أشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمد رسول الله وفى الوقت لمعت الأنوار على جبينها واستنارت طلعتها فجعلت تنشد وتقول :

أن الزمان رمانى منه بالمحن	وذلنى بفراق الأهل والوطن
وفاضت دمعى على الخدين منهمل	ياليت شعرى لذاك البين لم يكن
ياويح باكية تبكى على بطل	قد كان يسعفها فى سالف الزمن
فاليوم أفجعتنى فيه أبا الحسن	فجد على ببعلى يا أبا الحسن
وامنن على به ياسيد العرب	كفاك ربى إلهى سائر المحن
إنى أصلى على المختار من مضر	هو الذى قد أباد الشر والمحن
عليه منى سلام دائماً أبدا	ماهب ريح الصبا فى سائر الزمن

(قال الراوى) فلما سمع الامام على من الجارية ذلك الكلام والشعر والنظام نادى يازهير انظر إلى زوجتك فانها قد أسلمت وأمرها إلى ربها سلمت وصارت لنا فى سائر أمورنا فإن أسلمت أنت الآخر فهى لك وإن لم تسلم أنت الآن زوجتها لغيرك وهى طالقة منك الآن لأنها خرجت عما هى فيه من الأوهام وتركت عبادة الأصنام والأوثان وشهدت لله تعالى بالوحدانية ولرسوله بالمعجزة الربانية وإنى قد أعلمتك بما فيه الخير والصلاح وإن لم تسلم فى هذا الصباح وإلا أسقتك الموت بحد الصفاح قال فلما سمع زهير من الامام على ذلك الكلام قال له ياأبا الحسن الآن الآن قلبى وهدانى ربى وراق ذهنى ولبى وقد جعلتك إلى صديق واتخذتك من دون الناس لى رفيق فمد الآن يدك إلى فانا قائل على يدك قولا عدلا كذلك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله لامغير ولامبدل ولاضال ولا مفتون فعند ذلك قام له الامام على وحله من وثاقه وضمه إلى صدره وفرح الامام وفرح المسلمون فرحا شديداً ثم أن زهيراً قال سيروا بنا إلى ماتريدون فها أنا لكم رفيق فى كل أمر مضيق ومحل ماتمضون أنا معكم فقال الامام على أعلم يازهير إننا سائرون إلى بلاد اليمن قاصدين إلى مخارق بن شهاب الملقب برأس الغول وقد أمرنى بذلك الرسول فلما سمع زهير من الامام على ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال والله ياإمام ما مشيت فى هذه الأودية إلا قاصدا إلى هذا الجبار وهذا كان لسبب عجيب أريد أن أعلمك به (قال الراوى) ثم أن الأمير زهيرا قال للامام أعلم ياأبا الحسن أن هذه الجارية كان لها أخ من الشباب وكان يركب الخيل ويخوض الليل ويشن الغارات على المسافرين وكان له تذكار عظيم فسمع بخبره ذلك الملعون فا كمن له فى الطريق مايزيد عن ألف بطريق ومازالو

مكنين إلى أن جاز عليهم فقبضوه إلى رأس الغول وجوره وهو إلى الآن فى بلاد رأس الغول مأسور فى قيود الذل والتعثير وإنى ياسيدى لما سمعت بهذا الخبر أخذت جاريتى هذه وعبيدى وسرت قاصداً إلى تلك الأرض والبلاد بعد أن أمرت سائر رجالى بالالتحاق ولم أزل سائراً إلى أن وصلت إلى هذا المكان وجرى بيننا ما جرى من الأحكام وكان من امرنا ما كان والحمد لله الذى هدانا للاسلام وبقينا نعبد الملك الديان فقال له الامام على رضى الله عنه نحن معك إلى ما تريد ولا بد أن تخلص لزوجتك أخاها ونهلك أعداك واعداءها ثم أنهم باتوا تلك الليلة على مثل هذا الكلام وهم فى ألذ عيش وأعظم طعام قال ولما أصبح الصباح صلى بهم صلاة الافتتاح وأمرهم بالمسير فساروا ولو أن لهم أجنحة لطاروا ولم يزالوا سائرين إلى مدة أربعة أيام وفى خامس يوم فرغت المياه التى كانت معهم فشكوا من العطش إلى الامام على ابن أبى طالب فقال الامام ابن عمرو بن أمية الضمرى فاجابه بالسمع والطاعة فقال الامام ياعمر ومايقال لهذه الأرض المدهشة فقال ياأمير المؤمنين مدهشة معطشة وذلك الوادى واسع الجنبات كثير الأقطار وهو سكن الوحوش فى القفار قال فلما سمع الامام على من عمرو هذا الكلام قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولكن ياعمرو هل تعرف فى ذلك المكان أنهارا وغدرانا فنسقى منها الماء وإلا عدمنا الحياة والقوى فقال عمرو إنى أعلم أن بهذه الأرض بئراً وهى لخيرة فى الأرض ولكن لاأعلم أن بها ماء أوهى ناشفة والآن ان أمرتنى أسير اليها وآتيك بالخبر فقال له الامام شأنك وماتريد ثم أن عمرو تركهم وسار فى طلب الماء هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الجيش فإنه جد فى المسير إلى أن تضاحى النهار وكثرت فى أعينهم القفار واتسعت بين أيديهم الأقطار لأنهم قد وقفوا بأرض موحشة مافيها حشيش الراعية ولا فيها من الماء مايبل به الإنسان الرمق وقد حاروا وأخذهم القلق وقد ضاع منهم الرأى وقال الفضل بن العباس للامام فماذا تصنع من الرأى فقال نسير كلنا على طريق واحد ونطلب النصر من القادر الماجد حتى ننجو من تلك المجاوز فان كان لنا نجاة ادركناها وإن كانت الآجال فرغت قضيناها ثم انهم ساروا كما أمرهم الامام على طريق واحد وما زالوا سائرين إلى أن تحكمت الشمس فى قبة الفلك وأوهج البر وتحرك ومن شدة التعب والظمأ التجوا إلى بعض الشعاب ونزلوا على الأرض وقد قل نشاط الخيل وعدم من الخيالة الجلد والحيل وقد فتحوا الجميع أنوفهم وأفواههم إلى الهوى وجعلوا يستنشقون الريح إذ قوى وكل هذا بقضاء الله تعالى

وقدره ولعلو منازلهم عنده وليعلمهم فيهم من الصبر الزائد والقلب الجامد كل هذا يجرى والامام على مشتغل القلب لأجل عمرو بن أمية ولم يزالوا كذلك إلى أن جاء وقت العصر وجدوا فى المسير على برد الهوى من وقت العصر إلى أن طلع الفجر وهم يسعون فى مشيتهم لأجل أن يخرجوا من تلك البرية التى جاءهم منها كل أذية ولما أصبح الصباح وجدوا البرقدا تسع عليهم لجدوا فى مسيرهم وزادوا فى نشاطهم وكان الذى فى ظنهم أن ينتهوا إلى آخر الوادى هذا وقد حميت عليهم الشمس وزاد الحر وتضاحى النهار وتوقدت الأقطار وزادت على القوم النار وقصرت الخيل من شدة العطش والظمأ وأيقنوا بالهلاك والفنا ولا عاد يلتفت الصديق إلى صديقه وقد نزلوا الجميع من على ظهر خيولهم وارتموا على وجه الأرض كالموتى وكل منهم يقول لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فلما عاين الامام على رضى الله عنه ذلك رفع رأسه إلى مالك الممالك وقال اللهم يامن عن خلقه قد احتجب فلا يرى يامن أخرج النبات والمرعى ويامن أخرج من ظلمة الاحشا نسمة تسعى ويامن قهر الجبابرة المتمردين قهرا أسألك بحرمة نبيك المصون واسمك المكنون الذى فضلت به فواضل التفضيل يا أحكم الحاكمين اختلفت اللغات وظهرت الاسماء وتقابلت الأفعال وتصرفت الأملاك فلك فى سمائك ملائكة يسبحون أسألك اللهم بحق حبيبك محمد ﷺ الذى فضلته على جميع الأمم إلا ماأرسلت لنا فرجا من عندك يا الله يا الله يا الله يارب العالمين ونجيتنا من هذا الضيق وجعلت لنا مخرجا ودليلا على الطريق الحيد وهديتنا إلى الصراط المستقيم المديد أنت الذى تنجى من اللجج الغريق مولانا قد حارت منا الخواطر وأنت أعلم بالسرائر والضمائر أسألك باللوح والعرش وماحوى من الاسماء وأنت ترزق الطير والوحش أن ترزقنا من السماء ماء تبرد به أكبادنا من العطش والظمأ قال فما تم الامام على هذا الدعاء حتى عطف الله عليهم بجميل العوائد وسبب لهم أسبابا تنجيهم من الهم والشدائد لأنهم كانوا سائرين فى بحر محرق وهو أسود كثير الصخور والجلمد وقد سبت منهم رطب الأنفاس ونمش منهم الارواح وجميع الحواس وإذا قد نبع من ذيل السماء قرن وعلا وارتفع ونما وطلع له نور بعد التكدر وصفى بعدما تعكر ومازال ينمو طوله والعرض حتى التحم بعضه فى بعض فمنع شعاع الشمس أن يقع على الارض وتكاثرت عيونه وقدم نوره واجتمع وتارة تضربه الرياح فينقطع ويعلو فى الجو ويرتفع ويسير سير المركب إذا جدت فى مسيرها أو السفن إذا انتشرت قلوعها وعادت من الريح زوبعة إلى أن التمت وصار عصابة بأمر الذى خلقه وسواه

وأطلعه وأنشاه وطلع من وسطه خيمة سوداء وازدادت فى الانتشار حتى ملأت البيد ولم يزل ينمو عددها ويزاد سوادها حتى صار النهار ظلاما والغيم غماما وألقت على المشرق قناعها ومدت على المغرب باعها وفرشت على الأرضين ذراعها فعاد النهار ليلا دامس والضيا ظلام معبس ولعبت الرياح بأذيال السحاب وحنت وأنت فى جنباتها وضربتها بصوارم البرق فأسالتها على جنبات تلك الأرض وضجت وتمرمرت ودربك الرعد وتقعقع ولمع البرق وكان قد علا من أمواج أجاجة وراق انزعاجه وضاق فجاجة وكثرت أمواجه واحمرت عقايقه وضرب فيه أرياح الجنوب كأمره علام الغيوب فانهجم وخرس لسانه والتجم وهطل على الأرض ودمدم وهطل على الجبال مطراً كأفواه القرب وفى دون ساعة سمع للأودية خرير وقد استأنس ذلك البر الهجير وتلاطم وسار يجرى كجرى النيل وفرحوا جيوش الاسلام بما قدمن عليهم الملك العلام لكنهم قد التجأوا إلى الشعاب خوفا من الغرق وقد زاد عجبهم فى هذه القدره التى لا يقدر عليها إلا الذى خلق الإنسان من علق وقد رووا خيولهم وبردوا أكبادهم وقلوبهم وبعد ذلك صفا الجو وصحا وقد كان لهم فى ذلك اليوم نجاحا وفرحا وانكشفت الطرقات الدارية وسار الماء فى تلك الأرض مثل الآبيار العميقة الهاوية أو البرك المتسعة الجارية وقد لاح وجه السلام والحمد لله الملك العلام الذى أرسل لهم هذا الغمام وتيقنوا أن لهم النصر من الملك العلام ذى الجلال والاكرام (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من الامام فانه أقام لأجل راحة الرجال ثلاثة أيام حتى ذهب من الأبطال ما كان اعتراهم من العطش والخبال وقد زاد قلق الإمام واشتد على عمرو وجدوه فكرة وقد علم أنه انعاق فى طريقه فقال الإمام على رضى الله عنه أين عبدالله بن أنس الجهنى فقال له لبيك ياأمير المؤمنين فقال لاشك أن عمرو بن أمية قد انعاق فى الطريق من حين أرسلته يكشف لنا خبر الماء فما ظهر له خبر ولا جلية أثر وإنى أريد أن تذهب اليه وتنظر ماذا جرى عليه واحذر من الأعداء الذين فى الأرض والبيدا وكن فى أمرك على عجل فقال له السمع والطاعة ثم أن عبدالله انطلق من تلك الساعة وأعطى رجليه للريح وسار وصار الامام على ينتظر الإثنين طول ذلك اليوم وتلك الليلة فلم يأت منهم أحد إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد تعالت الشمس وتضاحى النهار وإذا بالغبار قد تعالى وسد الأقطار وانكشف الغبار بعد ساعة وبان عن البطلين والشجاعين وهما عمرو بن أمية وعبدالله بن أنس الجهنى فلما تحقق ذلك الإمام على والمسلمون هللوا وكبروا وحمدوا الله على سلامتهم

وشكروا وقاموا لهم على الأقدام واستقبلوهم بالترحيب والإكرام وسلموا عليهم عصبة الإسلام وبعد أن أخذوا حظهم من السلام جعل الإمام يسألهم عن أخبارهم وقد قال ما الذى جرى عليكم فى هذا البر الأقفر والمدلهم الأغبر اخبرونى ما قد جرى لكم قال فتقدم إليه عبدالله بن أنس وقال له أما أنا فقد جرى لى أمر عجيب وكلام غريب وهو أنى يا أمير المؤمنين لما أن سرت من بين يديك وتبطنت فى ذلك البر والآكام إلى أن جاء وقت العصر فبينما أنا سائر وإذا بغبار قد طلع وبان وعلا حتى التحق بعنان السماء وضربته الرياح فتمزق وكان ذلك عند البئر وأرض الغدير الذى كان قاصدها عمرو بن أمية الضمرى فتأملت إلى ذلك الغبار وإذا هم أبطال وشجعان وأقران يزيدون عن الف فارس كرار وقد تأملت منهم فرأيتهم قاصدين نحوى فعند ذلك حدثنى قلبى أنهم أعداء إلى أهل الإيمان وأنهم قد قبضوا على عمرو بن أميه فاردت أن التجىء إلى الغدير أو إلى البئر فلم أرى بهما ماء ولا روى ثم إنى تفكرت فى نفسى وقد خفت أن يلحقونى من تعبى فنزعت ما كان على من الثياب وحفرت لهم حفرة ووضعتهم فيها وغطيت عليهم بالاحجار وغطيت الأحجار بالتراب فبقى ذلك مثل القبر ثم أنى أخذت حجراً محرفا وضربت به رأسى فسال منها الدم وأيضا جرحت ساقى فسال الدم على سائر جسدى فتلطخت بالدم وتوشحت بقطعة رداء كنت أدخرها لمثل هذا ثم إنى جلست على ذلك القبر وجعلت أبكى وأنوح من كبد عليل مجروح وصرت أحثوا التراب على رأسى وأنادى هل من مجير هل من نصير ولم أزل على هذا الكلام إلى أن توالى الفرسان وسألونى عن حالى وما الذى جرى على من الأهوال ومن أى العرب أنت وإلى أين سائر فقلت لهم مسرعا فى جوابى اعلموا ياقوم إنى أنا رجل من أشراف بنى هذيل وكان لى مال جزيل وخدم وعبيد وفى تلك الأيام قل مالى وعسر حالى فخرجت أنا وأخى هذيل نقصد قبائل عرب بنى رباح نطلب منهم الاحسان فاعطونا خمسة رؤوس من الخيل وعشرة من الإبل فشكرناهم على فعالهم وسرنا فى تلك الآكام إلى أن وصلنا إلى هذا المكان فبينما نحن سائرون وإذا بالإمام على قد طلع علينا فى جملة من رجاله وقد احتاطت بنا سائر أبطاله فأخذوا ما كان معنا وجردونا من ثيابنا فتقدم أخى اليهم وقال لهم لاتبغوا علينا يا سادات العرب فما أنتم أهل الجود والأدب ونحن رعايا كم فلأى شىء تظلمونا وبأى وجه تتعدوا علينا ببغيكم فلما سمعوا من أخى ذلك الكلام قتلوه وعلى وجه الأرض جندلوه وكان أخى هو الأصغر وأنا الأكبر وقد هجموا على ليقتلونى فاستغثت بهم فما قتلونى وما جرحونى بل جرحونى هذه الجرح كما ترى ومضوا عنى

وتركونى ثم إنى ياسادات العرب دفنت أخى ههنا وصرت قاعداً أبكى وأنوح من كبد مجروح وهذه حكايتى ثم إنى ياأمير المؤمنين أزددت فى البكا والانتحاب وعملت عليهم الحيل حتى أنهم رحمونى وتقدم إلى كبيرهم وقال لى ياشيخ طب نفساً وقر عيناً فها نحن نعطيك من المال أكثر ماذهب منك ونأخذلك بثار أخيك ونخلص حقك من أعاديك فسر معنا الآن إلى خيامنا فقمت ياأمير المؤمنين وأنا أمشى تارة انكفى على وجهى كل ذلك ودموعى على خدى تجرى ولم أزل معهم إلى أن وصلنا إلى الخيام فرمقت بعينى مثل الثعبان وإذا أنا بعمرو بن أمية فى شدة الهوان وهو مربوط فى القيود والأغلال والباشات الثقال فجعلت أرمقه بعينى وإذا بكبارهم التفتوا وقالوا لى ياشيخ أماتدرى من هذا قلت لا قالوا عمرو بن أمية الضمرى ساعى ركاب محمد ﷺ قال فلما سمعت ياأمير المؤمنين ذلك تحسرت وزاد كربى وجعلت أضربه بالأحجار الكبار والصغار وقد أقبلت عليه وقلت له وحق اللات والعزى والهبل الكبير الأعلى لابد لى أن أقطع يديك ورجليك واحرق بصوابعى عينيك واقطع رأسك وأخمد أنفاسك وآكل لحمك وأشرب من دمك وأحرق عظمك يامقطوع النخاع ياشيخ السوء ما كفاك أنت ومحمد هذه الأسحار والحيل والخداع ولكن الآن فما بقى ينفعكما سحركما ثم أنى ياأمير المؤمنين نظرت عن يمينى وإذا أنا برجل من المتوكلين بعمرو وفى يده سوط فجذبت منه السوط وجعلت أضرب به عمرو حتى أوجعته ضربا ثم إنى جعلت أعضه فى أذنيه وفى يديه وهو يستجير فلا يجار ثم أنهم ياأمير المؤمنين لما عاينوا ذلك منى صدقونى فى كل أمورى وقالوا لى ياهذا تسلم هذا المكار وتوكل بعذابه فى الليل والنهار وخذ منه بالثار وأجل عن أخيك العار ولكنك لا تغفل عنه ولا تهمله لئلا يقتلك بمكروه ويعود علينا بشره فقلت لهم السمع والطاعة وفى تلك الساعة تسلمت عمرو من المتوكلين وجعلت أعاقبه ثم انهم قالوا لى فى غد نعطيك مثل هذا الذى أخذه منك على بن أبى طالب من الخيل والجمال ونزيدك مثلهم فماذا تقول فقلت لهم اعلموا ياقوم أنى رجل ضعيف ليس لى قدره على الخيل والجمال لانى أخاف أن يعيقنى الإمام ويأخذهم منى قهراً مثل مافعل نى أولا أن ظفر بى ثانياً فانه يقتلنى فلما سمعوا منى ذلك الكلام ياأمير المؤمنين أمر لى كبيرهم بمائتى دينار وفى الحال اعطوهم لى وقالوا لى احفظ هذا الشيخ واحرص ان يهرب منك فقلت لهم سمعاً وطاعة ثم إنى جعلت أضرب عمرو إلى أن كاد أن يغشى عليه وقد كربته بالضرب الوجيع وصار يستغيث فلا يغاث وأنا لا أرحمه وهم يتعجبون منى ولم أزل على ذلك إلى ان تنصف الليل وخدم نجم سهيل وغلب على القوم المنام وهجعت منهم الأبدان ثم إنى لما علمت بذلك وثبت قائماً على أقدامى وحللت

عمرو من وثاقه وقلت له اتبعنى ياعمرو فتبعنى فخرجنا من الحى إلى ظاهر الخيام ثم إنى ناديت لهم ياأهل غطفان الخيل الخيل فى غدو الليل فانى قد هربت وعليكم باحتيالى دخلت وها أنا عبد الله بن أنس الجهنى صاحب محمد ﷺ وقد خدعتكم وأخذت مالكم واطلقت أسيركم وها أنا سائر إلى الإمام على وأعلمه بما قد جرى من تلك الأحكام فابشروا بالذل والويل فلابد أن يأتيكم الامام ويزيح رؤسكم بحد الحسام قال ثم أن الأمير عبد الله قال للامام على فلما أن سمعوا منى ياأمير المؤمنين ذلك الكلام ركبوا خيولهم وجدوا المسير فى طلبنا ونحن رجال وهم خيالة فوالله العظيم مالحقوا منا غير الغبار فعادوا على أنفسهم بالملامة ورجعوا بالخيبة والندامة ولم نزل مجدين المسير إلى أن وصلنا إلى المكان الذى فى الطريق فاخذت منه حوائجى ورجعت عندك بالسلامة وسألتنى اخبرتك بما قد جرى على من أحوالى ولكنى إلى الآن ماعلمت ماجرى على عمرو بن أمية من الأسباب فدعه يحكى لنا ماجرى عليه وكيف انهم قبضوه فقال الامام على حدثنا ياعمرو بما جرى لك فى سفرتك هذه (قال الراوى) فقال عمرو أعلم ياأمير المؤمنين إنى لما سرت أنظر بئر ماء الغيره والتقدير فوصلت اليها مثل الريح الذى يسير ونظرت إلى الغدير الذى هناك فوجدته خالياً من الماء فاردت أن أعود اليكم وايقنت أنكم فى انتظارى فبينما أنا على تلك الحالة وإذا بفارس من صدر البرية قد أقبل على وقال لى ياشيخ من أنت ومن اين اقبلت وإلى اين تريد وكيف تركت حبيبى ﷺ فقلت له وقد ظننت أنه من أحباب رسول رب العالمين وإمام المتقين أمامن خصوص محمد فقد تركته فى خير وتمام عافية شاملة وأماسؤالك عنى فانا من أصحاب محمد الذى ذكرته أنا البطل القوى والريح الجرى أنا عمرو بن أمية الضمرى ساعى ركاب النبى وإنى سائر فى طلب الماء وقد أخبرته ياأمير المؤمنين بما كانوا فيه اخواننا من أمر العطش والظما ثم إنى أنا الآخر سألته وقلت له وأنت من تكون أيها البطل الهمام المحب لسيد الأنام فقال أنا كبير بنى غطفان وجميع قومنا من أهل الإيمان وإنى قد سمعت بذكرك ياعمرو وعلمت إنك ساعى مثل الجمر ولكن أبشر بما يسر خاطرك ويزيل همومك وضررك وكن واقفاً مكانك حتى نأتيك بالماء من عندنا تبل به رمق قومك إلى أن تصلوا إلى الغدران ثم انتهى ياأمير المؤمنين إلى قومه وقال لهم بأعلى صوته ويلكم يابنى عمى أنتم مقيمون فى الهنا وتتركون أحبابكم فى شدة العنا وإنى أعلمكم أن عمرو بن أمية الضمرى فى تلك البرية يتجسس على الماء وفى صحبته الإمام على بن أبى طالب وهو الآن خلف الجبل فادركوه وكنت أنا اسمع ذلك النداء فحسبت أنهم يدركونى بالماء فبينما أنا كذلك وإذا بالخيل من

الأربع جهات قد هلت وإلى نحو تبادرت وعلى أقبلت كل ذلك وأنا ثابت مكانى لا أتحرك إلى أن وصلوا عندى وقبضونى ومسكونى وربطوا يدى ورجلى وسحبونى وقالوا لى ياابن العاهرة والرجال الفاجرة أنت تظن أن أحدلا يقدر على مكركم ودهاكم هانحن قد قبضنا عليك باحتيالنا ولا بقى لك خلاص من أغلالنا والآن بقيت أسيرنا وأنا لا أرد لهم جواب ولا أبدى لهم خطاب ثم صاروا يضربونى بالسياط وأنا أصيح وهم يسحبونى على وجهى حتى انتهوا بى إلى خيامهم واجتمعوا على كبارهم وصغارهم وصاروا يضربونى ويضحكون على وكان أول من تقدم يضربنى الذى كان قابلنى وقد أتانى بجنزير من الحديد والبسنى إياه وله جنازيز من ذات اليسار وذات اليمين وهو يدور طوقه فى عنقى فتأسفت على هذه الفعال وقلت كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنى أقمت على تلك الحالة المشئومة إلى أن خرجوا إلى الصيد والقنص وعادوا إلى آخر ذلك النهار ومعهم أخى عبدالله وقد فعل مافعل ومازال يتحيل بكل الحيل حتى خلصنى من أيديهم ولكنه ياأمير المؤمنين أوجعنى الضرب والعذاب الأليم ولما خلصنا وخرجنا إلى الخيام صحنا عليهم كما تقدم وسرنا مجدين السير وهم خلفنا فلم يلحقوا منا أثر وقد أتينا عندك وبما جرى أخبرناك وهذا ماأتم لى هذه النوبة قال فلما سمع الامام ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال الامام والله لولا أنى أخشى طول الغياب لسرت نحوهم وقتلتهم عن آخرهم ولم أبق منهم بقية وعلى كل حال أنى سأقى قضاء حاجة ابن عمى محمد ﷺ فلم أتوان عنها (قال الراوى) ثم أن بعد ذلك أمرنا الامام بالمسير فسرنا جميعاً ذلك اليوم وتلك الليلة ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بكوكبه ولاح أشرفنا على جبال العتيق فنزلنا فيها وأرحنا أنفسنا نهارها وهى أرض ذات أشجار وانهار (قال الراوى) فبينما هم مقيمون وإذا بصرخة عظيمة ارتج منها الوادى واظلم منها الجو وكادت نفوس القوم ان تندهش فعندها قال لهم الإمام لاتخافوا ولاتفزعوا وأنا أكشف لكم الخبر وأنا أظن أن هذه الصرخة صراخ الجن ولم يكن ذلك للانس ولكن كونوا على حالكم ثم ان الإمام تركهم ومضى إلى نحو الجبل وإذا هو بشيخ نحو تلك البرية يتوكأ على عصاة فى يده ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى الإمام وقبل يديه وقال أهلا ومرحباً بالإمام أمير المؤمنين لقد اضاءت بنور وجهك واشرقت بلادنا بنور طلعتك ثم أن الشيخ جعل يمدح الامام بهذه الابيات

أهلا وسهلا بالامام حيدر صهر النبى الطاهر المطهر صاحب القدر العلى الأفخر
قاطع الأعدا بحد الأبتر ابن عم المصطفى سيد مضر صاحب الحظ الجزيل الأوفر

عليه السلام منى المكرر لأحمد المبعوث خير البشر أرجو به من الكريم المغفر
والشفاعة غدا فى يوم المحشر

(قال الراوى) فلما سمع الامام على كلامه وحسن نظامه قال له الإمام من تكون يها الشيخ من الجان ولمن هذا الصراخ فى الوديان فقال له أنا شمروخ ابن أرضيا وأنا اسألك بحق النبي ﷺ أن تشرفنا فى هذه الليلة بإقامتك عندنا ليحصل لنا ببركتك كل الهنا ويبعدعنا بفضلك العنا فقال الامام أيها الشيخ اعلم انى ليس لى مقدرة على ذلك لأنى سائر فى حاجة الذى أقسمت به على ولالى إلى الإقامة سبيل لأنى سائر فى حاجة رسول رب جليل (قال الراوى) فبينما الإمام يتحدث مع شمروخ وإذا بالأسمطة قد امتدت وعلى وجه الأرض فرشت والصوانى من فوقها وضعت والأوانى قد امتدت والفواكه من سائر الأغصان قد أقبلت ووضعت والمياه قد تبردت والرجال من الجن فى الخدمة قد وقفت ثم أن شمروخ قال ياأمير المؤمنين سألتك بالله العظيم والرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم أن تجبر بخاطرى أنت ورجالك جميعهم لأن قصدى أتشرف بكم وتأكلون زادى (قال الراوى) فنزل الإمام على وحضر كل الرجال واصطفوا لأكل الطعام ثم انهم أكلوا حسب الكفاية ثم ارتفعت الأوانى وغسلت الأيادى وأقاموا ذكر النبى الهادى ثم أن الإمام بعد الأكل ودع شمروخ وركب وركبت المسلمون وساروا من خلفه وهم طالبون بلاد رأس الغول فلما ساروا قال الإمام على أين عمرو بن أمية الضمرى قال له لبيك ياأمير المؤمنين قال له سر من وقتك وساعتك إلى رأس الغول واكشف لنا خبر ذلك المقتول المهان المذلول واعلمنا بما يكون من أمره هو وجماعته وفى اى أرض وانظر أين تكون جيوشهم (قال الراوى) فاجابه بالسمع والطاعة ثم سار من تلك الساعة ومازال يجد السير ليلا ونهاراً ويقطع البر والقفار إلى أن أشرف على أول واد من أودية رأس الغول قال عمرو وقد قتلنى الجوع فرمقت بعينى فرأيت بستاناً كثير الثمار فبينما أنا أتأمل فيه إذ نظرت إلى نخلة عالية وعليها رجل وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

يلومنى العوازل فى هواها فاقول ليس لى حب سواها فقال من تحب فقلت هند دواء عينى إذا عدمت دواها فقالوا اخذ لنفسك أحد سواها فقال لا وحق شعرها وثناها فقالوا لو تشاء سلوتها وتسليت عنها فقلت لا أسلاها ولو مت فى أرض بعيدة فانا متيم بها قتيل هواها وأرجو النصر من الذى سواها وجعلها فتنة لكل عين تراه

(قال الراوى) قال عمرو فهمت من هذه الأبيات أن القوم علموا بخبر الامام وبجيئه اليهم بالعساكر قال عمرو فدنوت منه وقلت له ياغلام جييت بالسلام ووفيت جور

الزمان، الأيام أعلم إنى رجل غريب وعابر سبيل وقد فرغ زادى والضنى فؤادى فهل لك أن تزودنى بشىء من الزاد (قال الراوى) فلما سمع منى ذلك قال لى أدخل ياشيخ فأهلا وسهلا بك فإن لنا ظل ظليل فأبشر بطريق النعيم وعليل النسيم قال عمرو فدعو فى تحت ظل الشجرة فنزل الغلام من فوق النخلة وفى يده سل ملان من الرطب وقال لى كل ياشيخ فأكلت وقلت له جزاك الرب فراش خير وأنا اسأل الرب فراش أن يطيل عمرك ثم إنى قعدت اتحدث معه فقال من أنت أيها الشيخ وإلى أين سائر ومن أين أقبلت فقلت له إنى رجل غريب قد قل مالى وضعف حالى وأنا رجل شاعر على المعانى قادر واعلم أن أكبر قصدى إلى الملك العظيم والبطل الصنديد مخلوق بن شهاب أمدحه بالأشعار واظهر له فصاحة اللسان وطيب الكلام فقال لى ياشيخ ان سألت عن الملك الذى تذكره فانه لا يعنى بشىء مما أنت فيه الآن لأنه كان هنا رجل من بعض أعوانه وأعلمنى أنه سائر لمحمد الساحر ثم قلت له واين يكون محمد الساحر الذى تذكروه فلما سمع منى هذا الكلام أقبل إلى وتأملنى طويلا وجعل يطيل النظر إلى وقد أصفر لونه واقترب كونه وكذلك أنا الآخر سقط قلبى وشوق خاطرى ولكن ثبت جنانى فقال ياشيخ قد اقشعر منك بدنى وما أظن إلا أنك عيار أو جاسوس أتيت من عند محمد الساحر ولكن إن كنت شاعر لبيب صف لى هذه الحديقة ومافيها من الأشجار والأنهار والأطيار وإن لم تصف لى ذلك فانت جاسوس من عند محمد الساحر وهذا كله منك خديعة ومكر وحيلة فقلت له لقد أنصفت فى كلامك وجعلت أقول هذه الأبيات

حديقة من أحسن الحدائق أنهارها تجرى كدمع العاشق
أنوارها تعجب كل سائق طيورها ترفع كاليواشق
أثمارها كالدر والعقائق نسيمها يحيى الفؤاد المارق
صنعة رب عظيم خالق يعلم بكل صامت وناطق

(قال الراوى) قال عمرو فلما سمع منى ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال لى أحسنت أيها الشاعر الأديب صاحب اللسان اللبيب والله لأعطيك الزخيرة التى ورثتها من أبى وهو طوق وإنى لا أملك غيره فخذه منى وأقبل عذرى واقعد فى مكانك حتى أمضى إلى القواص وهو صاحب هذه الحديقة واخبره بخبرك لانه يحب الشعر والنظام فيحصل لك من الخير والاكرام قال عمرو فقلت له أفعل ما بدا لك واعمل معى ما أنت أهله فانه الآن قد صار لك على الحق والاكرام وصرت فى ذمامك منذ أكلت الطعام وأما الآخر لى عليك حق الامانة فيبارك فيك الرب فراش قال عمرو فتركنى الغلام وصار وقد دخل على القواص وسلم عليه وقال له

اعلم أيها الأمير إنى كنت فى رأس الوادى فى الحديقة وإذا برجل غريب ما رأيته مثله لأنه ذو لسان فصيح وعليه شعر صادق المقال وهو عارف أديب شاعر لبيب وقد نزل عندى فأطعمته رطباً وقد ذكر لى أنه يريد الملك طارق بن شهاب وقد سألنى أن أكون له رفيقاً وخلا صديقاً وقد أعلمته بأمر الملك وما هو فيه من الأمور وقلت له اقعد عندى إلى أن أخبر صاحب الحديقة فأجابنى إلى ذلك فتركته هناك وقد جئت عندك فأرسل أحضره هنا بين يديك فانه فاكهة عديمة (قال الراوى) فلما سمع القواص من الغلام ذلك الكلام قال له أمض وائتنى به سريعا عاجلا فرجع إلى الغلام واخبرنى بما قد جرى من الأمور ثم قال لى قم معى عند القواص فقمت معه وأنا تارة اتوكأ على عصاة وتارة أجر رجلا وتارة أقع من طولى من شدة حيلى ولم أزل كذلك حتى وصلت إلى باب الخيمة فدخل الغلام إلى الأمير وعاد إلى سريعاً وفى يده كرسى فوضعه ووضع عليه الفراش واجلسنى هذا وقد أقبل على الأمير بوجهه أوهو فى داخل الخيمة فى سريره ولما أن اقبل قمت من مكانى ووقفت بين يديه وقلت له ايها الأمير حييت بالجود والسلام والخير والكرم فازالت ديارك معمورة ورايات خير عليك منشورة فاعلم أيها الأمير إنى كنت سيداً فى قومى والآن قد قل مالى وتغيرت أحوالى وسرت قاصداً إلى هذا الملك العظيم والبطل الكريم فعسى أن تكون سبباً لإيصالى اليه فقال اجلس عندى قليلا فجلست عندة وقد أحسن إلى وصار يحدثنى بحديث العرب القديمة ووقائعهم وسيرهم المذكوره فأجبته عن كل ما سألنى عنه بافصح لسان وأوضح بيان ثم اجتمعوا الناس من حولى وكلهم متعجبون من سرعة جوابى ولذيذ خطابى وفصيح لسانى فتزاحمت الناس على فخشيت أن يعوقنى منهم أحد فرفعت رأسى اليه وقلت أيها الأمير أن خلفى أطفال وعيال قد قتلهم الجوع فعجل باتصالى إلى الملك (قال الراوى) فلما سمع منى ذلك الكلام نهض من وقته وساعته وتوجه حتى وقف بين عدو الله رأس الغول وقال أيها الملك الهمام والبطل الضرغام قد وقعت إلى تحفة عجيبة ما سمع بها الزمان واردت أن أتحفك بها فقال عدو الله رأس الغول وما هى ياقواص فقال أيها الملك اعلم إنى قد قدم لى رجل وهو شيخ كبير وقد قاسى فى طريقه الأهوال وترك عياله وأطفاله وقد جاء اليك يريد جزيل العطاء وهو شاعر نحرير فى كل الأمور وخبير (قال الراوى) فلما سمع عدو الله رأس الغول ذلك الكلام من القواص قال واين هو ائتنى به فى عاجل الحال لعله يسليني على هذه الأحوال فاجابه بالسمع والطاعة ثم أن القواص من تلك الساعة جاء إلى وقال ياشيخ إذا رجعت من عند الملك أنعمت عليك أنا الآخر بنعمة تستعين بها على عيالك وأنا راجع إليه

حفظ الوادى لأنى متوكل بحفظه فقلت له جزاك الرب فراش خيراً قال عمرو ثم إنى سرت حتى إنى دخلت عند عدو الله رأس الغول فوجدت عنده رجالا وأبطالا لا يحصى عددهم إلا الله الكبير المتعال وهم يموجون كموج البحار فاندهش من ذلك عقلى وطاش فكرى ثم إنى نظرت إلى الخدام والعبيد والخيل فوجدتهم بعدد الرمل والحصا (قال الراوى) فلما نظرت إلى الخيمة وجدتها مرصعة بالدرر والجواهر ومن حولها عشرة آلاف ملوك وهم واقفون على سرادق عدو الله وله حراس من الناس ولما أن رأونى على هذه الحالة دخل واحد من الحجاب وقد أعلم الملك بحضورى وقال له أيها البطل أن الرجل الذى أخبرك به القواص قد حضر وهو الان خارج السرادق فلما أن سمع الملك منهم ذلك الكلام أذن لى فى الدخول فدخلت وقد أظهرت له الفقر والمسكنة وقد رأيت الملعون جالس على كرسى من الذهب الأحمر وعلى رأسه تاج عظيم فلما وقفت بين يديه قلت له أدام الرب فراش عزك وأطال عمرك بالسرور ووقاك مودة الأيام والدهور وزادك رزقا مزيداً ولا زلت منصوراً مؤيداً وكفاك كيد الأعداء ونصرك على من يعاديك ثم إنى بعد هذه الدعوات جعلت أقول هذه الأبيات

اتتك السعادة منقادة	تجرى من حولك باذيالها
فلم تكن تصلح إلا لك	وأنت لا تصلح إلا لها
علوت ملكا غير هذا ورتبة	وانقادت لك الجيوش كلها
ورقيت كل المعالى إذا	زلزلت الأرض زلزالها
ها أنت الشجاع ليوم الوغا	يوم تخرج الأرض اثقالها
وميعادك الحر ياسيدى	وسيفك الفانى لأبطالها
وحميت الجيوش برمح طويل	كما حمت الأسود أشبالها
وأنت راحة الحروب فى	كل واد كل سائر كلالها

(قال الراوى) فقال عمرو فلما فرغت من ذلك الكلام رفع اللعين إلى رأسه وقال لى أحسنت أيها الشيخ وإنى لاأضيع حقك ولا خيب قصدك على إنى مشغول من جهة رجل اشغل بالى فى هذا الأوان وهو يقال له محمد الساحر الذى هو صاحب مدينة يثرب فلما سمعت ذلك منه قلت له لااشغل الرب فراش لك بال ولا حلك هم ولا خبال وأنت ملك ذلت لك الجبابرة وخضعت لك الملوك الا كاسرة فلما سمع منى ذلك قال صحيح ماقد قلت أيها الشيخ ولكن مايغفلك هذا الذى جرى على العرب من

سحر محمد بن عبد الله ومكره والآن وصل شره الينا وقد بلغنا انه قادم بفرسانه علينا وقد بعث الينا ابن عمه الزبير بن العوام وقبضنا عليه وأخذناه حقيرا وأسيرا نعذبه ليلا ونهارا وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار وإنى أقسمت بالرب وراش إنى لأسير إلى محمد بجميع جيوشى وامزق شملهم واهلكهم عن جملتهم فهل عندك ياأيها الشيخ خبرا أو وقفت لهم على أثرا فقلت له اعلم أيها الملك إنى لما توجهت إلى ناحيتكم نزلت على عين ماء لبنى سليم وجلست آكل زاد كان معى وإذا أنا برجل وإذا هو عظيم القامة طويل الهامة مهول المنظر يخط الارض برجلاه متقلد بسيف طويل على كتفه درقة ولما أن نظرت اليه دخلنى منه الرعب والفزع والخوف وارتعدت فرائصى منه ثم إنه تقدم إلى وقال من تكون أيها الشيخ فقلت له أنا من بعض شعراء أهل العرب امدح أهل الكرم بالاشعار والادب فقال لى هل تعرفنى فقلت لا قال أنا على بن أبى طالب وقد خرجت فى طلب مخارق بن شهاب الملقب برأس الغول اشن عليه الغارات واقتل أبطاله وأهلك سائر رجاله وانهب ماله واملك قلاعه فاعطنى أيها الشيخ عهداً وميثاقا انك لاتخبر أحد ففزعت منه أيها الملك فاعطيته عهداً وميثاقا (قال الراوى) فلماسمع منى عدو الله ذلك الكلام قال ياشيخ بنصيحتك لنا وجب علينا حقك فعلمت ان كلامى قد دخل عليه وانطلى ودخل فى أذنيه ثم إنى قلت له أيها الملك وإذا أردت القبض على هذا البطل الذى ذكرته لك فأنا اعلم المكان الذى هو فيه فارسل معى فارس من عندك وأنا اسير اليه واقعد أحدثه معه واسارقه فى الكلام فيخرج علينا ذلك الفارس ويقبض عليه ويأتيك به أسير فى قيود الذل والتقصير وحين يحضر بين يديك افعل به ما تريد (قال الراوى) فلماسمع منى عدو الله ذلك الكلام قال لى ياشيخ اليوم وجب علينا حقك لانك نصحتنا أولا وثانيا ولكن امضوا به إلى دار الضيافة قال عمرو فأخذونى وفى دار الضيافة ادخلونى واحضروا إلى طعاما مختلف الالوان فأكلت وشربت وحمدت الله عز وجل وقلت فى نفسى الآن امضى إلى خارج الدار لعلى أن أرى الزبير بن العوام إذا رايته اتسبب له فى الخلاص هذا وقد خرجت اتفرج ذات اليمين وذات الشمال فرأيت الوادى يموج بالابطال ويدوى من غاغة الرجال وكثرة الانعام والبغال والاطفال وجعلت امشى يميناً وشمالا فما رأيت له أثر ولم وقعت له على خبر (قال الراوى) فبينما أنا سائر وإذا قد نظرت إلى صخرة صمة سوداء كبيرة عظيمة وفى أطرافها سلاسل وأغلال فنظرت اليها فرأيتها فى عنق الزبير بن العوام وقد قلق غاية القلق وانطرب لونه وتغير كونه من كثرة العذاب لانى قد نظرت إلى خمسين عبداً من العبيد الشداد

الشداد متوكلين له بالعذاب والعقاب آناء الليل وأطراف النهار فقلت فى نفسى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كل شىء بقضاء وقدر قال عمرو ثم أنى دنوت منه قليلا ولما رآنى بهت لى وشخص نحوى طويلا من شدة ماهو فيه أراد أن يكلمنى فجعلت أغمزه بطرفى ولا أظهر لهم أمرى وقد عاين ذلك منى فانشد وجعل يقول هذه الأبيات

عجز الصبر عن صبرى	ولكن صابر على حكم القدر
سأصبر مظلوماً ولم أك شاكيا	كما يصبر الظمآن فى وادى الحر
واصبر على الصبر حتى يعلم انى	صبرت على صبر أمر من الجمر
وانتظر العفو من إله السما	لعل أن يأتى منه بالنصر
وأنى لاذكره ولم أك غافلا	عسى يحل عقود ذلك العسر
ولعل يأتى منه فرجا عاجلا	وينقذنى من يد طائفة الكفر
وبعد هذا أصلى على المصطفى	الهاشمى المبعوث من مضر
عليه منى صلاة دائماً أبدا	وأرجو الشفاعة فى موقف الحشر

(قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك بكى واشتكى وصار يرمقنى بعينه وهو ساكت فرجعت عنه خوف أن يفيض به ماهو فيه ويكلمنى ويشهر حالى فضيت عنه وتركت هذا المكان الذى أنا فيه وأنا طائر القلب عليه ومتفكر فى أمرى وكيف أصنع ولم أزل إلى أن أدبر النهار وأقبل الليل بالاستار فبينما أنا متفكر وإذا بالعبيد قد أقبلت وإلى نحوى تبادرت وإلى المكان الذى أنا فيه دخلت وقالوا لى أجب الملك أيها الشيخ فقلت على العين والرأس ولكن ذهب منى الحواس وضاقت منى الانفاس وقد حسبت الف حساب وقد حدثتنى نفسى انهم عرفوا حالى ولا بقى لى منهم نجاة ولا خلاص ولكن ثبت جنانى ومضيت معهم إلى أن أتينا إلى عدو الله وبين يديه غلام طويل مثل الفاروق والشجاعة لائحة بين عينيه تشهد له ولا تشهد عليه (قال الراوى) فلما أتيت إلى رأس الغول قال لى مرحباً أيها الشاعر أعلم إنى قد أحضرتك عندى فى هذه الساعة لأجل أمر عجيب وقد رقيت بما قد أشرت به على من الأمور فى ليلة أمس واخترت لهذا الأمر أكبر أولادى جندبه وأحب أولادى جندبه هذا واعلمك انه مقدم على الف فارس ولابد أن تمضى معه إلى على بن أبى طالب الذى ذكرته لى أمس وهو يأتى به ذليل حقير وان أمضيت هذا الأمر وكان على يدك جعلتك سيداً فينا على بنى خثعم واغنى فقرك بمال جزيل قال عمرو فلما سمعت من عدو الله ذلك الكلام قلت وأنا على غير خاطر أيها الملك ان سار ولدك جندبه معى عملت معه على قدر جهدى وافديته بروحى وجلدى وأما أنت فطب

نفساً وقر عيناً فلما سمع منى عدو الله ذلك الكلام والهذيان دعى لى بقلب خالص وضريزة لينة سليمة وقال فى دعائه اذهب الرب فراش يبلغ أمالك ثم انه التفت إلى ولده جندبه وقال له ياولدى لاتخالف هذا الشيخ الناصح فيما به علينا يشير لأنه عبد نجيح ولا يشير علينا إلا بالخير فقال له السمع والطاعة لك والرب فراش ثم أن جندبه قام على حيله ولبس آلة حربه وتقلد بسيفه واعتقل رمحه وعمد إلى جواده وركبه وقدم إلى جواد فركبته أنا الآخر وقد سار اللعين إلى صنمه وسجد له من دون الله وبعد أن سجد له ضربه على وجهه وطلب منه النصر على الأعداء ثم على على بن أبى طالب وقعد ينتظر منه رد الجواب قدر ساعة زمانية فلم يجاوبه فسجد له ثانيا وسأله النصر على الإمام على وسأله رد الجواب فلم يرد عليه وكانت هذه بخلاف عادته لأنه إذا كان يسأله على أى شىء يجاوبه الشيطان من جوف الصنم وعليها عادة أصنامهم وعليها قد اعتادوا قال عمرو فوقف جندبه قدام الصنم وقد خرس لسانه فضى بعد أن سبه وشتمه ولم يعرف من أى الجهات جاءت له الداهية (قال الراوى) وكان لهذا سبب عجب وأمر مطرب غريب وهو أن جندبه لما اقبل على الصنم كان الشيطان فى جوفه لأجل رد الجواب فلما أن أقبل وسجد له تحرك الصنم ومال ذات اليمين وذات الشمال فقام رأسه جندبه وسأله النصر على على بن أبى طالب رضى الله عنه فمن هيبة الامام ولى الشيطان من جوف الصنم ولم يسمع ذكر على ابن أبى طالب فاعاد جندبه السؤال فما كلمه ولا رد عليه وانصرف عنه غاضباً وعرف أنه غير منصور قال عمرو وأما أنا فقد فرحت الفرح الشديد قال ثم خرج من عند صنمه وسرنا إلى عند القواص فسألنى عن حالتى فقلت له أنا سائر فى حاجة الملك فأضافنا عنده فى الحديقة وقدم لنا المائدة وأكلنا وشربنا وطلبنا المسير إلى أن وصلنا إلى عين ماء فقلت لجندبة انزل بنا عليها نستريح على هذا الماء فنزلنا وقدمنا ما كان معنا من الزاد فأكلنا وشربنا وجلسنا نتحدث مع بعضنا فصرت أتناعس وأكثر من التثاؤب لأجل أن أجاب له النوم فلما عاين منى ذلك قال لى نم ميلا لأجل أن تستريح من ألم النوم فشكرته وقد أظهرت النوم وأنا ماني نوم وإذا بجندبه قد اضطجع جانبى وصار يغمض عيناً والثانية يحرس بها الجوادين إلى أن أغمضت الثانية وغرق فى النوم وأنا مراقبه إلى أن علا غطيطه فوثبت وثبة الأسد وسلبت خنجرى وذبحته من الوريد إلى الوريد وصار يخوض فى دمه ويضرب فى عندمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) قال عمرو ثم إنى أخذت ما كان معه من الملابس والجواد والسلاح وسرت إلى الامام على رضى الله عنه قاصداً

إلى مكانهم وجديت فى المسير إلى أن قطعت مسافة طويلة وقد أمنت على نفسى من الأعداء فتنحيت الطريق وأردت أن أنام واستريح لأجل أن أفيق وكان ذلك بسعادتى ونجاتى فى ذلك اليوم وتوفيقاً من الله الحى القيوم فأكلت شيئاً من الزاد وأردت المسير وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان بعد ساعة عن الف فارس كلهم ليوث عوابس وفى اوائلهم القواص فقلت إلهى اسلمت أمرى اليك وعليك توكلت واليك انبت (قال الراوى) وإذا بالقواص وقد نادنى وقال لى ياشيخ السوء يا كثير المحال والنفاق تحيلت علينا وقتلت ابن ملكنا وخادعتنا وزعمت أنك شاعر والآن أوقعك الرب فراش فى أيدينا وسوف ترى مايحل عليك منا ثم انهم بعد ذلك طلبونى أشد طلب وتجاروا على بكل سبب فأعطيت ساقى للريح واقمت عليه صحيح فوالله مالحقوا منى إلا الغبار ولم يزالوا فى طلبى من طلعة النهار إلى أن فات وقت العصر وقد كلت خيولهم وحاروا فى أمورهم وعجزوا عن المسير فلما عاينت ذلك منهم وقفت جنب صخرة لأجل أن أرتاح من ألم الجرى فبينما أنا واقف وإذا بفارس قد قدم إلى وأراد أن يدنو منى فأخذت حجراً من الأرض ورفعته على يدى حتى بان بياض ابطى وضربته بذلك الحجر فوقع فى وجهه فوقع الرجل قتيلا فى دماء جزيلا ولما أن رأوا منى ذلك تأخروا عنى فجعلت أرتص والعب وأضرب ساقى وأنشد أقول

قد جاء وقت فراركم والآن تسقون كاس حامكم
فتجمعوا لتشربوه سوية وتكونوا من الهالكين بجمعكم
وبعد هذا تسقون الردا فتودعوا فقد آن وداعكم

(قال الراوى) ثم أن القوم لما عاينوا منى ذلك قالوا لبعضهم ماهذا إلا شيطان مريد ثم أطلقوا الخيل فى طلبى ولكننى قد اعترانى التعب وامتلأت رجلاى شوكا وكان للقواص جواد سابق وهو للريح مطابق فلحقنى وقال لى ياشيخ الضلال بالامس لما جئت عندى كنت تمشى على عصاة وتظهر أنك أعرج واعمى وقليل الحيل والآن قد عجزت عنك جياد الخيل وكنت تزعم أنك شاعر وقد أصابك كل الويل وحق اللات والعزى والهبل الكبير الأعلى لأسقيك كاس الموت جزعا واقطعك بسيفى قطعاً أما تعلم أننا نعلم بكل ما أنت فيه من المكر والخداع وقد علمنا بحالك كله من الرب فراش وما أتينا فى طلبك إلا بأمره هو الذى اخبرنا بابن الملك جندبه الذى قتلته فى المكان الفلانى قال عمرو فلما نظرت ذلك تعجبت فى نفسى وقلت له وكيف ذلك يامقطوع النخاع (قال الراوى) وكان لهذا أمر عجيب وإنه لما لحقه القواص وأراد أن

يوقعه في ضيق الأنفاس فتضايق عمرو شدة الضيق فرفع رأسه إلى السماء وقال إلهي وسيدي أنت تعلم بما قد نزل بي فأغثني ياغياث المستغيثين وإله الأولين والآخرين أنك على كل شيء قدير (قال الراوي) فلما فرغ عمرو عن دعائه إلا والفرج قد أتاه وإذا الغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف لأهل النظر إذا به الفارس القسور والليث الغضنفر الأسد الشجاع الهجام وهو ينادي ويقول ارجعوا عنه ياحزب الشيطان هذا من حملة القرآن وابشروا مني بالذل والهوان فقد أتاكم الدمار وانقطع منكم الآثار فانا مظهر العجائب أنا النجم الثاقب أنا فارس بني غالب أنا الامام علي بن أبي طالب (قال الراوي) ثم أن الامام تقرب منهم وجال عليهم فضرب أول فارس أهواه والثاني أرماه والثالث أعدمه الحياة ولم يزل يقتل فارساً بعد فارس حتى قتل منهم خمسين فارساً والباقي ولوا منه هاربين وإلى النجاة طالبين فلما نظر اليهم القواص وهم على تلك الحالة قال لهم وحق اللات والعزى والهبل الكبير الاعلى أنكم يامقطوعين النخاع يامذلولين كيف أنكم تنهزمون من فارس واحد وأنتم جمع كثير فبأي وجه ترجعون إلى الملك وهو في حال غضبه على ولده فاذا رآكم على هذه الحالة ضرب أعناقكم وأنا أقول أن هذا كله من غضب الرب فراش عليكم (قال الراوي) فلما سمعوا القوم من القواص ذلك الكلام خافوا عاقبة الأمر وقالوا إذا رجعنا بغير فائدة ضرب رقابنا مرة واحدة فارجعوا بنا إلى القتال ثم أن واحد منهم رجع إلى القتال وحمل على الامام على حملة صادقة فلما قرب من الامام مسكه علي من جلباب درعه واختطفه من سرجه ورماه إلى الهوى فصعد الفارس في الجو مثل الطير قدر مائتي قامة أو أكثر ونزل يهوى وكل الأعين يرمقوه وإذا بالامام تلقاه على حد الحسام فانقطع لصفين ووقع على الأرض شطرين ثم أنه طلب البراز فخرج له فارس يقال له مناهير الأشجع وأراد أن يجول معه فقبضه الامام من مراق بطنه وجلد به الأرض رض عظامه رض واختلط طوله في العرض فلما رأوا ذلك الفرسان هابوه وامتنعوا من النزول اليه وولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار هذا وقد نظر إليهم القواص وهم منهزمين فقال لهم ياويلكم غلبتم مرة أخرى ولكن قفوا وانظروا مايحل بهـــذا الفارس مني وما يجرى عليه من حربي وطعني (قال الراوي) ثم أن القواص خرج إلى الميدان وحمل الطعن والنزال ونادى بأعلى صوته ياعلي أن من تكبر قل ومن تجبر ذل وإننا ماخرجنا اليك ومالنا دعوه لك وإنما نحن خارجون لهذا الشيطان المريد والبطل الصنديد الذي هجم علينا وقتل ابن ملكنا وكنا نظن أنه شاعر كما كذب علينا وقد تعبنا غاية التعب وكنا شرفنا

على قتله ونجعله طعاما للنار فخرجت أنت علينا وفرجت عنه الكرب ولاقيت رجالنا بالطعن والضرب فاخلوا لناطريقاً ولا تحوج نفسك إلى التعويق بل انج أنت بنفسك قبل أن أرميك بالنقع واجعلك طعاما للسبع والضبع (قال الراوى) فلما سمع الإمام على ذلك من القواص قال له لقد طمعت نفسك بالمحال وركبت طريق السوء والضلال فأبشر منى بالخبال والوبال ثم أن الامام على رضى الله عنه بادر القواص بضربة عظيمة فلما أن رآها القواص صائبة وهى غير خائبة التجأ إلى شجرة عظيمة وقد ظن عدو الله أنها ترد عنه تلك الضربة فجاءت الضربة إلى الشجره قسمتها نصفين ووصلت بعد الشجرة إلى القواص قسمته نصفين لأن الضربة جاءت من العلو إلى أسفل فنفذت من الشجرة إلى اللعين فوقعت فى كتفيه فخرج الحسام بين من فخذيه فعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فلما أن عاينوا أصحابه ذلك ورأوا ماحل بسيدهم وانه قد صار على وجه الأرض قتيل من يد هذا البطل النحرير ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار ولم يصدقوا بالنجاة (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الإمام فإنه رجع إلى عمرو وسلم عليه وقبله بين عينيه وضمه إلى صدره وكذلك عمرو قبل ركابه وقال له يا أبا الحسن لولا قدومك على فى هذا المكان لكانوا قبضوا على اللئام وجعلونى طعاما للنيران وكنت شربت الهلاك ولا كان لى من أيديهم فكاك فن أخبرك بخبرى أيها البطل الهمام فقال له هذا سبب عجيب وأمر مطرب غريب واعلم ياعمرو إنى كنت نائماً فى خيمتى فرأيت النبى ﷺ فى منامى وهو يقول يا أبا الحسن أدرك عمك ولأنه قتل ابن رأس الغول وقد لحقوه بالخيول واحتاطوا به وهو مزنوق فى المحل الفلانى فأدركه يا ابن العم فانتبهت من منامى لما نظرت لما قد أتانى وعلمت انه صادق القول والمنام لأنه قال ﷺ من رآنى فى منامه فقد رآنى حقاً لأن الشيطان لا يتمثل بى فقمت وركبت وسرت وأنا متفكر فى بعض الطريق وكيف أنا الحق بالمكان الذى أنت فيه فنظرت إلى الارض وإذا بها تطوى من تحتى كالسجل ببركة النبى ﷺ ولم أزل كذلك حتى أتيت إلى هنا وأشرفت عليك وقتلت أعداءك وهذا هو السبب لمجيئى هذا المكان ثم أن الامام على بعد ذلك ركب الجواد وأخذ جواد القواص وسار حتى اشرف على المسلمين وجيش الموحدين ولما أن نظروا القوم اليهم خرجوا وسلموا عليهم وبعد أن جلسوا شرع الامام على يحدث الناس بما وقع والذى جرى من أوله إلى آخره وقد استراحوا من تعبهم تلك الليلة ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بكوكبه ولاح دخل الإمام على بالرجال وسار إلى مرج يقال له مرج الهوى من كثرة العشب

والمرعى فنزل بالمسلمين هناك وقال لهم انزلوا ههنا واستريحوا وكونوا على يقظة من أمركم واشغلوا أنفسكم بآلة الحرب والكفاح مثل السيوف والرماح فكأنكم بعدو الله قد أقبل عليكم في مثل هذا المكان (قال الراوى) هذا ما كان من أمر الامام ومن معه من الإسلام وأما ما كان من أمر عمرو فإنه أخبرهم بما فيه الزبير بن العوام وأما ما كان من أمر المنهزمين أصحاب القواص فانهم رجعوا منهزمين ومازاوا منهزمين إلى أن وصلوا إلى الملك فوجدوه قد جهز الجيش والعساكر وأمرهم بالمسير إلى المدينة يثرب ومحاربة محمد ويهدموا الاركان وينهبوا الاموال ويقتلوا الرجال ويسبوا حريمها ويفعل في يثرب فعلا مايسبقه به أحد فبينما هو كذلك وإذا بالمنهزمين قد أتت وإلى نحوه اقبلت قال لهم الملعون مرحباً بكم أيها الرجال الشداد فاين عمرو الذى قتل ولدى وأحرق عليه كبدى أمامسكتموه وفي القيود وضعتموه فقالوا له أيها الملك إننا خرجنا في طلبه فلما أن نظر الينا قام وسعى أمامنا فخرجنا وراءه بسابق خيولنا حتى كلت من الجرى وهو أيها الملك سائر في البر كأنه شيطان إلى أن جاء وقت العصر فادركناه فأرحنا خيولنا وكذلك هو الآخر وقف قبالنا فطلبناه بالخيول ثانيا وإذا به قتل جماعة منا بالاحجار وقد احتطنا به من كل الجهات وأردنا القبض عليه وإذا بفارس قد أقبل وهو بطل شديد وفارس جليد وهمام صنديد فأقبل علينا وهو كأنه أسد غضبان أومارد من الجان فمنعنا من الوصول اليه وما نجى منا إلا من كان جواده سابقاً أوله أجل باق وحمل على القواص والقواص أيضا حمل عليه فالتجأ القواص إلى شجرة عظيمة وظن أنها ترد عنه الضربة التى خرجت من يد الفارس وإذا بالضربة جاءت إلى الشجرة فقطعتها وقسمت القواص ونزل السيف يهوى في الارض حتى غاص فلما رأينا ذلك ولينا الادبار وركنا إلى الفرار ولولا هروبنا ما كان أبقى منا من يخبر بخبر (قال الراوى) فلما سمع رأس الغول منهم هذا الكلام صار الضيا في وجهه ظلاما وقال لهم ياويلكم تنهزمون من فارس واحد وانتم كلكم فوارس ليوث عوابس فلا بارك الرب فراش فيكم وغضب عليكم ولا رضى عنكم (قال الراوى) ثم انه افتقد من ساعته عشرين الف فارس وأمر عليهم ولده مقلقل وقال له ياولدى خذ هذا الجيش واطلب القوم وقاتلهم ولا تبق منهم أثرا ومع ذلك أنك لم تقطع عنا اخبارك وقدم قدامك الثبات واتنى بالاخبار واحرص بنفسك منهم لانهم سحراء ولا يفعلون شيئاً بالمكر والخديعة ثم أن مقلقل لما سمع من أبيه هذه الوصية ركب ظهر جواده وسار بالجيش وأرسل السعاة قدامه ليأتوه بالاخبار كما اخبره أبوه فساروا قليلا وعادوا اليه واخبروه بخبر الإمام انه نزل في المكان الفلانى مع المسلمين

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر الإمام على رضى الله عنه فإنه صلى صلاة الصبح ونظر إلى البر وإذا بالأعلام قد طلعت والخيول قد أقبلت وارتجت الارض ذات الطول والعرض من كثرة الركض فلما نظر الإمام على إلى ذلك أمر المسلمين بالركوب وإنهم يقفوا صفاً واحداً (قال الراوى) ففعلوا ما أمرهم به الإمام ووقفوا إلى أن أقبل مقلقل ونظر إليهم فرآهم جيشاً قليلا فقال لرجاله لا بارك الرب فراش فيكم كيف تنهزمون من هذه العصابة اليسيرة ثم أنشد يقول هذه الأبيات:

اليوم يعرف كل خصم خصمه ... عند البراز إذا التقى الجمعان
اليوم تختلف القنا عند اللقا ... وتخوض فيه الخيل كالعقبان
وإنى سأسقيهم بسم قاطع ... من كل هندى وسيف يمانى
وإنى مقلقل فارس يوم الوغا ... وإنى مخارق قاتل الشجعان

(قال الراوى) قال ابن عباس رضى الله عنهما ثم أن مقلقل أمر قومه بالنزول فنزلوا ونصبوا خيامهم فلما نظر المسلمون إلى كثرة الجيوش النازلة تغيرت ألوانهم وتكسرت عن القتال نياتهم فعرف الإمام ما عندهم فقال يا معاشر المسلمين ويا جند رب العالمين ما يعظم عليكم ما رأيتم من كثرة جيوش الكافرين فإنهم طعام لسيوفكم وأنتم حزب الله وهم حزب الشيطان ولاشك أنكم أنتم الغالبون والنصر بكم مقرون وبالصبر تؤجرون (قال الراوى) فلما سمعوا كلام الإمام على رضى الله عنه طابت نفوسهم واشتد نشاطهم وقد ثبتت نياتهم هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر عدو الله مقلقل فإنه أقبل على أصحابه وقال لهم أن هؤلاء العرب قد طغوا فى البلاد وأهلكوا العباد وتعودوا على نهب الأموال وسبى الحريم وإن لم تجدوا لهم فى الحملة وتصبروا على طعانهم فى الحملة وإلا رجعتم منهزمين وردوكم على أعقابكم خائبين وترجعون بالعار وإنى أريد الحملة عليهم والغنيمة لمن صبر (قال الراوى) فلما سمعوا من مقلقل ذلك الكلام وثبوا على خيولهم وركبوها ووقفوا ينتظرون أمر سيدهم مقلقل قال ابن عباس فلما نظر الإمام على إلى ركوبهم قال يا جند الرحمن اركبوا وإلى الجنان اطلبوا وفى كثرة الثواب ارغبوا فلما سمع المسلمون من الإمام ذلك ركبوا ونصبوا الأعلام ونشروا الرايات وادعى بالفضل ابن العباس وقال له دع الجنود إلى بين الصفين وقال يا عبد الله كن أنت فى الميمنة وأنت يا عمرو فى الميسرة وأنا فى أوسط الجميع ونادى برفيع صوته يا أهل الضلال والأوزار اعلموا أنى قد خرجت عليكم بالإحذار قبل خراب الديار والطعن بالسيوف الأبتار وإلا فيخرج

إلى كبير كم وأحذره فإن استطاع كان حظاً له وافر وإن أبى جملته فى تلك البضاعة خاسر (قال الراوى) فلما سمع مقلقل من الإمام ذلك الكلام همز جواده بين الصفين وظهر من بين الفريقين ونادى من أنت أيها الفارس المادح نفسك المتكبر على أبناء جنسك فقال له الإمام على رضى الله عنه أنا النجم الظاهر والليث الضارب أنا الذى لا أخاف من كثرة الجموع والفرسان ولا أبالى من الشجعان أنا ليث بني غالب أنا الإمام على ابن أبى طالب واعلم أن محمداً تشرق له المشارق والمغارب من الأنوار وهو ابن عمى بلا إنكار هاشمى الحسب كريم النسب قرشى الأوصاف كلمه البعير والزراف وخاطبه الوحش والسباع وحدثه الضب واليربوع ونبع الماء من بين أصابعه كالينبوع فهو أشرف خلق الله وأعزهم عند الله وأعظم رسل الله لأنه رجل قليل الكلام كثير الصيام عليه من الملك ألف تحية وألف سلام (قال الراوى) فلما سمع مقلقل من الإمام على ذلك الكلام همز جواده وقال له قد زدت فى وصف ابن عمك يا على فدونك والبراز وسرعة الإنجاز فبينما الإمام على على مثل ذلك وإذا بفارس من المسلمين قد أقبل إلى الميدان وقبل رجل الإمام على فى الركاب وقال له يا ابن عم رسول الله ﷺ ارجع إلى الجيش فما لك عادة أن تنزل فى أول الحروب ولا تنزل أنت إلا إذا اشتدت بالناس الكروب وها أنا لك الفدا وها أنا أحمى الميدان فى ذلك النهار قال فلما سمع الإمام على هذا الكلام من هذا الفارس وهو زهير العامرى رجع وتركه فى مقام الطعان ومحل الضرب بالسنان فوقف وطلب البراز وسأل الإنجاز فعندها قال الإمام على اللهم انصره على الأعداء واجعله من أهل الجنة فأنت مولانا صاحب الكرم والمنة .

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر مقلقل فإنه لما نظر إلى رجوع الإمام على فعل كفعله ورجع إلى قومه وقال لهم ابرزوا إلى هذا الفارس الخرفان فأجابوه بالسمع والطاعة وبرزوا إلى الميدان من تلك الساعة وكان أول من برز إلى الميدان المغيرة بن الربيع وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

غداً تعلمون التشاجر والصياح ... وتحكم بيننا بيض الصفاح
وتلقى الفوارس فى قتال ... وتشكوا الفوارس بالرماح
لأن فسادنا فيكم فساد ... وأن فسادكم منا صلاح
سنرديكموا لله وسيع مرج ... يهب عليكم نسيم الرياح

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره ونظامه انطبق عليه وانطبق الآخر عليه وحملا كل منهما على صاحبه وتضاربا وتغالبا وتجاولا وتقاربا وتباعدا وقد خرج من الإثنين طعنتين واصلتين إلى الجسدين فأما طعنة المغيرة بن ربيع فإنها كانت قصيرة فلا بأس لها

أثر وما نممت بشيء بل خرجت من يده إلى الهوى حتى كاد أن ينخلع زنده وأما ضربة زهير فإنها وقعت على عاتقه خرج الحسام يلمع من علائقه ثم أنه نادى بعد ذلك هل من مبارز هل من مناجز فبرز إليه فارس ثان يقال له أبو الليث وكان فارس مشهور وبطل مذكور فجعل كل منهما يجول على صاحبه فطعنه زهير فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره ثم برز إليه فارس ثالث يقال له جابر بن الحارث فحمل عليه زهير ووكزه بعقب الرمح أرداه وإلى الارض أهواه فقبض عليه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسار به إلى أن أوقفه بين يدى الإمام رضى الله عنه فصلبه على خشبة كبيرة وجعله قبال القوم وأمر الرجال أن يضربوه بالنبال فضربوه بالنبال والأحجار حتى تمزق جلده ولما أن رآه أعداء الله على هذا عظم لديهم وكبر لديهم وقد أمرهم مقلقل بالحملة على المسلمين فحملوا وحملت المسلمون والتقى الجمعان ولم تزل الطائفتان فى قتال ونزال إلى أن جاء وقت العصر وافترق الجمعان وكان الغالب ذلك اليوم المسلمين إلا أنهم قد قتلوا من المسلمين خمسين فارس (قال الزاوى) ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بكوكبه ولاح وطلعت الشمس على أعلى البطاح ركب المسلمون يطلبون الكفاح والضرب بالرماح وركبت أيضاً أعداء الله الملك الفتاح وتقاتلوا قتالا شديداً إلى أن جاء المساء ولم يحصل للمسلمين فى ذلك النهار أسا وقد وقعت الحدة على المشركين وقتل منهم قدر اليوم الماضى أربع مرار وما أحد من المسلمين جاء له جرح قال فلما نظر مقلقل إلى ذلك أرسل إلى والده يقول له أرسل لنا الجيش لاننا مع المسلمين فى الغلبة وتحت المذلة والتعب الشديد ثم أنه أعطى الكتاب إلى بعض من الرجال فأخذه وسار به هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه لما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح صلى بالجيش صلاة الافتتاح وذكر طلعة زين الملاح ثم أن الإمام أمرهم بالركوب فركبوا وأتوا إلى الغزاء فى طاعة الذى لا يعبد سواه ولما أن رأى مقلقل ذلك أمرهم بالركوب فركبوا وقال لهم يا ويلكم أما تنظرون إلى فرسان المسلمين وقلتهم وكثرتكم وقلة شجاعتكم فما أثبتهم على القتال وأخبرهم بمواقع الضرب والنزال ولكن أنتم الآن تنزلون وإلى حربكم تثبتون وإن لم تفعلوا ذلك غضب عليكم الرب فراش ورماكم بسخطه فانصروه اليوم فى القتال (قال الراوى) فامتثلوا أمره ونزلوا إلى الميدان ومحل الطعن والضرب ونزل عليهم الغضب من الملك المتعال وارهبتهم المسلمون وتأخر المشركون عن الحرب وكل منهم أراد الهرب والفرار من خوفهم من شرب كأس الوبال فبينماهم على ذلك الحال وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار

فنظر إليه الفريقان بالأعيان وكل منهم يظن أنها نجدة له وبعد ساعة بانت للأعيان
وإذا هي بنجدة إلى مقلقل قد أتت من عند رأس الغول أقبلت وعلى القتال عولت
وسبب ذلك الكتاب الذى أرسله المقلقل إلى والده مخارق بن شهاب رأس الغول وهو
أن النجاب أخذ الكتاب وسار به ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى اللعين رأس الغول
وقبل الأرض بين يديه وأعطاه الكتاب ففرده وقرأه وعرف رموزه ومعناه وأمر
فى عاجل الحال بتجهيز ألف فارس من كل بطل ممارس قال فلما نظر المسلمون إلى
ذلك تغيرت ألوانهم وفنى تجلدهم واصطبارهم قال فناداهم الإمام على رضى الله عنه
وكرم الله وجهه يامعاشر المسلمين وعباد الله الصالحين ابشروا بالنصر من رب العالمين
ولا تخافوا فإن الله لايضيع أجر المحسنين واعلموا أنه غنيمة لكم واصبروا إن الله
مع الصابرين واحملوا عليهم حملة صادقة بقلوب على التقوى مصادقة وسوف تروا
صحة قولى (قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك الكلام هموا جميعهم بالحملة وحطموا
جيوش المشركين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشتعل إلى أن ولى
النهار وارتحل وأقبل الليل وانقضى سوق الحرب ورجعت كل طائفة إلى مكانها
ونزل الطائفتان عن خيولهم وأضرموا النيران حول خيامهم وكل طائفة أحصت
ما قتل منها وإذا بالكفار قتل منهم فى ذلك النهار تسعمائة وخمسين والمسلمون
استشهد منهم ثلاثون بطلا هماماً (قال الراوى) فلما نظر مقلقل إلى هذه الفعال
تغيرت منه الأحوال ونزلت عليه الأهوال ووقع به الذل والخبال وقال ياقوم هذا
شىء لاينفعنا ولا تفنى به رجال المسلمون إلا إذا فعلت فيهم فعلة ما يبقى بها أحد
من الرجال والأبطال وإلا أهلكت المسلمون رجالنا قالوا له وأى هذه الحيلة التى
تفعلها قال لهم نبطل الحرب حتى نرتاح ونريح خيولنا ونشمع بالمرعى فإذا رأوا
ذلك منا فعلوا مثل فعالنا وريحوا خيولهم من الخيل لنا فإذا عاينتم ذلك منهم فأسرعوا
وانكبوا عليهم بالخيول وحولوا بينهم وبين خيولهم وادهموهم بحملة واحدة وبهذا
الرأى هلكوا عن آخرهم فلما سمعوا منه ذلك قالوا له نعم الرأى السديد (قال الراوى)
ثم أن المشركين سرحوا خيولهم فى المرعى فلما رأى المسلمون ذلك سرحوا خيولهم
وفعلوا كفعالهم فلما استقر القوم فى مواضعهم وثب القوم اللئام يريدون هلاك
الإسلام ونادوا بكلمة كفرهم ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وركب
الكفار على خيولهم وقد أحاطوا بالمسلمين من كل جانب ومكان وساروا بين الاطناب
والخيام وأرادوا أن يغدروا بالمسلمين فلما رأى المسلمون ذلك صاحوا فى صوت
واحد يا آل محمد ونادوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكان الإمام

على رضى الله عنه نائماً فى خيمته فانتبه على ذلك الصياح ويده قابضة على السلاح ونادى يازهير احفظ أنت الخيام فقد دهمونا الأعداء فى الظلام فأجابه زهير فى ذلك الوقت بالسمع والطاعة (قال الراوى) ثم أن الإمام على وضع السيف فى كرة واحدة أقل من ساعة قتل منهم مقتلة عظيمة وهو يقاتل بالسيفين ويطعن بالرمحين ويصيح فى الجنود فيفرقها وهو ينادى يا عصبة المشركين ويا أعداء رب العالمين أبشروا بالعذاب المهين أتريدون أن تخادعوا جيوش المسلمين فرجع خداعكم عليكم ياملاعين ثم أن الإمام مازال يقتل منهم ويطعن ويقلب الميسرة على الميمنة والميمنة على الميسرة حتى بدد شملهم وفرق جموعهم وقد قتل منهم فى تلك الوقعة ما يزيد على خمسة آلاف فارس وقتل من المسلمين خمسون فارساً وكان قتل هذه الخمسين قبل أن يستيقظ أمـــير المؤمنين الإمام على وذلك لأجل قصر أجلهم وتقربهم إلى ربهم واستشهادهم وإلا لو كان الإمام حاضراً ما كان المشركون يتمتعوا بقتل فارس ولا راجل هذا وقد وقعت عليهم الخمدة وولوا على أعقابهم وطلبهم المسلمون بالسيوف والحراب حتى انهزموا وولوا الأدبار (قال الراوى) فلما نظر مقلقل إلى ماحل برجاله وما نزل بأبطاله اغتاظ غيظاً شديداً ماعليه من مزيد وأرسل كتاباً إلى والده يقول فيه أما بعد فياأيها البطل الصنديد والملك السعيد إعلم أننا لما نزلنا على المسلمين فوجدناهم قوم قلائل فما سألنا عنهم وما اعتنينا بهم ولكن وجدناهم صبراً عظيماً وحرباً قوياً جسيما وطعناً أمر من نار الجحيم فأرسلنا هذا الكتاب ترسل لنا نجدة تدركنا بها وإلا فنحن من الهالكين لأن النجدة الأولى هلك أكثرها وقد علمناك بما نحن فيه ثم أنه ختم الكتاب وأعطاه انجاب من عنده وقال له سر وعجل فى المسير إلى أن تصل إلى أبى فسلم عليه ودعه يطلب النصر من الرب فراش واعطه هذا الكتاب فأخذه النجاب وسار به هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الإمام على فإنه لما تأخر بجنوده وهو فى أشد الغيظ وقد ربح المسلمون فى ذلك النهار بأسلاب المشركين الفجار وانفصل الحرب على ذلك (قال الراوى) ثم أن مقلقل أقام ينتظر رد الكتاب وما يليه من الأسباب والمسلمون فرحون بهذه الراحة وأما ما كان من النجاب فإنه سار حتى وصل إلى رأس الغول عدو الله الكلب المهول واستأذن ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وأعطاه الكتاب ففرده وقرأه وعرف مافيه فما وصل آخر الكتاب إلا وكادت أن تخرج عيناه واغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وشخر ونخر وسب الشمس والقمر وقال وحق الرب فراش لابد أن أرسل عليهم الرجال والابطال حتى أنجز أمرهم ثم التفت إلى ر

الصنم وقال له خذ معك عشرة آلاف فارس وأنت تكون المقدم عليهم وأدركوا ولدى مقلقل فقال له السمع والطاعة لك وللرب فواش ثم أنه أقام فى ذلك اليوم لاجل تجهيز العساكر وسار فى ثانى الايام وما زال سائراً إلى أن وصل إلى مقلقل وجند الشيطان فبينما هم على حالتهم التى ذكرناها من إبطال الحرب بين الطائفتين وإذا بالغبار قد علا وثار وسد الأقطار وانكشف الغبار عن العساكر المقبلة فرمقها الطائفتان وكل منهم يظن أنها نجدة له (قال الراوى) ولما نظر مقلقل إلى ذلك الجيش المقبل وعلم أنها عساكر أتت له من عند أبيه فالتفت إلى رجل من رجاله وقال له خطار اركب جوادك واقصد إلى هذا الغبار واكشف لنا خبره فإن كان من رجال أبى فاقسمه نصفين وخذ النصف منه وانزل به إلى ديار بنى فزارة وأرسل النصف الآخر إلينا ونحن نطلب قتال المسلمين فإذا رأيتمونا أنتم فى القتال وانطبقت الطائفتان فتأتى أنت بالرجال من وراء المسلمين وتنادون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ولم تزالوا حتى تختلطوا بعساكر المسلمين وأنت تنادى وتقول أين الإمام على بن أبى طالب فإذا دلوك عليه فاقبل أنت عليه وقل له نحن قوم من المسلمين قد أتينا لكم بنجدة لما رأيناكم تقاتلون فى هذه الجيوش فإذا رأى منكم ذلك استقبلكم فإذا رأيته اشتغل بالقتال فخذ انت سيفك واضربه على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وبشرط أن تكون من أصحابك على يقظة فيوقعون السيف فى المسلمين فيفنوهم أجمعين فقال له الخطار السمع والطاعة (قال الراوى) هذا ما كان من أمر المقلقل وأما ما كان من أمر الخطار فإنه ركب جواده فى الحال وسار إلى أن التحق بالغبار فأخذ نصف العساكر المقبلين وأرسل النصف الآخر لمقلقل بن اللعين وأخذ هو النصف وارتحل إلى ديار بنى فزارة كما أمره هذا ما كان من أمر هذا الملعون وأما ما كان من أمر المسلمين فإنهم لما رأوا باقى العساكر أتت إلى مقلقل ضاقت بهم الحيل ولم يسعهم مهل ولا جبن وغيرت منهم الألوان فلما عاين الإمام على منهم ذلك ثبتهم إلى الحرب والقتال وشوقهم إلى ملاقات الأبطال ووعدهم بالنصر من القادر المتعال والغلبة والمذلة على القوم اللئام فبينما هم على ذلك وإذا بالمشركين قد حملت من غير براز فأمر الإمام على المسلمين بالحملة فحملوا عن آخرهم واختلط الجمعان وتقاتل الفريقان وقاتل المسلمون قتالا وأى قتال يقصر عن وصفه الواصفون فبينما هم كذلك وإذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان عن نجدة مقبلة من نحو بلاد الإسلام وهم ينادون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فلما نظر المسلمون إلى ذلك فرحوا فرحاً شديداً ما عليه من مزيد لما أن سمعوا تهليلهم وتكبيرهم ورأوهم مقبلين

من جهة بلادهم فظنوا أنها قد أتت لهم من عند النبي ﷺ هذا ولما أن قرب القادمون
على المسلمين سلموا عليهم وقد تقدم كبيرهم الخطار وقال لهم أيكم الإمام قال له
نعم ها أنا الإمام وأنت من تكون أخبرني بما قد صار على بلادنا وأنتم من أين أقبلتم
إلينا فقال له الخطار نحن قوم آمنا بالله تعالى وبحبيبه محمد ﷺ وقد بلغنا ما أنتم فيه
مع المشركين في هذا المكان فأتينا إليكم نجدة واقعة على أهل الطغيان وهذا هو
اللعين الغدار الذي يقال له الخطار وكل ذلك تدبير مقلقل ابن الأشرار (قال الراوي)
فلما سمع الإمام من الغدار اللعين ذلك الكلام فرح وتلألأ وجهه بالأنوار وفرح
المسلمون بتلك الأخبار ووقفوا صفاً واحداً وقد برز المسلمون لحومة الميدان
وكانوا عشرة الذين برزوا وبرز إليهم عشرة من أهل الضلال فجالوا معهم ولا
كلوهم بل كل واحد من الأخصام ضرب خصمه أعدمه الحياة وطلبوا البراز فبرز
إليهم عشرة أخر ففعلوا بهم فعلا أشد من الجمر ولم يزل يبرز من الكفار عشرة بعد
عشرة إلى أن أفنوا منهم مائتي فارس (قال الراوي) فلما أن فرغ النهار وولى بالارتحال
وكسب المسلمون كسبا عظيما ووقع الهم على أهل الكفر والضلال ورأى مقلقل
إلى تلك الفعال فأمر رجل من خواص دولته أن يبرز إلى الميدان ويأتيه برأس العشرة
فرسان قبل أن ينقضي النهار فركب ذلك الفارس وتقدم إلى الميدان وضرب أول
واحد من المسلمين على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وأراد أن يقصد الثاني فتقدم إليه
الإمام ومنعه من مرامه وتقدم قدامه وقبض على مراق بطنه واقتلعه من سرجه ورماه
بعزمه على قومه فوقع على أربع فوارس من المشركين فأخمد أنفاسهم وعجل الله
بروحه إلى النار معهم وبعد ذلك طلب الإمام البراز وسأل الإنجاز فبرز إليه فارس
فقتله ولم يزل الإمام يقتل فارساً بعد فارس إلى أن قتل منهم ثلاثين فارساً في أقل
من ساعة واحدة وطلب البراز فلم يبرز إليه أحد فهجم عليهم وأفنى منهم خلقاً كثيراً
(قال الراوي) فلما نظر مقلقل إلى ذلك اغتاظ غيظاً شديداً وحمل بباقي قومه فالتقى
الجمعان وحمل الفريقان وتقاتلوا قتالا شديداً يعجز عن وصفه اللسان فلم تسمع من
يد الفرسان الإسلامية إلا كل دماغ طائر وحصان بصاحبه غائر وتفرقت المرائر
واطلع على هذا القادر القاهر فبينما الامام على ذلك وإذا بسعد بن عبادة
الأنصاري قد وصل إلى الامام على رضى الله عنه وقال له أدرك المسلمين وعصبة
الموحدين يا أبا الحسن لأنهم قد دهموا وأهلكهم ذلك الغدار اللعين الذي يقال له
الخطار فلما أن سمع الامام من سعد ذلك الكلام صار الضيا في وجهه ظلام والتفت
بالجواد وسار نحو الاسلام فوجدهم قد أشرفوا على الانهزام وبهب الكفار مافي

الخيام فعظم ذلك على الامام لحمل عليهم حملة الغضب ووضع السيف فيهم وجعل يقرأ هذه الآية ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ولم يزل الامام يقتل حتى قتل منهم مائتين وسبعين فارساً ثم أن الليل قد اعتكر وانفصلت عن الحرب الطوائف فقال الامام على لاصحابه ارجعوا إلى الجبل الفلانى واكنوا هناك بأجمعكم وخلوا خيامكم فاضية ومافيها غير نفر قليل واوقدوا النيران حول الخيام لأن قلبى يحدثنى أن هؤلاء الملاعين لا يقعدون عنكم ولا يغفلون عن حربكم بعد أن وقعوا فى هذا الخطر العظيم وكان هذا توفيقاً من الله تعالى لأن الحساب الذى حسبه الامام كان بعينه ولما أن انفسق الظلام أخذ الامام من الاسلام مائة فارس وسار بهم وهم لايصيحون ولا يتكلمون وجعل على باقى الرجال الفضل بن العباس والأمير زهير وسار هو بمن معه من الرجال فوجدوا الكفار قدهموا بالحملة على المسلمين وأرادوا أن يكبسوهم فى الخيام فتأنوا عليهم إلى أن وصلوا إلى الخيام فلم يجدوا فيها أحداً فنهبوا ما كان فيها وأرادوا أن يرجعوا وإذا بالمسلمين قد دهمتهم بين المضارب والخيام وقد نزل عليهم الامام هو ومن معه نزول السيل ونالهم من ضربات المسلمين كل الويل هذا وقد أدركهم زهير والفضل بن العباس بباقى الرجال الذى كانوا امكنين فى الجبل وكان السبب فى مجىء زهير سبب عجيب وأمر مطرب غريب وهو أن الامام لما ركب بالمائة فارس وكانت الدنيا ليلا وهم المسلمون كما ذكرنا وأوقعوا فيهم الحسام كما شرحنا ومع ذلك قد صاحوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير منذ ذلك الصباح جاوبتهم التلال والجبال يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله فوقع ذلك النداء فى آذان زهير فأقبلوا بالرجال المكمنة ولم تكن إلا ساعة حتى أهلكوا من المشركين مايزيد عن خمسة آلاف فارس وأسروا ألفاً وستمائة أسير والباقى ولوا هاربين وإلى النجاة طالبين وهم بالذل والخيبة وتبعهم المسلمون وهم بأعظم هيبة وقد أوقعوا فى قلوبهم الرعب ولما أن ولوا الأدبار هلل الامام وكبر وصاح الله أكبر الله أكبر فتح ربى ونصر وقد خذل من كفر وتجبر وتمرد أما تنظرون ياعصبة الاسلام كيف جاء لكم النصر من رب الانام هذا ولما أن رأى مقلقل إلى ذلك ورأى الامام يصيح ذلك الصياح قام الآخر من خيمته التى كان فيها وولى الأدبار واركن إلى الفرار من غير طعن ولا نزال وهو لايصدق بعد ذلك بالنجاة فلم المسلمون الأسلاب وافتقدهم الامام لأجل ان ينظر من قتل منهم فرآهم فى حصن الله المانع وحرزه القاطع مع أنهم قتلوا من المشركين وأسروا منهم خلقاً كثيراً فلما أن عاين ذلك الامام حمد الله وشكره وسجد لله شكراً ولما أن فرغ من سجوده

قال علي بالمأسورين فجعل ينظر إليهم وإذا به يرى الخطار فى أوسطهم فقال له الامام كيف أوقعك الله معنا يا ويلك يا عدو الله تدبر هذه المكيدة وتكذب على الاسلام ولكن قد مكننا الله منك ومن أصحابك (قال الراوى) ثم أن الامام على أمر بإضرام النيران فأضرموها حتى سارت تتلاظم وأمر بإلقاء هذا الملعون فيها فألقوه فى عاجل الحال فصار يستغيث فلا يغاث وبقى له صرخات عاليات كعى الخنازير ثم أن الامام رضى الله عنه أمر بضرب أعناق الأسارى فضربت رقابهم (قال الراوى) ولما أن عاين مقلقل إلى ذلك وما حل بأصحابه كتب كتاباً وأرسله إلى والده مخارق بن شهاب يقول فيه أما بعد فإن الجيوش قد فنيت والأبطال قد هلكت والمسلمون علينا قد نصرت وسيوفهم فى أرقابنا فصلت ورماحهم فى أقفيتنا عملت وخرقت ونار الحروب أوهجت فأرسل لنا نجدة أخرى لعلنا نغلب المسلمين بالكثرة ويكون ذلك بسرعة فإن لم تفعل ذلك شربنا كؤوس المهالك ثم أنه كتب الكتاب وأعطاه للنجاب فأخذه وسار ولو كان له أجنحة لطار هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر المسلمين فإن الامام لما أحرق هذا اللعين وقتل باقى الأسارى رجع ينظر المسلمين الذين فى المقدمة فرأى زهيراً والفضل بن العباس وهم يهللون ويكبرون وقد وقع لهم النصر من الله عز وجل وانهزم المشركون إلى الوراء وكسب المسلمون كسباً عظيماً وامتنع الحرب والقتال مدة يسيرة من الزمان وقد ارتاحت الطائفتان وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار بعد ساعة من الزمان وبان للأعيان فإذا بها نجدة قد وصلت من عند اللعين رأس الغول فلما رأى الامام والمسلمون ذلك قالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم نحن بقينا نقطة بيضاء فى جلد بقرة سوداء فقال لهم الامام على رضى الله عنه أما سمعتم قول الله تعالى فى كتابه العزيز (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وقال فى آية أخرى (أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فاتركوا الدنيا وراء ظهوركم واستقبلوا الآخرة بوجوهكم عسى أن تفوزوا بالأجر العظيم من ربكم (قال الراوى) فلما سمع المسلمون من الامام ذلك الكلام طابت قلوبهم واطمأنت خواطرهم وأنفسهم هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر النجدة ووصولها إلى المشركين كان سبب ذلك النجاب الذى أرسله مقلقل لأنه سار به ليلا ونهاراً إلى أن أوصله مخارق وقبل الأرض بين يديه وأعطاه الكتاب فأخذه وقرأه فلما أن أتى إلى آخره زاد غضبه وأرسل إلى ولده عشرة آلاف فارس وجعل المقدم عليهم أميراً من أمراء قومه يقال له عمارق فلما أن وصلوا إلى مقلقل أمرهم بالحملة فحملوا على المسلمين وكان هذا لأجل الغم الذى حصل له من الذى جرى على أصحابه وقتلهم وحرق الخطار فلذلك أمرهم بالحملة فحملت المسلمون أيضاً قال عمرو بن أمية أنى كنت أرقب

الطريق بجانب المدينة فلعل أن الله يسهل علينا كل خير ويدفع عنا كل شدة أو يرسل لنا نجدة من عند رسول الله ﷺ لأنى نظرت المسلمين قد وقفوا فى كرب شديد وعاينت منهم التضرع والدعاء والامام على يحمل على الأعداء مثل الأسد الغضبان وأنا أرقب الطريق وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وارتفع فبهتت إليه الطائفتان فقالت المسلمون يا أمير المؤمنين إذا كانت هذه نجدة للكفار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويكون استشهادنا فى ذلك الحى (قال الراوى) فبينما المسلمون قلقين على ذلك الامر وإذا بالغبرة قد انكشفت وظهرت للناظرين وتراجعت إلى جهة المسلمين فلما رأى الامام ذلك ادعى بعبد الله بن أنس وقال له انطلق إلى هؤلاء الأقوام المقبلين وانظر لى أخبارهم وكن مسرعاً فى أمرك فأجابه عبد الله بالسمع والطاعة وجد المسير إلى أن وصل إلى مقدم الجيش وحقق أمرها فرأى المقدم عليها المقداد بن الأسود الكندى وهم ينادون بالتهليل والتكبير والصلاه على البشير النذير (قال الراوى) فلما رأى عبد الله ذلك ارتد مسروراً فرحاً وأقبل على الامام وقال له يا أمير المؤمنين أن هذه نجدة أتت من عند النبى ﷺ للمسلمين والمقدم عليها المقداد ابن الأسود الكندى وهم ألف فارس قد أرسلهم النبى ﷺ فلما سمع الامام على ذلك فرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وكذلك المسلمون ولما أن قرب المقداد بن الأسود من الامام على والمسلمين ووقعت عينه عليهم أنشد يقول :

أنا المقداد حقاً فاعرفونى شديد البطش كالجبل الثقيل
وذكرى شائع فى كل أرض وكم قد صلت بالسيف الثقيل
شجاع ضيغم أسـد هزبر تجاوز سطوتى أمد المسيل

(قال الراوى) فلما فرغ المقداد من شعره أقبل إلى الامام على وسلم عليه سلام الأحباب وهما فى وسط المعركة ولا واحد منهم يبالى بكثرة الجيوش المشركة وبعد السلام حملوا جميعهم على أعداء الله اللئام ونزلوا على الأعداء نزول السيل وأبلوهم بالذل والويل وماز الوا فيهم بالرماح الخوارق والسيوف البوارق حتى انهزم الكفار من بين أيدى الأبرار ودارت أيدى المسلمين على أسلاب الكفرة المشركين وكان أول من انهزم مقلقل وقد اشتد به الكيد والغضب لأجل ما جرى على أصحابه من المسلمين هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من الامام فانه قال للمقداد ما سبب قدومكم علينا فى هذا الميعاد فقال له المقداد يا أمير المؤمنين اعلم أنه قد مر بنا رجل من قبيلة بنى غطفان وهو يسوح القرى والبلدان فسأله النبى ﷺ عن أخبار المسلمين فأخبره بالحيلة التى قد دبرت عليكم من مقلقل والخطار فلما سمع النبى ﷺ ذلك

صعب عليه وقد أرسلنى إليكم فى ألف فارس نجدة وكان هذا سبب قدومى عليكم وإقبالى إليكم وهذا الرجل هو معنا فى كرنا يريد الجهاد فى سبيل الله راجياً الثواب من الملك الجواد وهو يقال له ناصح بن عون القطعانى فأدعى به الإمام وسلم عليه وبعد ذلك اليوم إذاً بغبرة قد طلعت وانكشفت عن عشرين ألف فارس من نحو رأس الغول قد أقبلت وإلى نحو الإسلام بالحملة عولت وكان لهذا الأمر سبب عجيب وهو أن اللعين مخارق لما أرسل النجدة الثالثة عرف أنها غير منصورة فدخل على صنمه لأجل أن يسأله النصر على الأعداء فلما دخل سجد بين يديه وقعد ينتظر رد الجواب فدخل الشيطان فى جوف الصنم وقال يا ويلك يا مخارق أرسل إلى مقلقل عشرين ألفاً من الرجال وأنا أعطيه النصر وما بقيت ترسل بعدها أبداً لأن كل شيء بحكمى وإرادتى فلما سمع اللعين من اللعين الذى مثله ذلك الكلام قام وجهز الرجال والأبطال وأمر عليهم خمسين أميراً كباراً كما ذكرنا إلى أن التقوا بالمقلقل وهو هارب برجاله كما شرحنا فرجعوا مع بعضهم البعض وأقبلوا على المسلمين يريدون الحملة (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الإمام فإنه أمر العساكر بالركوب فركبوا وكان فى الميسرة المقداد بن الأسود الكندى وفى الميمنة الأمير زهير العامرى والفضل فى الجناح والإمام فى القلب هذا وقد وقع الحرب بين الطائفتين ودام وقد حملت الرجال على الرجال واشتد القتال وعظم النزال ودقت طبول الحرب وصارت الأرض بالقتلاء مفروشة والدماء على وجهها مرشوشة هذا وجيوش المشركين محتاطة بالمسلمين لأنهم أضعافهم وأكثر والمسلمين صاروا ينظرون إلى الكفار فلم يجدوا لهم نقصاً لأن عدوهم كثير والمسلمون نفر قليل فبينما هم كذلك والإمام والمسلمون فى الطعان والضرب وقد بذلوا المجهود فى طاعة الملك المعبود وقتلوا من المشركين كل جحود ولكن لم يبين النقص فيهم لكثرتهم هذا وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف وبان عن ألف فارس مقبلين وإلى نحو القتال معولين فقال الإمام على رضى الله عنه أحدكم يكشف لنا خبر هؤلاء القادمين فخرج إليهم زهير العامرى وهو شاهر سيفه وقال لهم من أنتم أيها القوم وإلى أين تريدون ومن أين أنتم سائرون فتقدم إليه خالد بن الوليد المخزومى وقال ومن أين أنت أيها الفارس حتى تأتى إلينا وتعارضنا فى طريقنا فقال له اعلم إنى أنا زهير العامرى (قال الراوى) فلما سمع خالد بذكر زهير العامرى جرد سيفه وأراد قتله وقد غضب غضباً شديداً لأنه يعرف أن زهيراً فارس من فرسان الجاهلية ولأجل ذلك الأمر هجم عليه فلما نظر زهير إلى تلك الفعال قال له امسك يدك أيها الفارس الهمام والبطل

الضرغام فإنى من أصحاب أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب ابن عم رسول الله ﷺ رسول رب العالمين وقد تشرفت بدين الإسلام وفزت فى الدنيا بالتحية والإكرام وفى الآخرة بدار السلام (قال الراوى) فلما سمع خالد من زهير ذلك الكلام أغمد سيفه وتقدم إليه وسلم عليه وقال له أنا خالد بن الوليد المخزومى ثم أنهم بعد أن تعارفوا ساروا الاثنين بالرجال إلى عساكر المسلمين وهم ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلما أن رآهم المسلمون على هذه الحالة فرحوا فرحاً شديداً وأقاموا رايات الإسلام وكبروا وقالوا الله أكبر فتح ربى ونصر وخذل من كفر وبغى وتكبر وجاءنا بالظفر بالدين الرسول القمر سيد ربيعة ومضر ثم أوقعوا البتار فى رقاب الكفار والتقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وازداد الحرب فى إيقاد واشتعال وقد جرى الدم وسال وزادت الأهوال وتقلعت العيون وتفجرت البطون واطلع على عباده الحى القيوم ونصر المؤمنين وخذل الكافرين وما زالوا يضربون بالسيوف ويقطعون الانوف إلى أن أوقع الله الرعب فى قلوب الكفار وتأخروا إلى ورائهم هاربون وقد أوسعوا فى البر الأقفر قدر ثلاثين فرسخاً وقد نهب المسلمون جيوش المشركين بالسيوف بعد أن ولى المشركون الأدبار أخذ المسلمون الأسلاب والأموال والسلاح والذى قد هلك فى تلك الوقعة من الكفار تسعة آلاف وستمائة وخمسون والذى استشهد من المسلمين ثلاثون فارساً إلا فارس لأنه كان جريحاً فعدوه من جملة الثلاثين لأن جرحه كان أبلغ وأما الذين ماتوا تسعة وعشرون وهذا الجريح بقية الثلاثين وقد قيل أن الله تعالى شفاه من الجرح (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر مقلقل فإنه قال لقومه يا قوم إن الرب فراس قد غضب عليكم الآن لأنى أراكم خاسرين وفى حربكم غير نافعين والمسلمين عليكم منصورين ومؤيدين مع أنهم كالشامة البيضاء فى الثور الأسود وكم من نجدة أنتدنا ولا نفعت وما لى إلا أن أبرز إلى المسلمين وأفنيهم بحسامى وأضرم لهم نارى ولا أبقى منهم لا كبير ولا صغير ولا غنى ولا فقير إلا وأسقيه كأس الذل والتحشير ثم أنه ركب جواده وسار إلى الميدان ونادى هل من مبارز هل من مناجز فمن عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا أعرفه بنفسى أنا مقلقل بن شهاب ابن مخارق الملقب برأس الغول (قال الراوى) فلما نظر الإمام على إلى ذلك قال ابرزوا إليه يا عصبة الإسلام ويا جند الرحمن فعند ذلك اصطفت الصفوف وكان أول من برز إلى الميدان زهير العامرى ونادى برفيع صوته يا عباد الأصنام ويا أعداء الملك الديان سوف أفنيكم بحد الحسام ثم أنشد يقول :

من كان تدرى ضربى اليوم فليبرز فإنى فى الطعان اليوم لم أنم
ما أهجم فى الأعداء واضرب بسيفى سيف شهير للمنايا دائم
وأترك العلم فى الحرب مرتغم وأخوض بحر العجاج وهو ملتطم
وسوف تروا منى كل نائبة تعلوكم يا عبدة الأوثان والصنم

(قال الراوى) فلما فرغ زهير من نظامه وإذا بفارس من عساكر رأس الغول قد أقبل على مقلقل وقال لا يبرز إلى هذا الفارس غيرى فأريح نفسك ولا تتعب سرك فأنا أكفيك شره وآخذ لك عمره واخرج رمحى من ظهره وأنا الحارث بن شداد ثم أنه اندفع إلى الميدان وصال وجال ولعب برمحه العسال وتقدم إلى زهير وأراد معه يجول وإذا برأسه عن بدنه مفصول وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فبرز إليه آخر فجعله على أخيه مقرون وعلى الثرى بجدول ولم يزل يقتل فارساً بعد فارس إلى أن قتل سبعين فارس وتأخرت عنه الفرسان فطلب البراز فما أحد برز إليه من الرجال قدر ساعة زمانية فرجع زهير إلى جهة الإمام فقام له الإمام ورحب به وشكره على فعله ثم أقاموا يتحدثون مع بعضهم البعض ولما أقبل الليل أوقدوا النيران وتحارسوا الفريقان وجلس الإمام يتحدث مع أصحابه وقد قال يا خالد أخبرنى عن سبب مجيئك لنا ونحن فى شدة حربنا ونزالنا فقال يا أمير المؤمنين أن النبى ﷺ لما سأل الرجل الغطفانى وأرسل إليكم المقداد بن الاسود فى ألف فارس وبعد مسيرهم أمرنى بالالتحاق إليكم فى ألف فارس لأن الجيوش كثيرة فسرت كما أمرنى ولم أزل سائر إلى أن وصلت إلى ههنا فرأيتكم فى أشد ما يكون الحرب والطعن والضرب وهذا كان السبب ثم أن كل واحد منهم صار يحكى حكاية ولم يأخذ أحد منهم النوم إلى أن طلع النهار بالأنوار وولى الليل بعساكر الظلام فقام الإمام وصلى صلاة الافتتاح وركبت الفرسان واصطفت الصفوف وترتبت الألوف وبرز من المسلمين المقداد بن الأسود فلله دره من بطل ما أخبره بالحرب والطعن والضرب لأنه نزل إلى أول فارس فقتله والثانى جندله والثالث عن جواده رجله ولم يزل كل من نزل إليه يقتله إلى أن قتل خمسة وعشرين فارس فتأخرت الرجال وراثها ولم يبرز إليه أحد لحمل على الميسرة فقتل منها ثلاثة فوارس وحمل على الميمنة فقتل منها فارسين وهجم على القلب اختطف منه أربع فوارس كل فارسين فى يد وطلع بهما من بين الرجال إلى أن وصل بهم إلى الإمام وضربهم فى بعضهم البعض وأرماهم إلى الأرض فاختبصوا (قال الراوى) فلما نظر مقلقل إلى ذلك زاد همه وكثر غمه وبلاه وقد صاح فى عساكره بالحملة فحملوا المشركين وتلقتهم

المسلمين وحان الحين على الطائفتان ومازال الدم يبذل والسيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسبل فدق طبل الحرب وانفصل ورجعت كل طائفة إلى مكانها وكان الرابح فى ذلك اليوم المسلمين والخاسر اللئام الكافرين لأن الذى قتل من الكفار فى ذلك اليوم أربعة آلاف وسبعمائة فارس وأما المسلمين فإنهم كانوا والله العظيم على سلامة (قال الراوى) فلما رأى المقلقل ذلك لطم على وجهه وحث التراب على رأسه وشق ثوبه وضرب وجهه بمداسه حتى كادت أن تقع أضراسه ووبخ أصحابه وقال لهم وحق الرب فراش إنكم الخاسرين وفى أموركم غير ناجحين ثم أنه كتب كتاباً يقول فيه أما بعد إننا مغلوبين والرب فراش علينا غاضب ولو كان راض علينا ما كان حل بنا هذه المصائب فإن لم تدركنا بالعساكر وإلا هلكنا عن آخرنا ثم أنه ختم الكتاب وأعطاه للنجاب وأمره بالمسير فأخذ النجاب الكتاب وسار إلى رأس الغول هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من أمر الإسلام فإنهم لما انفصلت الوقعة بين الطائفتين رجع المسلمون فى محل خيامهم وسلم بعضهم على بعض وهنوا بعضهم بالسلامة وقد أتوا إلى الإمام على وشكروه على فعله الذى فعله فى اللئام وذلك بعد أن لموا الغنيمة وأقاموا يطلبون الراحة وقد فازوا بالنصر على الأعداء والنجاح والراحة مدة يسيرة من الزمان وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف وبان للناظرين عن خمسة آلاف فارس ومثلهم معهم قد أقبلوا من جهة اليمين ومقدمهم فارس طويل عريض كأنه من بقايا قوم عاد الذين بنوا إرم ذات العماد وكان ذلك الفارس يقال له القطاع ابن سهل الحميرى وكان بطل شجاع وقرم مناع وسبب أنهم سموه القطاع كان إذا هجم عليه عشرة فرسان وكانوا على جهة واحدة ضربهم بالسيف قصمهم وهو فارس مشهور وبطل مذكور (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء هذه الرجال الكتاب الذى أرسله مقلقل وسار به النجاب إلى أن وصل به إلى مخارق رأس الغول وقبل الأرض بين يديه وسلم إليه الكتاب ففرده وقرأه ولما أن وصل إلى آخر الكتاب صارت عيشته مثل الهباب وقال لا شك أن الرب فراش غضبان على رجالى وأنه يقودهم إلى هلاكهم ثم أنه قام وخضع له وسجد له سجوداً طويلا وإذا بالصنم هاج وماج ودخل الشيطان فى جوفه وقال للكلب مخارق ويلك يا مخارق أن عندك بطل مشهور يقال له القطاع بن سهل أرسله إلى المسلمين فى خمسة آلاف من غير زيادة واطمئن أنت فى مكانك وانظر العجب فى فعالى وفعال هذه الكرة من المسلمين ثم أن الصنم سكت بعد ذلك ولم يتكلم فحينئذ قام عدو الله وجهز هذا الجيش كما ذكرنا

وقال لهم أدركوا مقلقل فساروا وجدوا فى السير إلى أن وصلوا إلى مقلقل (قال الراوى) فلما رأى المسلمون ذلك قالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولكن قد تواعدنا بالنصر من الله الكريم فما نبالى إذا كانوا أضعاف ذلك الجيش هذا وأن المقلقل لما رأى ذلك الجيش أتى من قبل اليمن زال عنه الحزن وقام على الأقدام وأمر العساكر جميعهم بالركوب وصف عساكره يميناً ويساراً وقلباً وجناحين وأرادوا بعد ذلك الحملة على المسلمين فعندها قال الإمام اركبوا ياعصبة الإسلام ثم أنهم ركبوا واختلطوا ببعضهم البعض ووقع الحرب واشتد الضرب والطعن ولكن المسلمون قليلون ولم يكادوا أن يبانوا من كثرة جيوش الكافرين (قال الراوى) فبينما هم على ذلك الأمر والطعن الذى أمر من الجمر وإذا بغبار قد ثار وعلا حتى حجب ضوء الشمس عن الأرض وما زال سائراً إلى أن قرب على الطائفتين وإذا به ألف فارس كرار فتأملوه المسلمون فإذا هو من جهتهم والمقدم عليهم طلحة بن عبد الله التيمى ولما أن وصلوا وسلموا على المسلمون وتقدم الإمام وقال لهم ياعصبة الإسلام دونى فى القلب وزهير والفضل فى الميمنة والمقداد وخالد ابن الوليد فى الميسرة وسعيد بن عبد الله الصامت فى الجناح اليمين وطلحة فى الجناح اليسار فعند ذلك حملوا حملة منكرة ونادوا الله أكبر الله أكبر فتح ربى ونصر وخذل من كفر بدين محمد المضر فأما الإمام فإنه قتل فى تلك الحملة ألف فارس والأمير خالد بن جندل سبعين فارس وكذا طلحة وزهير بلوا الكفار بالذل والويل ولله در المقداد وما فعل فى أهل العناد هو وسعيد بن عبادة الصامت (قال الراوى) فلما نظر مقلقل إلى تلك الفعال طغى وتجبر وتمرد وقال أن المسلمين مافعلوا هذه الفعال إلا من وقت أتتهم النجدة وإنى أقول أن الفارس المقدم عليها بطل كرار ثم أن مقلقل قصد إلى طلحة وجاء من ورائه وضربه بالحسام فجاءت الطعنة فى البيضاء فكسرتها والزردية فشقتها وغاصت فى رأسه أربع قراريط فأدهشته غير أنها سليمة وقد أرادوا أن يأخذوه أسير فكان بالقرب منه المقداد بن الأسود فتحارب معهم وردهم عنه وقد ناله الآخر ثلاث ضربات وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين خمسة آلاف وستمائة والباقى ولوا منهزمين إلى فم الوادى فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم خلق لا تحصى بعدد الرمل والحصا وأسروا منهم نحو من ستمائة أسير ورجع المسلمون بالعز والسلامة والكفار بالخيبة والندامة وقد باتوا تلك الليلة مطمئنين إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح طلعت الشمس من بطاح إلى بطاح وسلمت على زين الملاح وفى ذلك اليوم أيقن المسلمون فيه بعدم الحرب

والراحة من الطعن والضرب والكفار فيه مشتتين فى جوف الوادى (قال الراوى) فبينما المسلمون كذلك وإذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وبان عن عشرة آلاف فارس ومقدم هذا الجيش بطل صنديد يقال له الأحزم بن عباد الصنم وكان هذا الفارس من الجاهلية الطغاة ومازال سائر بالرجال إلى أن خرج من فم الوادى وقد التقيا بالمنهزمين والمقلقل وهو على تلك الحالة فسلم عليه وقد أخذ له مكان من ذلك الوادى واجتمع عليه المنهزمين من عساكر مقلقل ثم أن المقلقل أراد البراز فمنعه ذلك الفارس وقال له حتى تتكامل الرجال فبينما هم على مثل ذلك وإذا بغبرة قد طلعت وبانت عن عشرة آلاف فارس ومقدمهم بطل يقال له عدو الله بن صفوان فقال لهم انزلوا على جهة اليمين وإذا بغبرة أخرى طلعت وهى عشرة آلاف فارس ومقدمهم زهير النخلى وقد أقبلوا فقال لهم وأنتم تكونوا على جهة اليسار فنزلوا كما أمرهم وإذا بغبرة قد طلعت وبانت عن عشرة آلاف فارس ومقدمهم يقال له كربوس فقال لهم وأنتم تنزلون فى وسط الوادى كل هذا والمسلمون يعاينون ذلك بالأبصار وقد خارت وضعفت قوتهم واشتدت بهم الكروب لأنهم عاينوا شيئاً لا يحصى بعدد الرمل والحصا فعند ذلك نادى الإمام بعمرو بن أمية الضمرى وعبد الله أنيس وقال لهم أما تنظرا إلى هذا الجيش العظيم الذى احاط بنا من كل فج ومكان ولولا فضل الله علينا ما كنا صبرنا لحظة والآن فانى أريد منكما أن تمضيا إلى رسول الله ﷺ وسلموا لى عليه واخبروه بما نحن فيه من الضيق وجدوا فى مسيركم ولا تناموا لا ليلا ولا نهاراً فقالوا سمعاً وطاعة وخرجوا من عنده كريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من عدو الله الأحزم فانه جلس مع مقلقل وجعلوا يتشاورون فى أمر القتال فقال له مقلقل أخبرنى ما سبب قدومك على وأنا لم أرسل لك كتاب فقال له إنما أنا طلعت من أرض اليمن أريد الصيد والقنص فالتقيت بالمنهزمين من عسكرك فاخبرونى عن ذلك الأمر وما جرى عليكم من المسلمين وكانوا يريدوا يمضون معى إلى أبيك ويستنجدوه فمنعتهم من ذلك وسرت إليك فى عشرة آلاف فارس وقد أرسلت إلى هذه العساكر يلحقونى بباقى الرجال فأتيت أنا وقد لحقوا بنا هؤلاء الأبطال فهذا كان السبب إلى مجيئى إلى ههنا وما زالوا كذلك إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأمر المقلقل أصحابه بالكفاح وقد أمر المتقدمين أصحابهم بالركوب وكل مقدم رتب جماعته يمين ويسار وقلب وجناح فملأوا الأرض ذات الطول والعرض وكان الأحزم ضارب خيمة حمراء

وعلى رأسها هلال من الذهب وقد نشرت الأعلام ونصبت الخيام وأعطى قومه الهدايا والأموال وقال لهم احلوا بارك الرب فراش فيكم وخذوهم على أطراف شفار سيوفكم فهموا بالحملة هذا ولما أن نظر الإمام على إلى ذلك قال كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو علينا أكرم من نفوسنا إلينا ولكنه اراد أن يثبت المسلمين ويقوى همتهم لأنه كان ذات صلاح وأهل خير وفصاحة وسماح فقال للمسلمين يا معشر المسلمين وأبطال الموحدين استعينوا بالله رب العالمين وتوسلوا بنبيه الكريم واسألوه النصر على أعدائه الملاعين واصبروا على أمر مولاكم فإنه يعلم منقلبكم ومثواكم وقولوا فى دعائكم يا غياث المستغيثين ويا أرحم الراحمين بجاه سيد المرسلين أدركنا وأغثنا بفرجك القريب إنك على كل شىء قدير (قال الراوى) فلما فرغ الإمام من هذا الدعاء وتقابل الفريقان والتصقا وكل من الإسلام يدعو بهذا الدعاء فما تم عليهم أكثر من ساعة إلا والغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار حتى احتجب منه ضوء النهار وكان ذلك الغبار من جهة بلاد الإسلام فتأملوا إليه المشركين فرأوا أمم وأى أمم وقد تهيأ لهم أن الدنيا قد انقلبت ولم يبق فيها أحد حتى أنه انكشف زاد الرعب فى قلوب اللئام الكفرة وتأخروا ورائهم قدر تسعة أذرع أوعشرة وكان ذلك من المعجزات الباهرة هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر الغبرة فإنهم لما انكشف لهم الغبار بان الحديد غائص فى الزرد النضيد لا يبان منهم غير تداوير الحدق وفى أوائلهم أعلام ساطعة وأعلام مرتفعة وفارس عليه الهبة والرفعة عليه من الله هيبة ووقار وخيرات وأنوار وهو راكب على فرس أشقر وله جبين أزهر وهو سائر مقدم القوم وعلى يمينه عبد الله بن أنيس وعن يساره عمرو بن أمية الضمرى يخدمون ركابه فلما رأى الإمام هذه المعجزات الظاهرة والألطاف الخفيات والأنوار الساطعات خرج من وسط المعمعة ليكشف الخبر وقد همز بجواده وإذا به يرى العلم الأزهر مرتفعاً على صاحب الوجه الأقمر والطرف الأحور فخر زبيدة ومتمر وسيف جميع الخلق والبشر من خصه مولاه بالحوض والكوثر سيدنا محمد ﷺ المطهر من غاص بقدمه فى الحصا والحجر شفيع المذنبين فى المحشر (قال الراوى) فلما رأى ذلك الإمام فرحوا واستبشر لما أن عاين المصطفى ﷺ ورجع على المسلمين وأخبرهم بصحة الخبر فهللوا وكبروا وفرحوا واستبشروا ومن التهليل تزودوا ومن الصلاة على البشير أكثروا وترجلوا عن خيولهم وإليه تقدموا وعظموه وقبلوا يديه وركبوا خيولهم ثانياً كل هذا

يجرى ومقلقل ينظر ويرى ثم أن مقلقل أقبل على قومه وقال لهم من هذا الفارس الذى أراهم يعظموه فقالوا لا نعلم به ولا رأينا شكله فى الفوارس فما أحلى جبينه وما أحلى طلعته لأن النور منها يفيح علينا ثم أن مقلقل ادعى بفارس من قومه وقال له سير من هاهنا إلى عساكر المسلمين وانظر من هذا الفارس الذى أقبل عليهم وهو سائر لنجدتهم ونصرتهم وأنا أقول وحق الرب فراش أننا ما بقينا ننفع معهم أبداً فى حربهم ما دام هذا الفارس قد حضر إليهم فسار الرجل إلى أن وصل إلى عساكر المسلمين وسأل وقال مايقال لهذا الفارس فقالوا هذا صفوة رب السماء سيد العرب والعجم هذا الذى من أجله تعلم آدم الأسماء وخلق من الطين والماء نبى الله وحبيبه وصفيه وخليله محمد ﷺ فلما أن سمع الرجل هذا الكلام ارتعدت فرائصه وتغير لونه وتشكلت أسنانه بعضها فى بعض وحطم جواده وزادت شكواه ورجع إلى قومه وهو لا يعقل ولم يزل سائراً إلى أن وصل بين يدى مقلقل وقال له اعلم أيها الأمير أن الذى جاءهم لأجل نصرتهم هو نبيهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذى ينزل عليه الوحى من السماء وتقاتل معه الملائكة فى الأعداء فهو صاحب الكرامات والمعجزات والإحسان الذى أنزل الله عليه القرآن وأمره بإظهار الإسلام وأنا أقول أننا مابقى لنا عليهم طاقة لأنى لما سمعت بذكر هذا الرجل ذهب فؤادى وعدم رشادى وارتعدت فرائصى من شعار ذكره وإن طاوعتنى ترجع إلى البلاد وتريح هذه العباد وتتبع هذا الرجل فى كل ما يأمرك به فلما سمع مقلقل ذلك الكلام قال له الآن علمت أنه حاق فينا سحر محمد ياويلك كيف تحدثنى بمثل هذا المقال وكيف تخوفنى من هذا الرجل ثم أنه ضربه بالسيف على عاتقه أخرجه يلمع من علائقه ورجع يشجع قومه ويحثهم على القتال وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

جوادى ما تسابقه الرياح	وسيفى لا تقاربه الصفاح
ورمحى معتدل لين ثقيل	وتقصفت دونه البيض الصفاح
ولا أخاف من حرب ولا نبل	فليس لهم منابير أفاح
وأن مخارق أبى لا شك فيه	وأنى مقلقل لابس الكفاح
ستنظرون اليوم حربى	حين أرديهما فى البطاح

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر النبى ﷺ فإنه وقف بالجيش مقابل القوم والراية مع المقدم حسان بن ثابت وهز الراية ورفعها وهو قبال القوم وسار ينشد ويقول هذه الأبيات :

أتاكم رسول الله بالخيل والقنا كـأنهم فى السير مثل غمام
كـتائب جند الله فوق جياده من الطعن لم ضعفت لهن حسام
أسود الوغا ليوث الفزاع وقد جاء انا النبي السامي
عليه صلاة الله ما لاح بارق وما غرد القمرى وناح حمام

(قال الراوى) قدم النبي ﷺ يريد الحملة على الكفار وإذا به يسمع النداء من الكفار بإبطال الحرب والمقلقل يصيح فى أوائل قومه يا قوم أبطلوا الحرب حتى أنظر تلك الاخبار وأكشف أمر هذا السحار فلما رآهم النبي ﷺ فعلوا هذه الفعال وهمدوا عن القتال ونزلوا عن الخيول أمر النبي ﷺ الرجال بالنزول وباتوا يتحدثون إلى الصباح فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الافتتاح وأحدقت الشمس على البطاح وأمر النبي ﷺ بالركوب فركبوا وإلى الميدان تواثبوا وقد نظر إلى ذلك مقلقل فأمر أصحابه بالركوب فى الميمنة عشرين ألفاً وفى الميسرة عشرين ألفاً وفى القلب كذلك أربعين ألفاً وقد رتب رجاله وقال لهم كونوا فى حربكم كأنكم رجل واحد فأجابوه بالسمع والطاعة (قال الراوى) فبينما الطائفتين يجهزون رجالهم ويصفون أبطالهم وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار عن عشرين ألف فارس مقبلين كأنهم الشواهين فتأملوهم الطائفتان وإذا هو اللعين رأس الغول وهو قادم بباقى الرجال وهموا بالحملة فقام النبي ﷺ وسحب سيفه ولبس درعه وحلف لايغمده حتى يقاتل والقوم ينظرون أمر النبي ﷺ وإذا بغبرة ثانية قد طلعت ورجت الأرض عند إقبالها وكادت أن تسد الفضا فأحدقوا إليها الجمعان وقد أخرجوا إليها فارسان يكشفون خبر هؤلاء فأما رأس الغول فإنه أرسل وزيره يكشف له الخبر وقال له أيها الوزير اكشف خبر هؤلاء القوم وائتنى بالخبر فإن كانوا من ديننا فهم عون لنا على قتال محمد وقد ظفرنا بالنصر من الرب فراش وإن كانوا مسلمين فقد هلكنا عن آخرنا. ويكون ذلك غضباً من الرب فراش ولكن اسبق أيها الوزير وائتنى بالخبر فانطلق الوزير هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر النبي ﷺ فإنه لما رأى تلك الغبرة وهى مقبلة أشار إلى الفضل بن العباس يكشف له الخبر وقال له امض إلى القوم فإن كانوا مشركين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ونستعين عليهم بالملك الكريم وإن كانوا مسلمين فهم نصرة من رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل (قال الراوى) فمضى العباس بن الفضل وتقابل بالناس وكان الفضل صبيح الوجه حسن الصورة فصيح اللسان فبينما هو سائر حتى انتهى إلى وسط الطريق وإذا به التقى بعدو الله رأس الغول فلما التفت

اللعين نزل الوزير إلى الفضل بن العباس وقبل ركابه وقال له من أنت ياصبيح الوجه ومن أين أقبلت وإلى أين تريد فقال له أنا ابن عم سيد الخلائق أجمعين وشفيع المذنبين من شر نار الجحيم لأن المؤمنين لهم دار النعيم والمشركين لهم عذاب أليم وصار الفضل يصف له النار وما فيها من الاضرار والجنة وما فيها من الأنعام والخيرات والإحسان والحور والولدان وما أعد الله لأهل الإيمان وأما الكفار فلهم النيران لا يموتون ولا يحيون ولا من جهنم يخرجون فلما سمع الوزير من الفضل ذلك الكلام الذى أنطقه به الملك العلام انشرح صدره وقلبه راق وفتح الله عليه وقال له مرحباً بك يا فضل وأنا قد آمنت بصاحب الفضل لأنى أعلم أن دينك الحق وما سواه باطل وفسق لأنى قد قرأت فى الكتب القديمة وعندى أخبار حبيب القلوب ومفرج الكروب عليه أفضل الصلاة والسلام والآن فأنا أقول على يدك قولا حقاً مخلصاً صدقاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ولكن يا فضل تكتم إسلامى ولا تبيح بكلامى إلى أحد واعلم أنى ليس لى سبيل على إظهار الإسلام خوفاً من هذا الجبار عدو الملك العلام لأن لى تحت يده مالا وعقاراً وأولاداً وعيالا وأطفالا وإن اطلع على أمرى وعلم بإسلامى عجل حمامى وأهرق دمى وأخذ مالى وأريد منك أن تكتم هذا الأمر حتى يحكم الله بما يريد ودعنى أكون لكم عند هذا اللعين ذخيرة أطلعكم على الأخبار آناء الليل وأطراف النهار وكل ما يجرى به عندنا أعلمكم به فما تقول فقال الفضل هذا غاية المقصود من الملك المعبود (قال الراوى) ثم أن الإثنين ساروا فيما أرسلوا به وهم يتحدثون مع بعضهم البعض إلى أن وصلوا إلى تلك الغبرة وتقابلوا بأمير القوم وإذا به وقعت عيناه على الاثنين فأمر جماعة من رجاله أن يأتوه بهما فأحضروهما بين يديه فقال لهما من أنتم ومن تكونون ومن أين أقبلتم وما تريدون وما هذه العساكر المجتمعون ذات اليمين وذات الشمال فأجابه الفضل بن العباس وقال له أما هذه العساكر التى داخل الوادى فإنها عساكر عدو الله رأس الغول وهذا وزيره وأما هذه العساكر عساكر النبي ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا جئت من عنده قاصد لك وإننا نحن الاثنان نريد ننظر أمرك لأننا جئنا نستخبر منك عن دينك فإن كنت عوناً لنا على أعداء الله فذاك وإن كنت أيها الملك على دينهم فأخبرنا عن كل ما تريد (قال الراوى) فلما سمع المقدام ذلك الكلام التفت إلى الفضل بن العباس وقال له ما تريد منى فقال أنا جئت إليك أنظر ما جوابك فإن كنت على دين الاسلام فلك ما لنا وعليك ما علينا وإن كنت غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

فقال لهم أعلمونى لأى شىء يقتتلان هؤلاء الجيشان فقال له الفضل بن العباس أن محمداً يدعو هذا اللعين إلى دين الاسلام وينهاه عن عبادة الأصنام فمن أجل ذلك هذا الحرب والقتال (قال الراوى) فلما سمع المقدام منه ذلك الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية وقام وصاح صيحة عظيمة وقال فى صياحه والله أن الحق لمحمد ومعه الدين القويم والصراط المستقيم وأما رأس الغول فهو على الباطل إن لم يجبه فيما يأمره به فأنا أكون عوناً له عليه وأسير إليه وأخرج روحه من بين جنبيه (قال الراوى) وكان هذا الفارس يقال له العرمرم وكان رجلا جباراً وبطلا مقداماً وفارساً لا يطاق وعلقم مر المذاق لأنه كان يعد فى الحرب بألف فارس من الشجعان وكان سائراً إلى عدو له يقال له النعمان فلما وصل إلى ذلك المكان فوجد العسكران فوقفت رجاله لما أن وقف ينظر من يكون الغالب من الطائفتين فوصلوا له هذين الاثنين وسألوه وجرى من الأمر ما قد جرى ثم أن العرمرم قال للوزير ارجع إلى مولاك وأعلمه بالاسلام وأن يجيب محمداً فى كل ما يأمره به من الأحكام والأفعال وإلا أسير أنا إليه وأقتل جنوده وأنكد عليه وآخذ روحه من بين جنبيه ثم أنه التفت إلى رجل من جماعته وقال له سر مع الوزير وقل لرأس الغول هذا الكلام المقبول الذى سمعته منى فسار الوزير والقاصد إلى أن وصلوا إلى رأس الغول فقال القاصد ما قاله الملك العرمرم (قال الراوى) فلما سمع عدو الله رأس الغول ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وطار عقله من رأسه وقال للقاصد ومن يقال لهذا الرجل الذى يخاطبنى بمثل هذا المقال فقال له الوزير هذا قاصد الملك العرمرم وهو الذى قد أرسله إليه وقد أرسله هو الآخر معى فقال لك ما قد سمعه من مولاه الملك العرمرم (قال الراوى) فلما سمع رأس الغول ذلك الكلام قال يا عجباً لهذا الملك الجليل كيف أنه ملك وسلطان ومبيد الأقران ويترك دين آبائه وأجداده من الأصنام والأوثان ويميل إلى دين السحرة والهذيان فوحق الرب فراش لابد من أخذ نبيكم أسيراً والتفت بعد ذلك إلى القاصد وقال له ارجع أنت إلى سيدك الملك العرمرم وقل له سر أنت فى طريقك واتركنا ولا تدخل بيننا ولا بينهم ولا معنا ولا معهم وإلا وحق الرب فراش أترك قتال محمد وأميل عليك وآخذ روحك من بين جنبيك وأقطع رأسك وأخمد أنفاسك فغضب القاصد من كلامه ورجع إلى الملك وأخبره بما سمع من رأس الغول والكلام الذى جرى من أوله إلى آخره فلما سمع الملك العرمرم عطف من ساعته إلى المسلمين بجيشه وترجل عن جواده وكذلك فعلت رجاله مثله وساروا يمشون على الأقدام والفضل

ابن العباس معهم إلى أن وصلوا إلى النبي ﷺ وقبلوا يديه وقالوا السلام عليك يا حبيب الله يامن أنارت بطلعته الكائنات وأقرت برسالتك جميع المخلوقات المخصوص بأعظم الشفاعات اعلم يارسول الله أنى قدأتيت إليك لأخدمك وأكون تحت أمرك وأحارب من يحاربك وأكون أنا ومن معى فداك وإنى أريد أن ترجع عن قتال هؤلاء القوم الملاعين الأنذال وأنا أفتح لهم باب الحرب بنفسى وأكفيك شرهم وجعل يترنم بهذه الأبيات :

اليوم أبيد الاعادى	وأمزقهم فى كل شعب وواديا
وأجعلهم طعاماً فى الفلا	للذئاب والوحوش الخواليا
سيروا منى شدة وعزيمة	وحرب وطعان متواليا
وإنى اليوم بقيت مسلماً	وأهلك أهل العناد الطواغيا
بحسامى ورمحى وحربتى	وأسقيهم كأس المنون عداليا

(قال الراوى) فلما فرغ الملك من كلامه وسمع النبي ﷺ حسن نظامه قال له أهلا بك وبمن معك لكن أريد منك أن تتشرف بدين الاسلام فقال له الملك العرمرم يارسول الله أنا أعرف أنك رسوله حقاً وحبيبه صدقاً وأن دينك هو الدين الحميد والصراط المديد وأن من اتبعك كان من المسلمين ومن عصاك وأعرض عنك فهو من الاشرار الملحدين وأنا أقول أنا ومن معى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله لانى لما عزمت على حرب النعمان وسرت مع العساكر والابطال هتف لى هاتف وأخبرنى بما يجرى على من الأمور وقد صح ما هتف لى فى منامى فقال النبي ﷺ وفقك الله لما تحب وتريد وأجارك الله أنت ومن معك من عذاب النار إنه عزيز غفار حليم ستار (قال الراوى) ثم أن الملك العرمرم همز جواده بين الصفين ومال على الميمنة قتل منها فارسين وعلى الميسرة قتل منها فارسين وقال وسط الميدان ونادى برفيع صوته حتى سمعه القريب والبعيد ياخثعم قد حل بكم الخسران ونزل بكم الذل والدمار ببركة محمد سيد ولد عدنان من الملك العرمرم ابن الريبال قاتل الرجال ومبيد الأبطال فى حومة الميدان المعروف بالشدائد والأهوال فهل منكم من يبرز إلى لاقطع رأسه وأخمد أنفاسه ويكون مستغنياً عن عمره وحواسه ويريد فراق أهله وجلاسه (قال الراوى) فتأخرت عنه الرجال وهابته الابطال والشجعان وما أحد قدر أن يبرز إلى الميدان فعند ذلك برز الكلب عدو الله رأس الغول إلى الميدان وعلى الطعن والنزال وقال له نعمت أيها البطل الرحيم والملك المعظم فلا زالت ديارك معمورة ورياتك منشورة كيف تركت اللات والعزى وصبوت إلى دين محمد

وهذه فرسان قد ساقها لنا الرب فراش ولا بد أن آخذك أسير وأنهب أموالك وأقتل رجالك وبعد ذلك فإنى لا آمن عليك فوحق اللات والعزى فإنى لك ناصح (قال الراوى) فلما سمع الملك العرمرم من عدو الله رأس الغول ذلك الكلام صاح فيه صيحة عظيمة أدهشه بها وقد وقع من دهشته إلى الأرض فأراد أن يأخذه أسيراً ويقوده ذليلا حقيراً وإذا بالعساكر حالت بينه وبين الملك العرمرم من الوصول إليه وتبادروا إليه بالحملة قال فلما نظر النبى ﷺ ورأى ما حل بالمشركين من الملك العرمرم فرح فرحاً شديداً ولكنه أشار إلى المسلمين بالحملة على المشركين لما أن رآهم أحاطوا بالعرمرم لأنه لما عاين ذلك أكحل أعداء الله بمراود العمى وأجرى السيل من الدما فلم تكن ترى من يده إلا حصاناً غائراً ورأساً من حسامه طائراً ولحقة المسلمون بعد أن قتل سبعمائة بطل ولما أن حمل المسلمون تأخر المشركون إلى ورائهم وقد خافوا خوفاً شديداً ما عليه من مزيد هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من العرمرم فإنه رجع إلى النبى ﷺ وسيفه يقطر من دماء الكفار فلما أن رآه النبى ﷺ تبسم فى وجهه وشكره على فعاله فوقف عن يمين النبى ﷺ ودعا برجل من رجاله يقال له همام وأمره أن يبرز إلى الميدان ويطلب البراز من أهل الكفر والطغيان وقال له يا همام اعلم أنى الآن ما شفيت قلبى من حومة الميدان فاخرج واطلب البراز فأجابه همام بالسمع والطاعة وبرز إلى حومة الميدان وطلب البراز وسأل الإنجاز فبرز إليه رجل يقال له شديد وكان بطل شهير وفارس نحرير وكل من الاثنين بالحرب خبير والتقيا البطلان فى حومة الميدان وتقاتلا قتالا شديداً ما عليه من مزيد وقد حمى الحر وأوهج البر وزاد الاثنان فى الكر والفر وعلت بينهما الصرخات وحان الحين وزعق غراب البين على رأس الاثنين فخرج منهما ضربتان واصلتان إلى الجسمين وكانت السابقة طعنة المقدم همام الذى هو من عسكر الإسلام فإنه ضرب اللعين بالسيف ضربة صادقة فتلقاها اللعين فبالقضاء والقدر انكسر سيفه من الوسط فأراد أن يجذب سيف الميسرة فما أمكنه اللعين من ذلك بل ضربه ضربة جبار فجاء السيف على عاتقه أخرجه يلمع من علائقه فبرز إليه الثانى فقتله والثالث والرابع إلى خمسة عشر فوارس من فرسان المسلمين فعزمت الشمس على المغيب ودقوا طبول الانفصال ورجع اللعين شداد إلى مكانه وقد حصل للمسلمين غم شديد ما عليه من مزيد ولكن ثبتهم النبى ﷺ (قال الراوى) هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر عدو الله رأس الغول فإنه لما أن وقع مغشياً عليه وحملوه رجاله فلم يزل فى تلك الغشوة طول يومه وليلته ولما أن أفاق سأل عن الميدان

وما الذى جرى فيه فأخبروه بما قد جرى من شداد فقال على به فأحضروه بين يديه فقال ينصرك الرب فراش بعد أن قام له وسلم عليه وأعطاه الإنعام فقال له شداد اعلم أيها البطل الهمام والأسد الضرغام أنه بطل ماهو فارس لفارس ولم أحد يتولى الحرب غيرى بل أنا لها كفاية فلما سمع اللعين مخارق منه ذلك شكره وجعلوا يتحدثون إلى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فقام اللعين وبرز إلى حومة الميدان ولعب برمحه وقال ابرزوا إلى ياعصبة الإسلام فبرز إليه أول فارس فقتله والثانى جندله إلى أن قتل خمسة عشر فارساً من المسلمين وطلب البراز فلم يبرز إليه أحد من المسلمين فأعجبته نفسه فنادى يا محمد أين فرسانك المعروفة أين أبطالك الموصوفة فوحق الرب فراش لقد ذلت أبطالك فى وسط الميدان ومحل الطعن والنزال وقد أهلكت من فرسانكم ثلاثين بالأمس وبهذا النهار وإنى أريد البراز فإن لم تبرزوا إلى هجمت عليكم وهلكت شجعانكم وأفنيتكم بسيفى عن آخركم (قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ ذلك الكلام غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وقام ﷺ وهمز جواده بين الصفين فتعلق به المسلمون وهم يقولون يارسول الله نحن لك الفدا ونفديك بأرواحنا من الردى وكذلك تقدم إليه العرمرم والفضل بن العباس وأكابر قومه مثل المقداد وزهير وكل منهم يقول ارجع يا رسول الله نحن لك الفدا أيها النبى المفضال ونحن نهلك هذا الفارس ونورثه الوبال فلم يرجع النبى ﷺ (قال الراوى) فتقدم إليه الإمام على بن أبى طالب لما أن رآه على هذه الحالة وهو لا يكلم أحداً من رجاله فقال له يا رسول الله أنا آتيك بهذا الملعون كما تحب وتختار إما قتيل وإما أسير فلما سمع منه النبى ﷺ هذا الكلام قال له امض عنى يا على فلا بد من الخروج إلى هذا اللعين وأقتله لأنه طغى وبغى وتجبر وتنمرد فتركه الإمام على رضى الله عنه فلما نظروه المشركون خافوا منه وهابوه ولم يزل النبى ﷺ سائراً إلى أن بقى قدام هذا الشيطان وحطيده وجرد اليمانى وضربه جعله صفين ووقع على الأرض شطرتين ولم يجاوبه بجواب ولا قدر اللعين يجر سيفاً ولا يسحب حراباً بل أنه تقيد وترسم وصار كأنه الحجر الملقى فى اليم ولا تحرك ولا تكلم هذا ولما أن نظر المسلمون إلى ذلك حمدوا الله وشكروه على ذلك (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر اللعين عدو الله رأس الغول فإنه لما أن رأى هذه الفعال صعب عليه وكبر لديه واسودت الدنيا فى عينيه لأنه كان يحب هذا الفارس ومن شدة غيظه أمر الرجال بالحملة وحمل فى أوائلهم فحمل عليهم المسلمون ووقع القتال واشتد الطعن والنزال وسار السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار

وارتحل وأقبل الليل وانسبل وارتجعت كل طائفة إلى مكانها وأوقدوا النيران وأحصوا عدد من قتل فكان الذى قتل من المشركين سبعة عشر ألف فارس وقتل من المسلمين مائة وأربعون فارساً وباتوا العسكران يتحارسان إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح صلى النبي ﷺ بالناس صلاه الافتتاح وإذا بالملك العرمرم تقدم إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله إنى تمينت عليك أن توليتى الحرب مع المشركين فى هذا النهار فأجابة النبي ﷺ إلى ماطلب ثم أن الملك العرمرم تقدم إلى حومة الميدان ولعب برمحه العسال وقال يا أهل الطغيان يا أهل الضلال يا حزب الشيطان ابرزوا إلى الميدان ومحل الضرب والطعان هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم المزاهز لا يبرز لى كسلان ولا عاجز فمن عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا الملك العرمرم صاحب ملككم بالأمس (قال الراوى) فلما سمع القوم ذلك الكلام تأخروا عن الخروج وما أحد اقترب فحمل على أعداء الله وبدد شملهم وفرق جمعهم ولم يزل معهم فى ضرب حسام وهم يهربون من بين يديه إلى أن ولى النهار ولما أن أقبل الليل صاح بالحملة على أعداء الله ولم يزالوا فى قتال شديد إلى أن طلع الفجر وبرزت الشمس وأراد المشركون الى الانفصال فما مكنهم الملك العرمرم من ذلك بل كان من تأخر منهم تأخرت رأسه عن جثته ولم يزالوا كذلك ثلاثة أيام ليلا ونهاراً ثم وقع بينهم الانفصال فرجع العرمرم بجيوشه إلى النبي ﷺ فشكرهم على فعالهم هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول عدو الله لما أن عاين هذه الفعال قل منه الصبر والاحتيال وقال لا شك أن هذا من غضب الرب فراش ولكنه كم يغضب وكم يرضى وأن غضبه أكثر من رضاه فلعن الله أباه وإن لم يحصل لى النصر على هؤلاء العتاه وإلا أرميه وأكسره وألقيه فى الفلاة ثم أنه التفت إلى الوزير الذى على يمينه وهو المتقدم ذكره عليه ما قال له من الكلام وقال له الوزير وكم يأمرك هذا الإله ولا ينصرك كأنه يريد يفنى دولتك ويجعلك صعلوكاً بين الملوك وقد طال ما سجدت له وطال ما عبته وأن الذى تقوله صواب وأمر لا يعاب وما له إلا الكسر ورميه فى القفار (قال الراوى) فلما سمع منه وزير الميسرة ذلك قال له ياملك لاتسمع كلام هذا الوزير فيما قاله فى حق الرب فراش وأنه يريد يجعلك حرباً له ويوقع بينكما العداوة ويورثك الغضب والشقاوة والرأى عندى أن ما لنا طاقة على فرسان المسلمين لا سيما هذا الرجل السميح الوجه والثانى العرمرم وعلى بن أبى طالب ومثل هذه الأسود فأنت ترسل القاصد إلى أقصى القرى والرجال يأتونك من جميع البلاد

ويدعو لك الابطال التى فى الشعاب وهم فى تمام السعادة لك أيها البطل الهمام وأنت تغلبهم بكثرة الجيوش ودعنا الآن من الرب فراش لأنه يفزع من هؤلاء ولو ملكوه لحرقوه (قال الراوى) فلما سمع اللعين رأس الغول من وزير الميسرة ذلك الكلام كتب الكتب وهى أربعة عشر كتاباً وأعطاهم لقاصد وقال سر إلى العرب وائت بهم لى على عجل فأخذ الكتب وسار ولو كان له أجنحة لطار (قال الراوى) هذا ما كان من أمر اللعين وأما ما كان من وزير الميمنة فإنه لما أن شاهد تلك الفعال صبر إلى الليل وكتب كتاباً وأعطاه لعبده وكان هذا العبد يكتم سره ولا يبيح بأمره قال له يا سعيد خذ هذا الكتاب وسر من وقتك وساعتك ولا تجعل أحداً يراك واقصد إلى خيمة النبي ﷺ واعطه هذا الكتاب وبعد ذلك أنت حر لوجه الله تعالى الكريم ورسوله الأمين فلما سمع العبد ذلك فرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وسار إلى جهة النبي ﷺ وقال السلام عليكم يا عباد الله المؤمنين فقالوا وعليك السلام إن كنت من أهل السلام فقال لهم أنا الآن من أهل السلام وقد جئتكم بكتاب من عند سيدى وأعطاه إلى النبي ﷺ ففتحه النبي ﷺ وأراد أن يقرؤه وإذا بالحروف نطقت له من غير أن يقرأ وكل الناس يشهدون تلك المعجزات الظاهرات وقد ازداد إيمانهم بتلك الإشارات ولما أن تكلمت الحروف فهم الحاضرون ما فى الكتاب وعلموا أنها نصيحة من الوزير إليهم فشكره النبي ﷺ على تلك الفعال ثم أنه دعى له دعوات مستجابات ثم بعد ذلك قام الملك العرمرم على الأقدام وقبل الارض بين يدى سيدى الأنام وقال يا رسول الله أريد أن تأذن لى بالانصراف بمفردى وأترك جيشى عندك ولا أغيب عنك أكثر من سبعة أيام وآتيك بباقى عساكرى يكونون مساعدين لنا على هلاك هذه الكفرة اللئام فلما سمع النبي ﷺ من العرمرم ذلك الكلام قال له سر على بركة الله تعالى كفاك الله شر كل هم وضيق ويسر لك ربى كل خير وهداك الله الطريق الحميد والصراط المستقيم المديد وأن الله فعال لما يريد (قال الراوى) فركب الملك العرمرم على ناقة من وقته وسار هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر النبي ﷺ فإنه دعا معاذ بن جبل وقال له سر أنت الآخر إلى بنى بكر بن وائل وقل لهم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يدعوكم إلى نجدة على الكفار فقال السمع والطاعة وسار من تلك الساعة ثم أن النبي ﷺ دعا بخالد بن الوليد فقال له يا خالد سر أنت الآخر إلى بنى ثعلبة وقل لهم أن الرسول يدعوكم إلى الغزاة فقال خالد السمع والطاعة لله ولك يا رسول الله ثم أنه سار من تلك الساعة ثم أن النبى ﷺ أرسل زهير والمقداد وغيرهم من السادات الأجواد وكل واحد إلى قبيلة حتى أرسل

خمسة عشر سيداً ثم أنه أرسل عبد الله بن أنيس إلى عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقال قل له يأتى إلينا للنصرة على الكفار وأنت ياعلى اكتب له كتابا فكتب له الإمام كتاباً يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عند رسول رب العالمين ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب إلى عمرو بن معدى كرب الزبيدى إننا نازلين على بنى خثعم نقاتلهم ونأمرهم بالإسلام وأنت ساعة وصول الكتاب إليك تأتى إلينا بمن معك من المسلمين على غاية العجلة والسلام على خير الأنام وختم الكتاب وأعطاه لعبد الله بن أنيس فأخذه وسار هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ماكان من أمر اللعين مخارق عدو الرب الخالق فإنه لما أرسل القصاد لاقاليه كان له جواسيس بأخبار المسلمين فأتوا إليه وأخبروه بما قد تدبر وزاد بينهم من الأمور والأسباب وأعلموه أيضاً بمسير الملك العرمرم ففرح وأصبح طالب الحرب وما زال الحرب بين الطائفتين إلى تمام عشرة أيام فبينما هم كذلك وإذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وعلت ونمت وانجلت بعد ساعة من النهار وبانت للناظرين عن أربعين ألف فارس من ناحية بلاد رأس الغول فنزلوا وسدوا الأرض ذات الطول والعرض وكانوا ثمانية قبائل من المرسل إليهم كل قبيلة خمسة آلاف فارس ومازال كذلك إلى أن تكاملت الكتب الذى أرسلها عدو الله مع القاصد فكل من قرأ الكتاب جهز نفسه وسار فيما أمره به اللعين ولم يزالوا حتى تكاملوا وقد ملأوا الأرض ذات الطول والعرض ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح طلب اللعين مخارق البراز فبرز إليه واحد من المسلمين فجعل يتقاتل هو وإياه وإذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار عن سبعين ألف فارس مقبلين ولهم رايات وأعلام وهم يصيحون كلهم بالتكبير والتهليل الله أكبر فتح ربى ونصر وخذل من كفر والذى فى أوائل تلك الأمم الملك العرمرم ولما أن أقبلوا سدوا الفضا وملأوا المستوى ففرح النبى ﷺ واغتم اللعين رأس الغول ورجع من الميدان وهو بسائر الأمراض والأسقام وهو يصيح كأنه جريح ويقول فى صياحه وحق الرب فراش أن هذه الأقوام ينهبوننا بأسلحتهم ولم يبق منا من يخبر بخبر ونحن مالنا فى قلوبهم هيبة أبداً ولا لنا قدرة عليهم مع أنهم كانوا عصابة يسيرة فكيف وأنهم ألوف كثيرة (قال الراوى) فلما سمع القوم منه ذلك الكلام قالوا له لا تخف أيها البطل الهمام فأرواحنا لك الفدا ونفديك بأنفسنا من الردى ونحمل عليهم فى هذه الساعة حملة واحدة فقال لهم اللعين هذا هو الرأى الصواب فبينما هم كذلك وهم يريدون أن يهموا بالحملة وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان للناظرين

وإذا به عشرون ألف كرار ولهم رايات تلوح منها الأنوار فأبصرت إليه الطائفتان. وأرسلت إليه كل طائفة رسولا يأتيها بالخبر فأما رسول اللعين فإنه سار وهو مكسور الفؤاد وسار إلى أن وقف بين أيدى اللعين فقال له عدو الله وقد رآه منزعجا ويلك ما وراك وما الذى بشرة رماك فقال له ورائى الموت الأحمر والردا الأصفر فوحق الرب المصور لقد حل بكم الدمار ونزل بكم الوبال لقدوم هذا البطل المجيد والفارس الصنديد والمغوار الشديد عمرو بن معدى كرب الزبيدى وهو صاحب هذا العلم الأصفر فإن أردتم السلامة من الندم والوجود من العدم فولوا الأدبار واركنوا إلى الفرار وإنى لكم ناصح وهذا ما عندى والسلام (قال الراوى) فلما سمع اللعين مخارق من القاصد ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وقال له خاب من كنت أنت له رفيق وتعس الذى أرسلك برسالته وجعلك صديق ثم أنه ضربه بالحسام أطاح رأسه من الهام (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الرسول الذى أرسل من عند الإسلام فإنه سار إلى أن انتهى إلى عند الأقوام وسألهم من أنتم ومن أين أقبلتم وإلى أين تريدون فقالوا له نحن أصحاب الفارس الجسيم والبطل الكريم والشجاع المعظم المقدم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقد جئنا نجدة للإسلام وامتثالا لأمر النبى المفضال فلما سمع منهم القاصد ذلك الكلام رجع وهو مسرور وبشر الإسلام بذلك وبما يسر الله لهم من الأمور هذا ولما أن قدم المقدم عمرو بن معدى كرب الزبيدى كبر النبى ﷺ وكبر معه المسلمون وجاوبهم بالتهليل القادمون وأشار عليهم الرسول المعظم بالنزول على جهة اليمين فنزلوا وأرادوا البراز وإذا بغبرة أخرى وكانت هذه غبرة المقداد بن الأسود فى جماعة من الرجال ولم يزالوا كذلك حتى تكاملت جيوش المسلمين وعساكر الموحدين فكانوا يزيدون على مائة ألف فارس ومثلهم معهم ولما أن تكاملت الرجال أمر النبى ﷺ بالبراز إلى القوم الكفرة اللئام فأول من فتح باب الحرب كان الأمير عمرو بن معدى كرب الزبيدى وسار إلى أن توسط الميدان ونادى يامعاشر الكفرة اللئام غير كرام تريدون أن تتعرضوا لأهل دين الإسلام ومحاربة بدر التمام عليه أفضل الصلاة والسلام خاب والله سعيكم وفسد ظنكم وانقطعت أعناقكم وشربتم كأس الحمام ومضت دولتكم وفرغت أعماركم لأنى أنا كفؤ لكم ولأمثالكم ولو كنتم بعدد الرمال وعدد ورق الأشجار وقطر البحار لأفنيكم بهذا الحسام البتار ورحى الخطار (قال الراوى) فلما سمع الكفار كلامه وما أبداه من مرامه برز إليه فارس فى الحديد غاطس وهو كأنه قطعة قطعت من جبل أو قضاء الله

إذا انحدر ونزل هذا الفارس يعد بألف فارس فلما رآه عمرو بن معدى كرب الزبيدى قال له من تكون بين الرجال حتى تبرز إلى مفنى الأبطال فقال له اسمع كلامى ولا تغتر برجالك فأنا معدود بين الناس بألف فارس أنا الجحاف بن زيد الخثعمى (قال الراوى) فلما سمع الأمير عمرو منه ذلك الكلام قلب الرمح فى يده وطعنه فى صدره ألقاه على ظهره وقد غشى عليه وأفاق من غشوته وطلب لنفسه النجاة وهو لا يصدق بالخلاص من يد هذا القناص (قال الراوى) وكان رمح عمرو بن معدى كرب الزبيدى ثلاثين ذراعاً ووزنه سبعون رطلا وحسامه قد تقدم ذكره وهو عشرون شبر طولا وعرضه عشرة أشبار ولا تسأل عما فيه من الشجاعة والقوة هذا ولما رجع الجحاف إلى عدو الله مخارق فرآه مرعوباً فسبه وشتمه وهم أن يخرج اللعين إلى الميدان فمنعه ولده عرفجة فقال له يا والدى لا بد لى من الخروج إليه وآخذ روحه من بين جنبيه لأنه يا والدى بطل أكيد وشجاع صنديد وقرم عنيد فقال إنه سوف ترى ما أصنع به ثم أنه همز جواده وطلب البراز من عمرو بين الفريقين فقال له الأمير عمرو من أنت قال له عرفجة بن رأس الغول ولسوف ترى منى كل أمر مهول فلما سمع منه الأمير عمرو ذلك قال له خابت آمالك ثم أنه زعق عليه زعقة أدهشته وضرب رمحه بالحسام أبراه وانطبق عليه وهو فى دهشته وقبض على مراق أثوابه وجذبه أقلعه من سرجه وأخذه أسير وسلمه إلى أصحاب النبى ﷺ فوضعوه فى القيود والأغلال والباشات الثقال هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر عمرو فإنه رجع إلى الميدان وطلب البراز وسأل الإنجاز فبرز له واحد من المشركين فجندله والثانى خبله ولم يزل إلى أن انتصف النهار وقد قتل تسعين فارساً من الأشرار وهو يجول فيهم كأنه أسد مغوار ولم يزل على مثل ذلك إلى أن انقضى النهار فرجع إلى النبى ﷺ وترجل عن جواده وقبل يده الشريفة فشكره النبى ﷺ على فعاله ودعا له بنجاح أحواله هذا ما كان من أمر النبى ﷺ (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين مخارق فإنه لما رأى ولده أسير صعب عليه وكبر لديه ومزق ثيابه وعظمت مصائبه وحثا التراب على رأسه وفى عاجل الحال أمر أصحابه بالحملة فحملوا وحمل المسلمون والتقى بعضهم ببعض وتصارخت الأبطال واشتد القتال وتصادمت الخيول وعظم الهول وحمى الحديد وسال الصديد وقدحت الجلاميد وفاض على وجه الأرض الدما وعاد الوجود عدماً وصاح المسلمون الله أكبر فتح ربى ونصر وخذل من كفر وكانت هذه الوقعة أشد الوقعات وأعظم الغزوات لم يوجد مثلها وقد أنشد المسلمون هذه الأبيات :

ولما رأينا الصبر منا بعاجل صباحاً إذا مالاح كوكب مظلماً
صبرنا وكان الصبر منا شجاعة وأسيافنا تمتاز كفاً ومعصما
تفلق فى رأس الرجال جميعها وكانوا هم حقاً أحق وأظلما
وأصبح رأس الغول يندب إبنه ينادى بأعلى صوته يالخثعمى
لحملا على هذى الأعادى بجمعكم وإلا فما لى غير موت فأعدما

(قال الراوى) عن عبد الله بن أنيس هذا وقد خرج عمرو بن معدى كرب الزبيدى وبعد عن المعمعة وسيفه يقطر دماً من المشركين وسار إلى خيمة النبى ﷺ فلم يجده فيها ووجد سلمان الفارسى وهو واقف على باب الخيمة فقال السلام عليك يا سلمان فقال له عليك السلام ما الذى أخرجك من المعمعة وما هى عادتك يا عمرو خوفاً أو فزعاً فقال لا وحق نبيك محمد ﷺ ما عندى خوف ولا فزع أما ترى حسامى كيف يقطر دماً وما خرجت إلا من أجل الظمأ فاسقنى يا أخى شربة ماء أروى بها ظمىء فقال له سمعا وطاعة وغاب وعاد له بالماء فشرب وحمد الله ونزل بعد ذلك ومسح درعه من الدماء وقال يا أخى يا سلمان أين حبيبى محمد ﷺ فقال فى المعركة يقاتل أهل الكفر والهلكة (قال الراوى) فلما سمع عمرو من سلمان الفارسى ذلك نهض فى الحال إلى جواده وأخذ عدة حربه وجلاده وحمل على المشركين حملة صادقة وصار يضرب بالحسام والرمح فبينما هو كذلك وإذا به التقى بالإمام الأعظم سيدنا على رضى الله عنه وتقابلا فى المعمعة فقال الإمام يا عمرو كيف رأيت الحرب فى ذلك اليوم الذى بطل فيه العتب واللوم فقال يا أمير المؤمنين الحرب قائم على قدم وساق واشتغلت فى ذلك اليوم السيوف الرقاق فبينما الاثنين مع بعضهم فى الكلام وإذا بهم التقوا بالمقداد بن الأسود الكندى وهو على آخر نفس وقد أشرف على الهلاك لانه قد احتاط به مائة وخمسون فارساً من اللئام وقد وقف جواده عن الجولان وطمع فيه أهل الطغيان (قال الراوى) فلما نظر المقداد إلى هذين البطلين صاح بملء رأسه أدركنى يا ابن عم محمد وأغثنى يا محمد لانى قد أشرفت على الهلاك وقد كلت سواعدى ووقف جوادى عن المسير وها أنا كما ترون فى غاية التعسير فلما سمعوا منه ذلك أخذتهم عليه المحبة والشفقة وصاحوا على الفوارس وأرموهم بالحرب واضرموا فيهم الرماح وهم يصيحون الله أكبر يا آل محمد فعند ذلك جاوبتهم الصحابة لبيكم وسعديكم هذا وقد أجابهم النبى ﷺ وهو تحت الرايات يرد الكافرين عن المسلمين ولكن الإسلام مثل الشامة البيضاء فى النور الأسود (قال الراوى) فلما عاين النبى ﷺ تلك الفعال رفع وجهه إلى السماء وقال فى دعائه

اللهم يا عظيم العظماء يا باسط الأرض ورافع السماء أنت الذى علمت آدم الأسماء
وخلقت الموجودات أسألك أن تنظر للمسلمين بعين النصر فإنهم عبادك المؤمنين
يطلبون النصر على المشركين فافتح لهم فتحاً مبيناً وانجدهم بالملائكة المقربين
(قال ابن عباس) فوالذى بعث محمداً بالحق ما تم النبى ﷺ دعاءه حتى هبط جبريل
من السماء وهو يقول ياأخى يامحمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام
وأنه قد أرسل إليك الملائكة المقربين لنصرة عباده المؤمنين وخذلة للكفرة المشركين
ولو أردت أن الله يطبق بهم الأرض لفعل من أجلك يامحمد (قال الراوى) فلما سمع
النبى ﷺ ذلك فرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد لأن المسلمين كانوا فى هذه
الساعة مغلوبين من كثرة جيوش المشركين وكانت تلك الأرض من كثرة الركض
مثل الدقيق لأنهم طحنوا الحصا والجلمود وصار إذا مشى الحصان بالفارس لا يمكنه
التخلص من تلك الرمال بل يخوض فيه والدما سائل على دروع المسلمين وعلى
سيوفهم وعلى أبدانهم فلما طلب النبى ﷺ النصر نزل من السماء مطر على عباده
المؤمنين دون الكافرين فغسل ذلك المطر الدروع وآلة الحرب وجبر منهم المجروح
وسال على الأرض فخمدت بإذن الواحد القهار علام الأسرار وفى تلك الساعة
نزلت الآية العظيمة على سيدنا محمد وهى قوله تعالى ويُنزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به إلى قوله فإن الله شديد العقاب قال ابن عباس رضى الله عنهما أن الملائكة
فى هذه الساعة كانوا على خيول شهب وعليهم من الجنة ثياب خضر فلما نظر الملك
العرمرم إلى هذه المعجزات الظاهرات نادى برفيع صوته فى قومه يا قوم قد لاح
لنا النصر وظهر لنا الحق وبان الصدق وأن هؤلاء الذين ترونهم الملائكة المقربون
نزلوا من السماء لنصرة الصادق الوعد الأمين وكان كلامه لقومه الذى سافر من
أجلهم وأتى بهم لما أخذ الإذن من النبى ﷺ ولكن هذه الأقوام لا يعرفون من
العرمرم ذلك ولما أن نادى فيهم ذلك النداء وقف فى أوسطهم وقال لهم الآن ثبت
عندى أن دين الإسلام هو الصحيح وأما غيره فهو باطل وأنا أقول من هذه الساعة
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فماذا أنتم قائلون (قال الراوى)
فلما سمع قومه منه ذلك كشف الله عن قلوبهم وانجلت عن أعينهم الغشاوات
وصاحوا كلهم عن آخرهم نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله
لا مغيرين ولا مبدلين ولا ضالين ولا مضلين وصح إسلامهم وفرح النبى ﷺ فرحاً
شديداً ما عليه من مزيد وحمد الله الملك المجيد وقال يا سلمان ائتنى بخبر على بن
أبى طالب فقال السمع والطاعة ثم أنه قام من وقته وساعته فى طلب الإمام على

رضى الله عنه فبينما هو سائر إذ نظره فارس من المشركين فعلم أنه يريد أن يقتله وقد انطلق وراءه فولى هارباً سلمان الفارسي وما زال هارباً واللعين له طالب إلى أن التقى بخالد بن الوليد فاستغاث به فأغاثه وقال له لا تخف ياسلمان هذا وقدجاء عمرو بن معدى كرب الزبيدى إليهما وقال ما الخبر فقال سلمان الفارسى أهلكنى هذا الملعون فما تم سلمان كلامه حتى انقطع عمرو وراءه وطعنه بالرمح فى صدره أطلعه من ظهره ثلاثة أشبار فوقع اللعين على الأرض قتيل وبعد ذلك رجع الأمير عمرو إلى سلمان وقال له اقصد حاجتك التى تريدها عليك بأس فقال أنا أريدخبر الإمام الأعظم للنبى الأكرم فقال له عمرو ها هو فى وسط المعركة بالصحة والسلامة ولكن ارجع أنت للنبى ﷺ وقل له أنه فى غاية الصحة والسلامة لأنك لاتقدر تصل إليه من كثرة الجيوش والامم وسوف نعود إليه إن شاء الله تعالى فى ليلتنا فرجع سلمان الفارسى رضى الله عنه وأخبر النبى ﷺ فدعا لهما بالنصر والتأييد هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الأمير عمرو فإنه بعد ما قتل ذلك اللعين ورجع سلمان ارتجع بالجواد إلى المعمعة وقد رأى له همة زائدة وصاح وصاحت الإسلام بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير هذا وقد التحم القتال وزاد الضرب والأهوال ووقع على المشركين الذل والخبال وحصل للمسلمين النصر من الملك المتعال بدعاء النبى المفضال وقد ولى المشركين الأدبار وركنوا إلى الفرار وما زالوا فى سيوف حداد ورماح شداد إلى أن وصلوا إلى ذلك الوادى الاول وكان ذلك عند غروب الشمس ودخلوا وقد غلقوا الأبواب وكان بابه من الحجر الاسود ما يفتحه إلا مائة بطل من الأبطال ودخلوا داخل الأبواب وتركوا الأسلاب هذا ما كان من أمر هؤلاء الكلاب (قال الراوى) وأما كان من أمر النبى ﷺ فإنه أشار إلى الإسلام بنهب الأسلاب والأموال والأحمال والخيول والبغال فلما جمعوا الأموال ورجعوا بالسلامة وأعداؤهم بالانقلاب ثم أمر النبى ﷺ أن يرحلوا إلى باب الوادى وأمرهم بالنزول هناك فنزلوا ونظر إليهم النبى ﷺ فرآهم قد استشهد منهم خلق كثير فعظم ذلك عليه ثم قال أين خالد بن الوليد فقال لبيك يا رسول الله فقال تولى حرس المسلمين فى تلك الليلة فإنهم فى جهد جهيد وتعب شديد فقال السمع والطاعة لله ولك يا رسول الله فبات بطول ليلته يتولى الحرس ولما أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأشرقت الشمس

على رؤس البطاح وسلمت على زين الملاح أمر النبي ﷺ بإحضار عرفجة بن رأس الغول لأنه كان مأسورا عندهم مغلول فأحضروه فى الحال بين يدى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ قل معى يا عرفجة قولا حقاً مخلصاً صدقاً أشهدأن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فلما سمع من النبي ﷺ ذلك الكلام قال له وأى آية منك رأيتها يا محمد حتى أشهد بأنك نبيه حقاً ورسوله صدقا (قال الراوى) فلما سمع النبي ﷺ كلامه أطرق برأسه إلى الأرض حياء من الله تعالى وقال عند اطراقه علام الغيوب فهبط جبريل عليه السلام فى الحال وقال يا محمد خذ العود منه واغرسه فى الأرض ترى ما يسرك فلما سمع النبي ﷺ ذلك من جبريل تلألا وجهه بالنور وفرح وزاد به الفرح والسرور (قال الراوى) ثم أن النبي ﷺ تيقن من الله تعالى ونهض قائماً على قدميه وأخذ العود الذى بيد عرفجه وغرسه بيده الشريفة فى الأرض فاخضر واورق وازهر واثمر فى الوقت والساعة فى الحضرة وقد تفرع منه سبعة أغصان وفى كل غصن سبع ثمرات وثمر كل غصن له لون لا يشبه الآخر ولها روائح زكية تفوق المسك فلما رأى المسلمون ذلك هللوا وكبروا وكبر معهم عرفجة حين رأى تلك الأمور البهية وقال أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله فاز من صدقك وخاب من كذبك هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما كان من أمر اللعين رأس الغول فانه لما دخل الوادى الأول وغلق الباب الأكبر وقد أمر بتحصن السور بالصخور والمنجنيق وغير ذلك وقد ظن أنه نجى من المهالك ولم يبق يقدر عليه أحد ولما أن كان من الغد ركبت المسلمون وساروا إلى الباب فرموهم المشركين بالأحجار والصخور الكبار فقتلوا من المسلمين مائة فارس من الابطال (قال الراوى) فلما رأى النبي ﷺ ذلك قال يا عصبة الموحدين ومعاشر المسلمين هل فيكم رجل شديد وبطل صنديد يقصد لنا الباب ويتحايل على فتحه وله الأجر والثواب من الملك الوهاب (قال الراوى) وكان من دون ذلك الباب خندق طوله خمسون ذراعا وعرضه مثل ذلك وله جسر من تحت الخندق وهذا الجسر يمشون عليه بنصب الخشب الطويل (قال الراوى) فلما قال النبي ﷺ ذلك الكلام نهض عامر بن خزاعة على الأقدام ولبس ثلاثة دروع وقصد الباب بعد أن تقلد بآلة الحرب والكفاح وأخذ سيفه معه ولم يزل سائراً إلى أن أقبل على الباب فوجده من الحجر الاسود فهزه فرآه ثابتاً وما أحد له عليه سبيل فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بما قد رأى (قال الراوى) فلما سمع النبي ﷺ ذلك قال الامام على

أنا أمضى إلى الباب ياابن العم فقال امض ياعلى بارك الله فيك وعليك فقام الامام
من وقته وساعته ولبس درعه وعدة حربه وسارمتوكلا على الله إلى أن أتى إلى ذلك
الباب وضربه بيده فوجده ملتصقاً بالأرض كالمسوك وماله عليه من سبيل
فرجع الامام على إلى النبي ﷺ وهم يرمونهم من فوق الاسوار بالأحجار وكذلك
استأذن عمرو بن معدى كرب الزبيدى وهو كأنه طود من الأطواد وسار إلى
الباب وفعل كما فعلوا ورجع وماخرج من يده شيء ووقف على باب الخيمة وقال
يارسول الله هذا الباب لايقدر عليه رجال ولايحركه أبطال لأنه صخر من الجبال
موثق بالسلاسل والأغلال وعليه كثير من الأقفال (قال الراوى) فلما سمع النبي
ﷺ ذلك الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية وأقامها وقال أين
سلمان الفارسى فأجابه بالتلبية فقال له النبي ﷺ ائتنى بآلة حربى وكفاحى فقال
الامام على وعمرو بن معدى كرب الزبيدى وماتصنع بهم يارسول الله فقال أريد
أن أسير وأقصد هذا الباب وأقلعه بإذن الله وقدرته (قال الراوى) هذا ما كان
من أمر النبي ﷺ وأما كان من أمر اللعين رأس الغول فإنه كان له جواسيس
يأتونه بأخبار المسلمين فأتوا له وقالوا له أعلم ياملك أن كبير القوم محمد أرسل اليكم
رجالا يريدون أن يفتحوا الباب فلم يقدروا فرجعوا إليه وأعلموه وهو الآن
يريد أن يستعد ويأتى إليه لأجل أن يفتحه وقد أتينا اليك وأخبرناك فخذ
لنفسك الحذر (قال الراوى) فلما سمع اللعين رأس الغول ذلك قال اكشفوا الخندق
وأعينوا ماعليه ودعوه يعمل مايريد فأجابوه لما قال وكشفوا الخندق وصار لأحد
يجول من فوقه وقعدوا اللئام آمنين من فعلهم الذميم هذا ما كان من أمر هؤلاء
(قال الراوى) وأما ما كان من أمر النبي ﷺ فإنه لبس آلة حربه وكفاحه وسار
راجلا فتبعه الملك العرمرم والإمام على وعمرو بن معدى كرب الزبيدى وخالد
ابن الوليد وغيرهم من باقى الرجال ومازال سائراً بهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى
أن أتوا إلى حفوف الخندق فرآه كما وصفنا فقال النبي ﷺ لاتخافوا بل قفوا
مكانكم ثم أن النبي ﷺ أخرج منديلا كان معه ومسكه بيده الشريفة وفرده على
وجه الماء وقال بسم الله أجلسوا على هذا المنديل فهو يحملكم بإذن الملك الجليل
وإنى أقرب إلى الله من سليمان بن داود عليه السلام (قال الراوى) ثم جلس
النبي ﷺ وجلس معه باقى الصحابة فارسل الله الرياح إلى المياه فلعبتها فصار
المنديل من غير مشقة إلى أن أتى إلى الجانب الآخر وطلع النبي ﷺ وقصد بابه

الحصن هذا والكفار يشاهدون ذلك بالأبصار وقد ثارت عقولهم وحاروا فى افكارهم وقالوا وحق الرب فراش هذا سحر مبين (قال الراوى) هذا وقد أخبروا رأس الغول بذلك فقال لهم ارجوهم بالأحجار من فوق الأسوار فصاروا يرمون عليهم بالمنجنيقات الكبار كما أمرهم اللعين فتبعد عنهم قدر عشرة أذرع أو عشرين معجزة لسيد المرسلين فيتعجبون الملاعين ويقولون كيف أننا نرمى الاحجار على رؤسهم فتخاف من سحرهم وتبعد عنهم ثم أن النبى ﷺ تقدم إلى ذلك الباب وضربه بيده الشريفة فارتجت الأرض من تحت الباب ولعبت لساعته

ثم أن النبى ﷺ مسك الباب وهزه هزة واحدة فاقتلعه ورماه بعيداً نحو من تسعة أذرع فلما شاهدوا أصحابه تلك المعجزات الظاهرات كبروا فانهزمت المشركون من على الأسوار ودخلوا على رأس الغول بن الفجار فخاف وانزعج وأمرهم بالركوب فركبوا جميعاً وقصدوا الباب (قال الراوى) فلما رأى النبى ﷺ ذلك قال إذا دهمنا هذا الملعون هلكنا عن آخرنا لأنه فى جيوش كثيرة ونحن نفر قليل وليس معنا خيول نقاتل عليها ولكن امض يا خالد وائتنى بالخيول والرجال فتوجه خالد حتى صار على شفير النهر وصاح يا عصبة الاسلام أدركونا بالخيول والفوارس الكرام فركبوا وساروا فى أقل من لمح البصر ولم يزالوا سائرين إلى أتوا الخندق فما رأوا لهم وصولا إليه لأنه حال بينهم وبين النبى ﷺ هذا وقد حملت المشركون على النبى الأمين ومن معهم فاستقبلهم الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه هو والعرمز وخالد وعمر وغيرهم ممن كان مع النبى الهاشمى هذا وقد بذل الامام على رضى الله عنه المجهود وصبغ فى ذلك اليوم الجلمود من ماء أهل القلوب السود وكذلك عمرو بن معدى كرب الزبيدى لأنه قاتل فى ذلك النهار قتالا تعجز عنه صناديد الرجال وكذلك خالد بن الوليد صار يطعن بالرماح ويضرب بالسيوف الصفاح وقد أفنوا من المشركين مالا يحصى بعدد الرمل والحصا فلم تر إلا كل دماغ طائر وحصان بصاحبه غائر وتقطع فى ذلك اليوم المرائر واطلع على تلك الوقعة الملك القادر ولكن الإسلام اسقطوا اللئام كاس الموت الزؤام هذا وقد تأخرت اللئام إلى ورائها وأوقع الله الرعب فى قلوبهم فولوا هاربين وإلى النجاة طالبين فصاح فيهم رأس الغول وتبعهم وقال لهم يا ويلكم اثبتوا مكانكم وانظروا افعالى من فعالكم أما أنتم رجال أما أنتم من الابطال ثم أنهم وقفوا ينظرون ماذا يفعل من الفعل فتقدم اللعين إلى حومة الميدان ونادى هل من مبارز هل من مناجز فبرز اليه فى

تلك الساعة الملك العرمرم وهو راجل على الاقدام وتجاولا وتضاربا ساعة من النهار وإذا بالكلب رأس الغول تقدم إليه وجره من أثوابه فأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا (قال الراوى) فلما نظر المشركون إلى ذلك قويت قلوبهم وتقدموا إلى المجال بنية صادقة فقالوا الا تتعب نفسك أيها الملك الهمام فقد أسرت العرمرم وأما نحن لهؤلاء الاقوام فقال لهم احملوا بارك الرب فراش فيكم فحملوا حملة صادقة عن الأولى وقد حملت الإسلام وقد تقدم الامام إلى حومة الميدان وقد نفر العرق الهاشمى وامتزج بالغضب لما ان رأى الملك العرمرم أسيرا وصار يقطع منهم الرؤس ويجدل الكفوف ويخرق الصفوف وقد نادى الله أكبر الله أكبر فتح ربى ونصر وصار غارق فى بحار الميدان (قال الراوى) وأما ما كان من المقدم عمرو بن معدى كرب الزبيدى فإنه خرج من المعمعة وصار إلى الخندق فتأمل فرأى المسلمين واقفين وليس لهم وصول إلى المعركة فصاح بعبده وقال له ياعبد الله ائتنى بجوادى الخطاف فقال له السمع والطاعة ثم أن العبد ركب على الجواد وهو من أعلى الخيول الجياد بيده رمح خارق وسار إلى أن أقبل على الخندق وهمز بالجواد فخطى الخندق كلمح البصر وصار بالعبد فى الجانب الآخر فركب عمرو بن معدى كرب الزبيدى جواده وانحدر على القوم الذى كان معهم العرمرم ومازال يقتل منهم رجالا حتى قتل منهم مائة وتسعين فارساً غير الذى جرحه فلما أن رأوا ذلك ولوا الأدبار وتركوا العرمرم وهو مشدود بالحبال فتقدم اليه وحل يديه ورجليه واركبه من خيول القتلة وأخذه وسار به إلى نحو النبى ﷺ فرأى الامام على غارقا فى المعمعة هو وباقى الرجال ولله در عبدالله العبد وما فعل بأهل الجدال والجحد لأنه كان يأخذ الحجر ويضرب به الفارس فينفذ منه بعد أن يهلكه ويقول فى الناس فصار يقتل بالحجر الفارس والفارسين وهو غارق فى وسط الملاعين ولكن رأى الكلب رأس الغول كابساً على النبى ﷺ وخالد بين يديه يرد عنه وقد صار فيه أكثر من خمسين طعنة وأربعين جرحا فحمل عمرو بن معدى كرب الزبيدى والعرمرم وغاصوا فى المعمعة (قال الراوى) ولما أن رأى النبى ﷺ إلى كثرة الجيوش والأمم قبض قبضة من تراب تلك الأرض بيده الشريفة وقرأ عليها هذه الآية الشريفة وهى قوله تعالى فهزموهم بإذن الله ورماها فى وجوه القوم فنزلت عليهم الرمال مثل الاحجار المذكورة فى سورة الفيل وهذه من بعض معجزاته ﷺ والباقى ولوا الأدبار كالأغنام الجاهله وصار السيف يعمل فيهم من يد بعضهم البعض لأنهم قد أخذهم الوجل ونزل عليهم العذاب والخبل ولا أحد

منهم يعرف رفيقه ولا الصديق يعرف صديقه هذا وقد أيد الله أهل الإسلام الابرار بتوحيد الملك العلام وفرح النبي المختار وتلالأ وجهه بالانوار هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر النبي ﷺ فانه قال ياعمرو ائتنى بخبر على بن أبى طالب فقال له السمع والطاعة وانطلق عمرو فوجد الامام على مع المشركين فى أعظم مايكون من القتال وأشد مايكون من النزال والكفار محاطة به وهو فى أوسطهم وهم أكثر من عشرة أسوار وقد ضاق عليه المجال فلما أن نظر الامام على إلى عمرو وصاح عليه وقال له احمل معى ياعمرو فى هؤلاء الاندال فحمل عمرو معه فى الحال وصاح وكبر ذو الجلال فسمع الملك العرمرم فانطلق اليه وأراد أن يهلك روحه بين يديه لما فعل معه من الجميل هذا وقد أوقدوا نار الحرب وقصدوا الاقوام بالطعن والضرب أوسعوا إلى الامام طريقا فخرج من المعمعة بلا تعويق وخرج إلى الهواء قدر فرسخ وعاد إلى القوم وهو مثل الاسد الضارب فحمل الثلاث فوارس فى هذه الجيوش الكثيرة وقد قتلوا منهم خلائق كثيرة فأما الامام على فقد قتل خمسة آلاف فارس فى الحملة الاخيره ولله در عمرو فى مافعل والعرمرم وماهجم فلما رأى المشركون صدق حملة المسلمين أوسعوا فى القفار وانقلبوا على أعناقهم بالفرار وولوا الادبار (قال الراوى) ثم رجع الثلاثة إلى عند المصطفى ﷺ وكان هذا القتال مع النبي هو وسيدنا على وعمرو بن معدى كرب الزبيدى وخالد ابن الوليد والعرمرم وعبد الله العبد الذى لعمرو فكان عدتهم سبع فوارس وتبعهم فارس آخر يقال له السعيد وباقى المسلمين جميعاً واقفون على شفير الخندق يبتهلون بالدعاء لهم ولم يقدروا إلى الوصول اليهم فما قولكم يا إخوان فى ثمانية أنفار تلقى هذه الجيوش الغزار ومع ذلك صار النصر للفرقة الاسلامية والخزى على الكفرة قد قال ﷺ صدق الله العظيم قال الله تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر أهل الإسلام الواقفين على شفير الخندق يبتهلون إلى الله بالدعاء وإذا هم بشخص مثل خالد بن الوليد وقد تقرب منهم وجعل ينادى ويلطم على وجهه ويقول يامعاشر المسلمين عظم الله أجركم فى النبي الكريم (قال الراوى) فلما سمع المسلمون ذلك من هذا اللعين ماتت قلوبهم ورجعوا إلى ورائهم وصاحوا بالبكاء وقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا وقد شالوا الخيام وهم لا يعقلون على نفوسهم وكان أهون عليهم شرب كاس الحمام من سماع هذا الكلام وكان السبب فى ذلك عدو الله اللعين إبليس هو الذى قد مثل فى صفة خالد بن الوليد وفعل ذلك الامر النكير

يريد بذلك ضعف قلوب الإسلام ونصرة القوم اللئام (قال الراوى) هذا ما جرى من هؤلاء. وأما ما كان من أمر النبى ﷺ فانه بعد انهزام الكفار هبط عليه جبريل وقال له يا أخى ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك أرسل للمسلمين من يبشرهم بنصرتكم فإنه قد جرى من الأمر ما هو كذا وكذا واعلم يا محمد أنى وضعت لكم صخرة على هذا الخندق لأجل مسيركم عليها وصعد إلى السماء. فنهض النبى ﷺ وقال لهم سيروا إلى المسلمين وبشروهم بالنصر من رب العالمين وإذا سألوكم عن الصائح فقولوا لهم هذا إبليس اللعين فلما سمعوا ذلك من النبى ﷺ ساروا وجدوا فى المسير حتى لحقوا بالمسلمين وصاروا ينادون يا عصبة الإسلام وما أحد منهم يرد عليهم كلاما لحلق عليهم عمرو لأنه كان راكباً على جواده الخطاف وقال لهم ابشروا بسلامة صفوة خفى الألطاف وبنصرة أصحابه الأشراف لأننا وحق محمد ﷺ جد الأشراف أسقينا القوم كاس التلاف وولوا من بين أيدينا هاربين وإلى النجاة طالبين فلما سمعوا منه ذلك قالوا وقد عجبوا من ذلك وكيف ذلك يا عمرو ونحن قد رأينا خالد بن الوليد وهو فى غاية التنكيد والتعديد حتى أورثنا العيا والخبال وكان أهون من ذلك علينا شرب كاس الوبال لأنه قد قال قتل محمد ﷺ فى المجال فقال لهم يا عصبة الإسلام وأصحاب خير الأنام هاهو خالد قد أتاكم بالبشارة وهو رفيقى فى تلك العبارة وإنما الذى أورثكم ذلك اللعين إبليس النجس التعيس هو الذى قد دبر هذه الأقوال وأورثكم بها هذا النكال وعمل هذه الحيلة يريد أن يحملكم بها كل بلية فلعنة الله الف لعنة (قال الراوى) فلما سمع المسلمون ذلك القول الحميد فرحوا فرحا شديد ما عليه من مزيد ورجعوا جميعهم إلى النبى ﷺ وسلموا عليه وقبلوا يديه وهم لا يصدقون أن يروه فامرهم بالنزول فى ذلك الوادى فنزلوا ونصبوا خيامهم وأعلامهم وصاروا يحدثونهم بما جرى لهم من الكفار وبما لقوا من هذه الأمور الكبار ومن هذه الوقعة وبما فعل فيها الامام على وعمرو وخالد والعرمرم والمقداد وعبد الله العبد الأسود الذى لعمرو وأقاموا فى ذلك الوادى مطمئنين والكفار قد انكسرت شوكتهم ولا بقى لهم جاه يعتمدون عليه وهم فى داخل أما كنهم خائفين (قال الراوى) وأما ما كان من الإسلام فانه فى بعض يوم من الأيام خرج المقداد بن الأسود فى جانب ذلك الوادى يريد الفرجة عليه وإذا به يرى هودجا من الذهب الاحمر مرصعاً بالدر والجوهر وهو بعير مشدود وما عليه غيره قال المقداد فقلت فى نفسى أن هذه غنيمة فتقربت منه وأمسكت بزمام البعير وانخته لانظر ما فيه وإذا أنا بشيخ جالس فى الهودج لكنه أعياه الكبر فانزلته من الهودج

إلى الأرض فلما أنزلنه جاوبني وقال لى من أنت فقلت أنا المقداد بن الأسود الكندي، من بني كندة صاحب محمد ﷺ فقال ولمن تكون هذه الديار فقلت له لله ورسوله فقلت له وأنت من تكون فقال لى أنا واحد من الدنيا ثم إنى قلت له وما تقول فى دين الإسلام فقال له يا كندى افعل ما تريد لأن دين الإسلام ليس لى به حاجة قال المقداد ابن الأسود فلما سمعت منه ذلك سحبت سيفى وأردت أن أضربه به لأرمى عنقه فقال لى يا مقداد أن كان مرادك قتلى فعليك بسيفى خذه فاقتلنى به وهاهو فى هودجى لأن سيفك هذا لا يعمل فى شيئاً وأنا لا أقتل إلا بسيفى فقط فقال المقداد لما سمعت منه ذلك ظننت انه يعمل على حيلة فضربته بحسامى فلم يعمل فيه شيئاً فرديته فى جفيره وتقدمت إلى الهودج وأخذت منه الحسام الذى قال لى عليه وجردته وضربته ضربة جبار وإذا برأسه عن جسده قد طار فاخذت الهودج ومافيه من الذخيرة والبعير ورجعت إلى الإسلام وأخبرتهم بذلك فتعجبوا من ذلك غاية العجب (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول الكاب المهول فانه لما سار فى ذلك الذل والهوان جمع رؤس دولته وأكابر عشيرته وخواص مملكته وشاورهم فيما يعمل من الفعال فقالوا له نحن مالنا رأى إلا أننا نمضى من هذا الوادى ونسير إلى الوادى الثانى ونجمع الجيوش من غير مهلة ولا توانى ونطلب النصر من الرب فراش ونحارب هؤلاء المسلمين لعل الرب فراش يرضى علينا وينصرنا عليهم فى هذه المرة وهذا ما عندنا من الرأى (قال الراوى) فلما سمع اللعين منهم هذا الكلام قال لهم هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب وصبر حتى ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام أمر اللعين الرجال بالمسير إلى الوادى الثانى من غير هرجة ولا زعبق وأن يسرعوا فى نقل الأموال وغيرها من العداد وانهم لا يصيحون ولا يتكلمون فسار جيوش اللئام وهم لا يبدون بكلام خوفاً من عصبة الإسلام وأن يسقوهم كاس الحمام هذا ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس وسلمت على زين الملاح صلى النبى ﷺ بالصحابة صلاة الافتتاح وإذا بالأخبار من المسلمين دخلوا على النبى ﷺ وأخبروه بمسير اللعين رأس الغول إلى الوادى الثانى وذلك قد رأى ذلك عيانا لانه كان مكمنا فى مغاره بعيدة عن الطائفتين (قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ ذلك من الأعرابى أمر بالرحيل وسرعة التحميل ولم يزل سائر بالإسلام إلى أن وصل إلى الوادى الثانى وكان الكفار تجمعوا هناك وأخذوا راحتهم ولما أن وصل المسلمون فما أمهلوهم أن يستريحوا بل أمر اللعين رأس الغول بالبراز وقال لقومه ابرزوا فارس لفارس لأننا مالنا فى الحملة

انتصار فبرز اليوم فارس من المشركين وكان يقال له عابد الدار وكان من الجبابرة الكبار وبرز إلى الميدان وقال هل من مبارز فبرز اليه فى الحال علقمة بن المنذر وكان فارسا شجاعاً وقرما مناعا ولما أن صار فى الميدان جعل يترنم بهذه الأبيات

ولما التقى الجمعان فى حومة الوغا والخيل فى غاية الهجوم
يرون قوما إذا لبسوا الحديد ترام جمعاً على الأعداء هجوم
كم جندلوا من الكفار كل صيدع من عبدة الصلبان مرقوم
فان عشت لم أرجع عن اللقى وان قتلت فروحى تروم
إلى الجنان لأنى شهيد على دين المصطفى الهادى العظيم
صلى عليه إله السماء ما صار ريح الصباح ونسيم

(قال الراوى) ولما أن فرغ علقمة من كلامه وما أبداه من نظامه انطبق على بعضهم الإثنين وتقاتلا وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت والرماح فى أيديهما تقصفت والخيول من تحتهما قد هلكت والكفار تقول أن صاحبنا هو الغالب والمسلمون تقول أن صاحبنا هو الغالب وقد انطبق الاثنان بالمسارعه وهم راجلان وقد علا غبارهما حتى حجب عن الأبصار شخوصهما وبان بعد ساعة وإذا بالأمير علقمة ينادى الله أكبر فتح ربى ونصر وحيانا بالنصر والظفر وهو ينادى يا عصبة الكفار ابرزوا لى فارساً جباراً غير هذا العنيد لأنه شرب كأس الوبال وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فلما سمعت المسلمون ذلك الكلام أجابوه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفرح المسلمون بما قد أتاهم من رب العالمين من النصر المبين وقد أتوا اليه بعدة وجواد سابق فركب بعد أن قتل اللعين هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر الكفار فانهم لما أن نظروا إلى فارسهم وهو قتيل وفى دماه جزيل صعب عليهم وكبر لديهم وفى الحال برز أخو المقتول إلى حومة الميدان وهو ينادى يا لأخذ الثار وجلاء العار كيف تقتل عابد الدار فابشر منى بالدمار فانا عابد النار ذات الشرار وكان هذا اللعين أشد من أخيه فى الحرب وأقوى ثم أنه التقى بالأمير علقمة وانطبق عليه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالحسام فعجل الله بروحه إلى دار السلام فعظم ذلك على المسلمين وأورثهم الحزن وإذا بفارس نزل من الإسلام فتركه اللعين نصفين والثالث والرابع ولم يزل يقتل من الإسلام إلى أن قتل منهم عشرة تماما وقد أعجبته نفسه وهو يتكبر ويتمرد وصار يطلب البراز ويغنى ولما أن رأت المسلمون ذلك تأخرت عن برازه هذا وقد برز له من المسلمين زهير النخيلى وجال معه فضربه اللعين فجاءت الضربة

قصيره فابرت عنق الجواد كما يبرى الكاتب القلم فوثب زهير على الأقدام وانطبق على اللعين بالالزام وسابقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وأخرج حربة وطعن بها الملعون فخرجت من يده كأنها صاعقة فخادعنها اللعين لما أن رآها إليه لاحقه ورأى زهيراً فائقاً عليه وكان الخبيث قد تعب مما جرى له فولى هارباً إلى جهة قومه فلما رآه الأمير زهير قد فعل تلك الفعال قبض على زيل جواده وجذبه بهمته فخرج زيل الحصان فى يده فانقلب به فتقصفت أضلاعه وانقطع نخاعه ومات هو والجواد) قال الراوى) فلما رأى المسلمون ذلك هللوا وكبروا وقال الإمام أين عمرو بن أمية الضمرى قال لبيك قال خذ هذا الجواد أعطيه لزهير يركبه ويقاتل أعداء الله عليه قال السمع والطاعة ثم أخذ الجواد وسار به إلى نحو زهير النخيلى هذا ولما أن رأى الكفار ما حل بصاحبهم من الدمار سابق رجل إلى البراز فرأى زهير قد أتى اليه بفرس يركبه فما أمكنه ذلك بل قصده بالسيف فرماه نصفين وقد وقع على الأرض وهو ناطق بالشهادتين وعجل الله بروحه إلى الجنة ونعم المنة (قال الراوى) فلما أن رأى عمرو بن أمية الضمرى ذلك خاف من شرب كأس الهلاك وأخذ الجواد وفر هارباً وإلى النجاة طالباً فقال المسلمون لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم هذا ولما أن رأى اللعين ذلك طلب البراز فلم يبرز اليه أحد من المسلمين فمال إلى جهة اليمين فهربت الرجال من بين يديه وإلى جهة اليسار ففعلوا كذلك فقال النبى ﷺ ابرز إليه ياعلى بارك الله فيك وعليك فقال السمع والطاعة وفى الحال ركب وخرج إلى الميدان وهو مثل الأسد الغضبان فلما رآه اللعين ضحك ضحكا عاليا وتكبر وتمرد وقال من أنت أيها الفارس المغرور بنفسه أما شاهدت حربى وقتالى ابشر منى بكاس الدمار وقطع رأسك بحد الحسام فلما سمع منه الامام ذلك الكلام قال له ويلك ياعدو الله لمثلى تقول هذا الكلام وأنا فالق كل هام بحد الحسام أنا مظهر العجائب والليث الغالب الأسد الكاسب أنا على بن أبى طالب فقال له الملعون ياعلى إلى كم تجزع الابطال وتقتل الرجال قد وقعت الآن فى قبضتى ولا بقى لك خلاص من حملتى وأنت الآن بقيت بين يدى كأنك فى القفص وليس لك من مخلص لانى كنت أتمناك ومشتاق إلى لقاك وحمل على الإمام على وهو يترنم بهذه الأبيات لأنه كان فصيحاً فى المقالات وليس هذا عادة لهم لأنه قليل من ينظم الأشعار فجعل يقول هذه الأبيات

تمنيت أن ألقاك فى حومة الوغا ۞ وآخذ بثار الذى قد مات بالقهر
نلت من ربى فراش ما قد تمنيته ۞ وليس أبالى بعد قتلك فى عمرى

فدونك مني ياابن هاشم ضربة ٭ واصبر لها فهى أحر من الجمر
أنا الفارس المعروف فى حومة اللقا
أنا فالق الهامات بالأسيف البتر
سأفنيكموا حقاً بحد مهند ٭ واسقيكموا حرباً أمر من الصبر
ولا أرجع عن القتال إلى ورائى ٭ ولو ذقت طعام الطعن والضرب
فاثبت حربى يا إمام وكن جلودا ٭ على ماتلقاه من ضربى وشرى

(قال الراوى) فلما سمع الامام على رضى الله عنه من الملعون هذه الابيات غضب غضباً شديد ماعليه من مزيد وأجابه على عروض شعره وهو يقول هذه الأبيات :

إذا كنت تمنيت لقايا فها ٭ أنا قد أتيتك بالقدرى
سأقص منك الهام بحد مهند ٭ إذا صام الصوان فى القفرى
ينفذ من الصوان من غير تألم ٭ ويتلم من غير ذى كسرى
وأحمد نصاً تصول به ٭ على الإسلام مع ملة الكفر
واسقيك الموت حقاً لنا حتى ٭ واجعلك جزيلا على المدر
ولا أخشى منكم بجمعكم ٭ والقاكموا وحدى فى ذلك القفر
إن كنت ماتعرف حربى فسل ٭ اقرانك يخبروك عن أمرى
أنا على وابن عم محمد ٭ الهاشمى المخصوص بالفتح والنصر
صل عليه ربى دائماً ٭ ماناح الحمام وما غرد القمرى

(قال الراوى) فلما فرغ الامام على رضى الله عنه من شعره انطبق على الملعون طبقة الخنق وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه ولا بقى عدو الله قادر يبدى ولا يعيد ثم ضربه الامام على بقوة ساعده فوقعت الضربة على الخوذة التى على رأس اللعين فشقتها ونزلت على البيضة ونزلت على الرفادة فقطعتها وعلى رأس اللعين فكسرتها ومازال السيف يهوى حتى شق الفارس والفرس وكل ذلك والإسلام ينظرون فعندها كبر النبى ﷺ وكبرت الصحابة أجمعين ثم أن الإمام طلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز اليه أحد (قال الراوى) فعندذلك نادى النبى ﷺ ارجع ياعلى بارك الله فيك فرجع الامام رضى الله عنه امتثالا لنداء النبى ﷺ فشكره النبى ﷺ ومن معه من الإسلام (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فانه لما عاين ذلك الامر المهول أحتار فى أمره وغاب عنه عقله وفكره وبات تلك الليلة وهو مكب على وجهه ولما أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره وإذا بفارس قد خرج من عسكر المشركين وسار إلى أن توسط الميدان

ونادى برفيع صوته ياعصبة الإسلام ابرزوا لى ياعمرو ياابن أمية الضمرى حتى أقطع رأسك وأخمد أنفاسك ويشيع ذكرى بين العباد لأنى أنا ساعى ركاب الملك رأس الغول وهو ساعى ركاب محمد وكان هذا الفارس جبار لايطاق وعلقم مر المذاق شديد فى الكفر والنفاق وكان إذا سار فى الخلا يسبق الخيول العتاة كأنه البرق الخاطف والريح العاصف قوى الساعدين واسع المنكبين كأنه طود من الأطواد أو من بقايا قوم عاد وعليه زرد من الحديد وعليه طارقة وحسام يقد الجلاميد ومكمل بآلة الحرب والكفاح وعليه غضب من الملك الفتاح وقد اقتصرنا فى صفته لأنه كان كلبا من ظهر كلب (قال الراوى) فلما سمع عمرو بن أمية الضمرى ذلك قام على الأقدام ووقف بين يدى الرسول ﷺ وقال يارسول الله ائذن لى بالخروج اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وأهجم فى حومة الميدان عليه فقال النبى ﷺ أخرج اليه أعانك الله عليه فعند ذلك تقلد عمرو بآلة الحرب والجلاد وأخذ السيف والرمح المديد وسار إلى أن توسط الميدان وسار وهو متوكل على الملك الديان الرؤف الرحيم الرحمن إلى أن صار عند اللعين ونادى ياحميدة تقدم إلى الميدان فهذا مقام الشجعان والفرسان ثم انه جعل يترنم بهذه الأبيات :

ولم يعمل قط عملا حميدا ⋆ بل عمله ترس القصانى
قد سرت الصفوف منى مرارا ⋆ ويقصف الأقلام فى الكتاب
وإذا حضر القط يوما ⋆ عاقبه بكل العقاب
وأنت مثل ماذكرت كمارا ⋆ وأنا لك الخناق بالأسلاب
اليوم تنظر منى ضرباً وجيعاً ⋆ وتنشق منك الرأس بالقرضاب
وأنى ساعى النبى المصطفى ⋆ أعطاه ربى متاجر الأسباب
صلاة ربى عليه دواما ⋆ ماغرد القمرى على الاعتاب

(قال الراوى) فلما سمع الملعون رأس الغول شعر عمرو وعلم أنه استهزأ به وتمسخر عليه فهمز جواده وسار قباله وقال له ويلك ياشيخ السوء قبحت تلك الشيبة ورميت بالذل والخيبة فلقد أتيتنا بهذه المصائب وكل هذا من تحت رأسك ومن مكرك وخديعتك أنت نسيت تلك الحيلة التى أتيت لنا بها بالأمس وعملت شاعراً وأنت فى صفة ذليل حقير وتحايلت على وقتلت ولدى وأحرقت عليه نار كبدى وكم أهلكت منا ناس وأخمدت منا أنفاس والآن وحق الرب فراش لأسقيك كاس الموت وأهدم منك الاساس وأجعلك طريحا على الاشاش ياعمرو يابن أمية ياغشاش.

(قال الراوى) فلما سمع عمرو كلامه قال له ياويلك ياعدو الله لمثلى تقول هذه الأقوال فوحق حبيبى محمد النبى المفضال لابد أن الحقك بولدك فى الحال أن أعانى الملك المتعال ولو صعدت إلى السما لأسلت منك الدما ولو نزلت إلى الارض السفلى لأجعلنك طريحاً ملقى فنادى عمرو دونك والحملة وإلا أضربك بهذا السيف أخمد أنفاسك فبينما هم كذلك وإذا بفارس خرج من اللئام يريد المساعدة لحميدة على عمرو فصرخ فيه عمرو بن أمية الضمرى وقال له انصرف عنى ياعدو الله ودعنى أنا وغريمى وإلا أتركه وأحمل عليك وكان هذا الفارس الذى خرج اليه هو عدو الله رأس الغول لأنه فى قلبه منه حسرة وأى حسرة وقال له ياويلك ما يكفيك الذى فعلته سابقاً والان قدبرز الك ساعى ركانى فاستهزأت به وتمسخرت عليه وعملته مثل الفار والآن تريد أن تمسخر على أنا الآخر ولكن دونك وخصمك الذى تريد فهو كفؤلك وعنك فى الحرب يزيد ثم أن عدو الله رأس الغول رجع إلى مكانه وهو مملوء بالغيظ حتى كاد الغيظ يخنقه وعيناه قدكادت أن تنخرق من حلقه هذا ما كان من أمر اللعين وأما ما كان من أمر عمرو فانه حمل على حميدة حملة الغضب وتلقاه حميدة ومازالا فى قتال ونزال والناس ناظرون اليهما وكثر القيل والقال وتثلمت فى أيديهما السيوف الصقال وتكسرت منهما الرماح الطوال وصعد عليهما الغبار حتى حجبهما عن أعين الناظرين وقد سال بينهما العرق وزاد بينهما القلق وقل منهم الاصطبار وقد نظر حميدة إلى عمرو فرآه يزيد عنه قدر الدرهم فتأخر إلى ورائه وقال له ياعمرو هل لك فى الصراع فقال نعم لى فيه معرفة واتساع وهو عندى أهون من الفزاع فقال له دعنا نتصارع سواء وكل من غلب رفيقه يفعل فيه كل مايريد فاجابه عمرو إلى ذلك وانطبقا فى الصراع والتزما وافترقا والتحما وإذا بحميدة مسك عمرو من فخذه وعلقه بيده وجلد به الارض وأيقن أنه مابقى له حياة فانقلب عمرو واقفاً وضحك ضحكا عالياً حتى استلقى على قفاه فلما نظر إلى ذلك حميدة قال له ما أشد حيلك وما كنت أظن أنك تنجى من هذه ثم انهما انطبقا ثانيا وتلاحما فكانا على السواء لأنهما مازالا فى قتالهما إلا أن وقع على الارض جميعاً (قال الراوى) فلما نظر اللعين رأس الغول ذلك فظن أن صاحبه مقتول فأشار إلى عساكره بالحملة فبادروا نحو الإثنين وقصدوا إلى عمرو يريدون قتله لأجل الغيظ الذى عندهم منه لانه فعل فيهم أقبح فعال فلما نظر الإمام على إلى ذلك ورآهم قاصدين نحو عمرو وهم ساحبون سيوفهم فهمز جواده إلى جهتهم وصاح فيهم فبددهم وردهم عن عمرو وتقدم ومسك عمرو بيده اليمنى وحميدة بيده اليسرى وأخذهما

وسار بقوة واقتدار وأوثق حميدة فى القيود والاغلال وأطلق عمرو بن أمية الضمرى (قال الراوى) فلما نظر اللعين رأس الغول إلى ذلك وما فعل الامام بصاحبه صاح بملء رأسه وقال أما تنظرون إلى المسلمين وقد غدروا بصاحبنا وأخذوه أسيرا وقادوه ذليلا حقيراً ياويلكم أحملوا عليهم حملة صادقة فلما أن سمعوا كلامه حملوا جميعهم وحملت المسلمون وحملوا على بعضهم البعض وارتجت من خيولهم الأرض وماز الوا فى قتال ونزال إلى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالظلام وافترق الجمعان وتحارس الفريقان وأوقدوا النيران وكان الكاسب فى ذلك النهار أهل الإيمان لانهم قتلوا من أهل الطغيان خمسة آلاف وثمانمائة فارس واستشهد من المسلمين مائة وعشرون فارسا (قال الراوى) فلما نظر عدو الله رأس الغول ذلك الأمر المهول قال وحق دينى أننا مع المسلمين فى غاية الغلبة وقد بان لى الذل وما أرى القتل إلا فى قومى ورجالى وهم فى غاية السلامة ولكن سوف استنجد بالرجال ثم كتب المكاتيب وادعى بولده دعامة وقال له سر من هنا إلى حى السكاسكة وحى بنى نصيف وحى بنى مازن وحى بنى القيان واعطيهم المكاتيب وكان كل مكتوب فيه اسم صاحبه وهو يقول فيهم أن محمداً ملك يثرب قد ضيق علينا المذاهب وأسر أولادى وأفنى سائر أجنادى وأخذ أرضى وبلادى وقد استنجدت بكم فانجدونى برجالكم فانى اعلمكم أنكم إذا تأخرتم عنى فانه يهلكنى أنا وقومى وحين يفرغ منى يأتى اليكم بجيوشه ورجاله وفرسانه ويستلم أولادكم وحريمكم ومن خالفه منكم يقتله وهذا ما عندى من الرأى ثم أنه أعطى الكتب لولده دعامة فأخذهم وسار فى البرارى والقفار وكان اللعين وعدهم فى المكاتيب بالمال الجزيل ومازال اللعين دعامة سائر إلى أن وصل إلى كبراء القوم وأعطاهم الكتب فقرأوها وأجابوه بالسمع والطاعة وكل منهم سار فى عشرين ألف فارس من رجاله وأبطاله وكان المقدم على الجميع يقال له الغطريف والمقدم من تحت يده على بنى نصيف رجل يقال له الحارث والمقدم على بنى مازن رجل يقال له السكنى وكان هذا الرجل مكفوف البصر لا ينظر أبيض ولا أحمر وكان يضرب بالسهام وهو مشهور بآلة الحرب والصدام وكل منهم يشهد له بالفروسية فى الميدان وكان له قوس عظيم قد اتخذه من شجرة البندق وكان يسقيها من اللبن الحليب حتى طابت تلك الشجرة واخضرت وفرعت واثمرت ثم قطع ذلك القوس منها ووضعه فى حوض وصار يسقيه باللبن الحليب مدة سنة كاملة ثم حكه وجرده وعمله قوساً وكان لا يرمى شيئاً إلا أصابه وكان يرمى به بقر الوحش فى الفلوات فاذا جاء السهم فى عشر بقرات أصابهم وذلك لشدة فروسيته وقوة مراسه

لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ولولا أنه أعمى لكان هلك العباد من عرب وعجم وسنذكره بكلام فى محله ان شاء الله تعالى (قال الروى) فلما أن سار دعامة بتلك الجيوش جد فى مسيره إلى أن وصل إلى الوادى الثانى الذى هم فيه نازلون وقدمهم قدام أبيه وقال له هاهم العساكر فتلقاهم ورحب بهم وقال لهم مالنا ألا نرحل فى الوادى الثالث وكان ذلك الوادى يقال له وادى الزهرة فأمر الرجال بالمسير من ساعتهم فشدوا وساروا إلى الوادى الثالث هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر النبي ﷺ فلما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بكوكبه ولاح صلى النبي ﷺ بالصحابة صلاة الافتتاح وإذا بالاخبار داخلة عليه من سلمان الفارسى لأنه كان يترقب أخبارهم فدخل على النبي ﷺ وقال له إنى أعلمك يارسول الله بأن رأس الغول قد أتته نجدة من ناحية بلاده ولما دخلوا عليه شكى لهم خاله وما اعتراه من حرب المسلمين وقتالهم معه ففرحوه وقالوا له لا تخف فها نحن لك وبين يديك وقد رحل بهم إلى الوادى الثالث (قال الراوى) فلما سمع النبي ﷺ ذلك الكلام حمد الله تعالى وشكره وهلل وكبره وذلك لما سمع ببكاء اللعين وحيرته ثم أمر الرجال بالرحيل إلى الوادى الثالث فحملوا وساروا ولو كانوا لهم أجنحة لطاروا ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الوادى الثالث فأشار اليهم النبي ﷺ بالحلة بعد أن نزلوا خيامهم ونصبوها وقاموا باقى ليلتهم هذا ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمر اللعين رأس الغول الرجال أن تخرج إلى المجال واصطفوا ذات اليمين وذات الشمال ومثل ما فعل الكفار فعل مثلهم المسلمين الابرار يميناً وشمالاً وقلباً وجناحين ووقف ﷺ فى القلب وقد خرج من المسلمين فارس إلى بين الصفين ولعب بالرمح بين الفريقين حتى رمقته كل عين وطلب البراز وسأل الإنجاز حتى برز اليه فارس من الكفار وكان ذلك الفارس الذى برز من المسلمين ويقال له ابن أوس وكان يعدفى الحرب بألف فارس ولما أن نزل إلى الميدان ونادى بأعلى صوته يامعاشر الكفار ياعباد الاحجار أين سيوفكم الصفايح وأين رماحكم القوادح وأين خيلكم الروامح قد خاب والله ظنكم وقل صبركم وفرغت آجالكم وخمدت نيرانكم فابشروا بذلكم ووبالكم بخراب دياركم وقطع آثاركم وخزيكم وخسرانكم قد طال والله ماقتلنا منكم فمن كان مشتاقا إلى القتال فليخرج إلى المجال ثم أن ابن أوس ضرب الفارس الذى خرج اليه من غير كلام ولا نظام أطاح رأسه عن الهام والثانى فما أبقاه والثالث أعدمه الحياة والرابع جعل جهنم مأواه والخامس والسادس ألحقه بأخاه والسابع قطعت يداه والثامن والتاسع سواه ولم يزل يقتل هذا ويخرق برمحه

صدر هذا وقد صار نصف النهار وطلع الحر وأوهج البر وأوسع فى الميدان وطلب البراز وسأل الإنجاز فما أحد يبرز إليه فجعل يترنم بهذه الأبيات.

أرى حسامى على الكفار مصقولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا
أدعيت دماءهم على الأرض سائلة وكم كافر بوجه الأرض مقتولا
عموا فما نظروا وصموا فما سمعوا وليس منهم إلى الاسلاب مقبولا
فهم كالبهائم فى مراتعهم وفى الأخير ترى ذاك المحولا
وفى يد جزار ليس يرحمهم بل على أرقابهم يسن النصولا
إنى أنا الحجاب فى حومة الوغا أصول عليها عرضاً وطولا
وأفنيهموا فى الوغا بمهندى وأجز رقابهم جزاً جميلا
وإن لم تبرزوا إلى عاجلا هجمت عليكم بسيفى أصولا
واختم كلامى بالصلاة على الهاشمى الذى اليه تشد الحمولا

(قال الراوى) فلما فرغ أوس من نظامه رأى المشركون إلى ما حل بهم من حسامه وما أحد خرج إلى الميدان ثم أن المشركين من شدة غيظهم من أوس أقبلوا على اللعين الرامى بالنبال وقالوا له إن لم ترم هذا الفارس بنبلة تهلكه بها وإلا أهلكنا عن آخرنا ولم يبق منا أحد فقال لهم اللعين وحق اللات والعزى والهبل الكبير الأعلى وحق الرب فراش لأسقينه كأس البلا والتلاف وأجعله لوحوش ذلك البر مأكلا وتضرب به الناس المثل ثم أن الملعون أوتر السهم وشده وقال لأصحابه صوبوا السهم إلى يمه فعدلوا السهم إلى جهته فاستبط اللعين إلى حسه لأنه كان ينادى فى الميدان ذلك الوقت ويصول ويجول فى الميدان عرضاً وطول فلما سمع اللعين حسه عدل السهم عليه وأرماه به فأصابه ذلك السهم فقتله وأرماه عن الجواد وطلع السهم وغاب بعيداً هذا ولما أن رأى غدو الله ذلك وان أوسا قتل بذلك السهم وعجل الله بروحه إلى دار الكرم أمر المشركين بالحملة على المسلمين فحمل الملاعين حملة صادقة فتأخرت عنهم المسلمون جنود رب العالمين قدر ميل وكان ذلك الوقت الامام على وعمرو نائمين فأدركهم خالد بن الوليد وقال لهم قوموا أدركوا إخوانكم المؤمنين الأبرار الموحدين فانهم انهزموا من قدام القوم الكفار فلما سمعوا ذلك الكلام من خالد قاموا وركبوا خيولهم وحملوا على أعداء الله وعلا عليهم الغبار وضربوا بالسيوف البتار حتى انهزمت الميمنة على الميسرة ولما أن رأى ذلك الملك العرمرم ركب وركب معه المقداد بن الأسود وضربوا فى ميسرة القوم الكافرين والامام وعمرو فى الميمنة كما ذكرنا ومازالوا يضربون ميامن والمقداد والعرمرم مياسر حتى تعبوا

وكلت سواعدهم ويبست كفوفهم على سيوفهم هذا ولما أن رأى النبي ﷺ إلى ذلك أرسل إليهم خمسين فارساً من الفرسان الشداد وأشار إليهم أنكم تهللون كلكم عن آخركم بالتكبير والتهليل عن صوت واحد وها أنا أدعو لكم بالنصر على الأعداء وانظروا كيف العمل ثم أنهم ساروا وهم راكبون حتى توسطوا الميدان وصاحوا عن صوت واحد الله أكبر الله أكبر فتح ربى ونصر وخذل من كفر يا أهل دين الإسلام كما أمرهم النبي ﷺ فعند ذلك رفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء وقال إلهى وسيدى وسندى ورجاءى وذخرى وذخيرتى وحبيبى وعمدتى أنت أعلم بما هم فيه عبادك الصالحون فانصرهم يامولاى على القوم اللئام الكافرين هذا وقد صاح المسلمون الله أكبر الله أكبر فجاوبتهم الجبال والرمال وقد قتلوا فى حملتهم من المشركين خلقاً كثيراً وهم عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصا وأوقع الله الرعب فى قلوب الكفار بعظمة الواحد القهار العلى الغفار فساروا إلى ورائهم والسيوف تعمل فى أقفيتهم من أيدى بعضهم البعض وكل من تأخر يقتلوه الإسلام طولا وعرضاً فما مضى النهار وولت الشمس بالاصفرار حتى قتل من المشركين ستون ألف فارس ولله در الامام على رضى الله عنه وما فعل بالمشركين فى هذه النوبة وكذا عمرو بن معدى كرب الزبيدى وما فعل بالأعادى فى هذا اليوم النادى وأيد الله الإسلام بتوحيد الملك العليم العلام (قال الراوى) فلما نظر عدو الله رأس الغول ذلك الأمر المهول أخذ قومه وولى الأدبار وركن إلى الفرار فلما هرب الملعون من الحرب وقد أنزل الله به الخزى فبينما اللعين سائر بقومه وإذا به بالأمير عمرو بن معدى كرب الزبيدى قد مال نحوه ورام قتله وصاح فى رجاله بالحملة فلما نظر الامير عمرو إلى ذلك الفعل وأن رأس الغول استفرد به فاستقبل الرجال ونزل فيهم نزلة السيل إذا سال وصاح فيهم فبددهم وفرقهم وعن مركوبهم كركبهم لأنه حمل فيهم حملة موافقة وكانت نيته صادقة رحمة الله عليه ثم إنه من شدة ما قتل منهم وقاتل فيهم نظر إلى الجواد الذى هو راكبه وإذا به رآه انخدش بالجراح والدما عليه قد سال ففى الحال نادى بعبده هلال وقال ياهلال أدركنى بجوادى الخطاف وإذا بالعبد جاوبه وقال له هاهو حاضر ياسيدى لأنى أنا ناظر إلى تصدع الجواد فاتيتك به فاركب وأذق به أعداءك كاس التلاف وفرقهم يميناً وشمال وأجعلهم فى أسوأ حال فركب الامير عمرو وسار يقتل ويأسر ويضرب فيهم بالحسام حتى تأخر عنه الكفار وولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وقد أفنى عمرو خلقاً كثيرة لا تحصى بعدد الرمل والحصا ورجع بعد ذلك إلى جهة النبي ﷺ وسيفه يقطر بالدماء وجعل ينشد ويقول

حسامى ثقيل لحل الاعادى — إذا لم تكن تحمل الخيل كرتى
ودرت على الخيل أول مرة — فرددتها على أعقابها مستمرة
وما زلت أفنيهم بقوة ساعدى — ونفس قد اطمأنتها فاطمأنت
صبرت كأنى للرماح دهينة — أقاتل عن الدين القويم بقوتى
فكم أرميت فارساً بعد فارس — وما أبقيت منهم بقيـــة
فقطعتهم بالسيف والرمح والقنا — واسعدنى ربى بخير البرية
عليه صلاة الله مالاح بارق — وماغرد القمرى وناحت حمامة
كذا الآل والاصحاب التى — أقاموا حدود الله من كل وجهة

(قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ ذلك شكره على فعاله ودعا له بالنصر وأجلسه رضى الله عنه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر المشركين أعداء الله الكافرين فان عدو الله رأس الغول أحصى رجاله فرأى الذى قتل منهم بعد الستين الفاً التى تقدم ذكرها سبعة وخمسين ألفا غير المجروحين وغير الذى قطعت منهم الأوصال فبات اللعين عدو الله منقلباً على وجهه وهو مهزوم مهموم هذا وقد أقبلوا عليه قومه وقالوا له أيها الملك أن المسلمين قد أهلكونا بسيوفهم قد أبادونا وبشجاعتهم أفنونا واعلم انه لولا هذا الرجل الذى تراه طويل القامة عريض الهامة يخط فى الارض برجليه وهو راكب واسع المناكب شديد المضارب مثل الاسد الغالب والسبع الكاسب الذى سموه بعلى بن أبى طالب والرجل العربيدى والفارس المجيدى الذى سموه بعمرو بن معدى كرب الزبيدى ولولا هذان الإثنان لكنا أفنينا جيوش المسلمين ولا أبقينا منهم باقية فلما سمع عدو الله رأس الغول منهم ذلك الكلام قال لهم إذا كان الامر على ما ذكرتم فأمر هذين الإثنين قريب وسوف أدبر على أمر هلاكهم ثم أنه صاح بالامير السكنى فاحضروه فى الحال الذى هو صاحب القوس فأمره أن يحضر قوسه ويرتصد هؤلاء الإثنين الذين يعنون عنهم فقال السكنى السمع والطاعة لإنى أريد أن أولى حرس هذا الجيش بنفسى فقال له أفعل ماتريد وكان السكنى أرسل أحضر قوسه ونبلته وصبر لما جاء الليل وأخذ من رجاله سبعين فارساً واكمن هناك فى موضع بين الطائفتين وكان له أربع خدام يأتونه بالقوس الذى يرميه ولو غاب قدر عشرين فرسخاً أو اكثر هذا ما كان من الملعون الاعمى المجنون وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فانه ظن

انه بلغ مراده ومقصوده بواسطة هذا الملعون السكفى والسكاسفة الذين معه وبه اطمأنت قلوبهم (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء الملاعين وأما ما كان من أمر المسلمين فانهم قد بلغت اليهم الأخبار بما فعلت الكفار وكان المخبر لهم فى تلك المرة الوزير عبد الله الذى أسلم فيما ذكرنا على يد الفضل بن العباس فانه أرسل عبده إلى النبي ﷺ واخبره بكل مادبروه الكفار فاشار النبي ﷺ إلى الفضل ابن العباس أن يخرج اليهم فى المكان الذى هم فيه قد كمنوا وأمره أن يأخذ معه أربعين فارساً من فرسان المسلمين فقال المسلمون للفضل أن هذا جبار عنيد وفى الرمى لا يخيب فقال لهم الفضل بن العباس اعلموا أن النبي ﷺ أوعدنا بالنصر عليهم ودعا لنا أن الله يكفينا شرهم وشر هذا الملعون وكانوا يتحدثون بذلك الكلام وهم سائرون فى طريقهم وإذا بالسكفى سمعهم فاخذ السهم الذى له وشده وأخذ بحس حوافر خيلهم وضربهم على غفلة منهم فخرج السهم من يده كأنه البرق الخاطف فوقع فى عشرة فوارس من وراء بعضهم البعض ونفذ فيهم فأهلكهم من ساعتهم (قال الراوى) وهؤلاء العشرة فوارس الذين أصابهم السهم من فرسان رأس الغول وأنه قد أرسلهم يكشفوا خبر ما يجرى فى المسلمين من قوس هذا اللعين وقد ألبسهم كلبس المسلمين فرد الله سبحانه وتعالى سهمهم عليهم وجاء السهم فيهم معجزة لنبيه محمد ﷺ وما أحد منهم تكلم بكلمة واحدة بل نفذ فيهم سهم مقدرة قبل سهم اللعين لأمر يعلمه رب العالمين وأغرب ما فى ذلك أن السكفى لما رمى بذلك السهم فلم يسمع له دوياً ولا صوتاً كما هى عادته فظن أن السهم قد خاب فقال أنا رميت السهم وقد أخطأ وما أصاب القوم منه شىء وقد امتزج بالغضب وعظم ذلك عليه وكبر لديه ومن شدة غيظه ضرب القوس بيده فكسره سبع قطع ثم بعد ذلك قال لقومه ارجعوا بنا خائبين لأن حيلتنا ما نفعت بشىء وقد أخطأ سهمى من سحرهم وقد كسرت سهمى بيدى وكاد الغيظ أن يخنقنى ثم انه ادعى بخدمه وقال لهم ائتونى بسهمى فخرجوا الأربعة وأتوا اليه بذلك السهم من مكانه وأخبروه انه قتل عشرة من المسلمين لأنهم لم يعلموا بما دبر رأس الغول ولم يعلموا أنهم من عصبتهم لأنه كان ألبسهم مثل المسلمين فلما رجعوا بذلك السهم أخبروه بما جرى وساروا يلومونه على كسر القوس وكانوا قد أتوا له بالسهم فاخذه وهو فى حال الغضب وضرب به يده اليمنى الذى كسر بها القوس فوقع السهم فى يده فقطعها وانكسر السهم وبطلت يده فزاد غضبه وانكسر قلبه وأخرج من أحزامه خنجراً ماضياً ومسكه بفمه ونزل به على يده الثانية فقطعها وسار عدمه أولى من حياته لأنه صار قليل المنفعة وهو على هذه الحالة أعمى ومقطوع اليدين والأنف لأنه

كان وهو ماسك الخنجر بفمه وقطع به يده فزهق الخنجر فجاء على أنفه فقطعه والله تعالى يخمد أنفاسه لأنه صار عبرة بين أبناء جنسه وبعد ذلك رجع هو وقومه بالخيبة والندامة إلى عند عدو الله رأس الغول وأخبروه بذلك الأمر المهول هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الفضل بن العباس فانه قال صدق رسول الله ﷺ لانه قال أن الله وعدنى أن يكفينا شره وشر قوسه وقد حقق الله لنا ذلك فارجعوا بنا عند قومنا فرجعوا والفضل فى أوائلهم وهم فرحون مسرورون إلى أن وصلوا إلى النبى ﷺ وأعلموه بما جرى من اول القصة إلى آخرها وكشفوا للاسلام عن باطنها وظاهرها ففرحت المسلمون بذلك النصر المبين من رب العالمين وباتوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فانه لما دخلوا عليه بالسكهى الأقطع وأعلموه بما فى نفسه قد صنع فاغتم غماً شديداً وقال لهم اعلموا أن الذين ماتوا من السهم فهم من رجالنا وقد أرسلتهم يعلمونى بما يجرى فما أحد منهم جاءنى بخبر فعلمت انهم ماتوا من القوس وإنى لم أر الموت والقتل إلا فى رجالى وأبطالى وفى غداة غد إن لم تصدقوا فى حملتكم معهم وإلا أفنوناعن آخرنا هذا ولما أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح صلى النبى ﷺ بالصحابة صلاة الافتتاح ثم أن اللعين رأس الغول أمر رجاله أن تصطف ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولما أن رأت المسلمون ذلك فعلوا امثل فعلهم واصطفت الصفوف وتحضرت المئاة والألوف فكان أول من فتح باب الحرب وسار حتى توسط الميدان الأمير عمرو بن معدى كرب الزبيدى وطلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز اليه أحد لشدة بأسه على أعدا الله فهجم على الميمنة قتل منها خمس فوارس وعلى الميسرة قتل منها فارسين ورجع إلى الميدان ونادى بأعلى صوته يامعاشر اللئام وعباد الاصنام والأوثان أين فرسانكم والشجعان وأين أبطالكم والأقران ابرزوا إلى ليوث الحرب والميدان وفرسان سيد ولد عدنان فما أراكم إلا من جيوش اللئام ومن أراذل الاقوام فقد خمدت والله نيرانكم وقمع الله سلطانكم وفنيت أبطالكم ووقع عليكم العذاب من الملك الوهاب لانكم كفار كلاب وأقل من الكلاب فإن لم تبرزوا إلى الآن وإلا هجمت عليكم وافنيتكم بحد هذا الحسام (قال الراوى) فلما سمع اللعين رأس الغول ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وكان عليه ضرب عنقه بالحسام أهون من ذلك الكلام وقد صاح فى قومه وهو يقول لهم يا لئام غير كرام أنتم رضيتم لانفسكم بالذل والهوان والمعيره من الرجاله والنسوان على ممر الدهور ولا بارك الرب فراش فيكم ولا كان ناصراً بل كان خاذلا

(قال الرواى) فبرز فارس من فرسانه يقال له سراقة فصرخ فيه الأمير عمرو بن معدى كرب الزبيدى فادهشه وخبله وفى صرخته قال له من تكون أنت من فرسان المشركين حتى تبرز إلى مثلى فمن دهشة اللعين قال له بعد أن ولى هاربا أنا شراقة بن معقل وقد قال ذلك وهو مولى هاربا وهو لا يصدق بالنجاة وقد قال الأمير عمرو وهل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزايز لا يبرز فيه لا جبان ولا عاجز أنا الفارس الجيدى أنا عمرو بن معدى كرب الزبيدى أنا فدا الإسلام من كل ردى أنا خادم رسول الله ﷺ فلما سمع المشركون من عمرو ذلك الكلام برز منهم فارس شديد فضربه الأمير عمرو بالحسام قطعه نصفين من غير كلام ولا نظام ولم يزل يقتل من المشركين فارساً بعد فارس حتى قتل منهم ثلاثة وأربعين فارساً وبعد ذلك طلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز اليه أحد وقد أقبل القوم بعد ذلك إلى القطريف وقالوا له أنت كنت أوعدتنا بالأمس أنك تكفينا شر هذا الفارس فارنا الآن صحة هذا الكلام قال لهم السمع والطاعة ثم انه نادى أين الحارث بن همام فأجابه بالسمع والطاعة فقال له ياحارث أن الملك وأصحابه طلبوا منك الحرب إلى عمرو بن معدى كرب الذى قتل أبطالنا وأباد فرساننا وها هو فى الميدان فقال لهم الحارث طيبوا نفساً وقروا عيناً فوحق اللات والعزى والهبل الكبير العالى الأعلى والرب فراش لأجعلنه أحدوثة بين الناس وآخذه قتيلا أو أسيرا لانه لم يذكر بين الفرسان ولاله حديث بين الأقران ثم أن الحارث قال لعبده قم فأتنى بجوادى السلهاب والماجاه بالجواد فركبه وسار إلى الميدان ومحل الطعن والنزال ولما أن صار قدام الامير عمرو صار يترنم بهذه الابيات

قدم إلى درعى ورمحى والحسام	ودعنى أكر اليوم كر الكلام
فسيفى فى ضرباته فصولا	لم يعش جريحى ولا تخطى سهامى
سوف أملا الارض منكم قتلا	والجو من غبارى كالظلام
فإن هذا الموت حتما على الورى	برمح أو بسهام أو حسامى

(قال الراوى) وبعد أن ركب الجواد لبس على جسده ثلاث دروع لاتعمل فيهم الرماح ولما أن صار فى الميدان صاح فيه الامير عمرو من أنت أيها الفارس المغرور بنفسك المتكبر على أبناء جنسك فقال له أنا البطل الهمام والأسد الضرغام أنا الحارث بن همام فقال له الامير عمرو ويلك ياملعون دع عنك هذا الوصف الذى أنت توصفه لنفسك فأنا والله لا أخاف من كلامك ولا من أمثالك ولا من حربك ولا نزالك فإنى فارس البيداء وقاتل الأعداء أنا الموت الأحمر والأسد

الغضنفر والسيف الابتر أنا قاتل العرب والعجم أنا عمرو بن معدى كرب الزبيدى
ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

أنا فالق الهامات فى يوم اللقا ... أغير على الأعداء وافنى اللئام
واسقيهموا الموت حتما بالحسام ... وعن قريب افنيكموا يالئام
فالموت يفزع أن رأى ... صورتى وصورة حسامى
لأجعلنك الآن يا حارث ... قتيل الفلا فى الآكام
واقطعن الرأس منك بصارمى ... وأسقيك من يدى كؤس الحمام
وانى أنا عمرو بن الزبيدى ... محامى بدين طه عليه السلام
صلى الله عليه ملاح بارق ... وماغرد القمرى وغنى الحمام
كذا الآل والاصحاب التابعين لهم ... بطول معاقبة الظلام بالابتسام

(قال الراوى) فلما فرغ عمرو من شعره ونظامه وسمع الحارث مقاله وكلامه طار عقله وكادت أن تقع أضراسه ثم أن الحارث جعل يخادعه بالكلام ويقول له والله ياعمرو أن كلامك صحيح وأنت فوق ماوصفت واعلم أنه كان بينى وبين أبيك محبة عظيمة زائده وكنت أدخل بينكم وأنت صغير وكنت أراك تلعب بالسيف والعدد وكنت أقول لأبيك لابد أن ولدك يطلع صاحب فروسية وهمة قوية ولابد أن يظهر له شأن وأى شأن ومن حيث أن أباك كان حبيبى وأنت تصير محاربى فلايصح ذلك فارجع الآن ياولدى عن قتالى وحربى ونزالى وكن صاحبى مثل ما كان أبوك (قال الراوى) فلما سمع الأمير عمرو ذلك قال له دع عنك هذا الكلام يا ابن همام فلابد من قطع رأسك وخمد أنفاسك ثم انه بعد ذلك حمل عليه والآخر تلقاه واتسع عليهما المجال وبطلت منهما السواعد ووقفت من تحتهما الخيول الجوائد وزاد بالحارث الهم والغم وبان من الحارث التقصير فقال له دعنى أغير الجواد وأعود إلى اللقاء وأبين لك فراسة الشجعان فقال له عمرو شأنك وماتريد فرجع الحارث وقال لعبده ائتنى بجوادى الثانى فإن عمرو بحملاته كوانى وبعزمه رمانى فغاب العبد ورجع له بجواد من الخيل الجياد فركب عدو الله الحارث وحمل على عمرو وجعل تاره يضربه بالحسام وتارة يضربه بالرمح والأمير عمرو يزوغ منه ذات اليمين وذات الشمال ومازال فى قتال إلى أن كل الحارث وبان منه التقصير وعلم أن هذا عليه يوم عسير هذا وقد تضايق الحارث من عمرو غاية الضيق وماعرف يسلك منه بأى طريق فهمز عمر جواده وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالحسام على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وقدقسمه شطرتين وفرسه مثله نصفين

(قال الراوى) فلما نظر النبي ﷺ كبر وكبرت المسلمين معه هذا وعمرو قد وقف على الحارث بجواده وهو يخوض فى دمه ويضطرب فى عندمه وجعل الامير عمرو ينشد ويقول هذه الابيات

هـذا اللعين الفارس ابن همام أسقيته كاس الردى بحسامى
وضربته بالسيف ضربة فارس اضحى قتيلا بعيداً من الإسلام
أرغمت أنفه بحد مهندى واسقيته الردى والاعـدام
وإنى أصلى على النبي خير الورى شفيعاً فى المحشر يوم زحام

(قال الراوى)ثم أن الامير عمرو لما فرغ من شعره ونظامه طلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز اليه أحد من المشركين فصاح عليهم ثانياً فلم أحد جاوبه فنظر إلى جانبه فرأى شجرة عالية عظيمة فامسكها بيده واقتلعها من أصلها بقوة زندة وحمل على المشركين وأرماها على جماعة منهم فاهلكهم بها فلما عاينوا ذلك ولوا هاربين من بين يديه وقد قتل منهم بالشجرة سبعة عشر فارساً غير الذى قطعت أيديهم وأرجلهم منها وقد لحق رجلا من المجروحين يقال له سواد فقتله وكان ذلك الفارس مشهوراً عندهم بالفروسية وبعد ذلك رجع إلى النبي ﷺ فدعا له بالخير واثنى عليه وافترق الجيشان وتواقدت النيران وتحارست الفريقان إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وصلى النبي ﷺ بالصحابة صلاه الافتتاح وبعد ذلك تقدم الامام على إلى النبي ﷺ وقال له يا ابن العم هل تأذن لى آخذ حميدة الساعى الذى عندنا فى الاعتقال وآخذه بين الصفين وأشهره بين الفريقين وأقطع رأسه واخمد أنفاسه فأشار اليه بذلك فاخذه الامام على وأراد أن يشهره بين الصفين ويقطع رأسه وتنظره كل عين فقال حميدة ما تريد أن تفعل بى يا على فقال له أريد أن أوقفك بين الصفين وأشهرك بين الفريقين وآمرك أن تنطق بالشهادتين فإن فعلت ذلك رجعنا عنك وإن لم تفعل ذلك قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك. وأنت قدام سلطانك رأس الغول فقال له تمهل على يا على وأنت أى شىء تريد منى غير الإسلام يا على فقال أنا لا أريد منك غيره فقال حميدة أنا أقول بأعلى صوتى. قولا حقاً مخلصاً صدقا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فلما سمع الإمام على منه ذلك أطلقه من وثاقه وكبرت المسلمون وفرحت فرحا شديداً هذا ولما أن رأى اللعين عدو الله رأس الغول ساعى ركابه قد اسلم غضب غضباً شديداً ماعليه من مزيد وصاح فى رجاله بالحملة فحملت وحمل الآخر فى أوائلهم وقد قال إن لم تصدقوا فى حملتكم وإلا رماكم محمد بالوبال والخيبة فقال رجل منهم أيها البطل.

الهمام أنا رأيت القوم وهم يقاتلون ومعهم أولادهم لايفارقونها خوفا من نهبها
ويموتون دونها وإذا غزوا غزوه يفرقون على بعضهم فبسبب ذلك تقوى قلوبهم
ولاينكسرون فى غزواتهم فلما سمع اللعين ذلك فقال له لقد أشرت بالصواب والأمر
الذى لايعاب ثم أنه فى عاجل الحال أمر بإخراج الصيوان الاكبر فنصبه فى مكان
عال وكان ذلك الصيوان لاينصب إلا فى الأيام المشهورة وأيضا فى الوقائع المشهورة
لأنه كان له الف عمود من خشب الأبنوس وهو من الحرير الاحمر وحباله من
الحرير الأخضر وكان له أربعون ساعة تضرب كل ساعة مع الأخرى بغير تقديم
ولا تأخير فلما نزلوه ونصبوه نزل اللعين فيه بعد فرشه وأمر بإحضار الرجال
فحضروا بين يدية وأفرغ عليهم الأموال والخيرات حتى طابت قلوبهم وبعد ذلك
قال لهم أريد منكم أن كل من أتانى برأس فارس شهير من المسلمين أعطيته وزنها من
الذهب لإنى أريد أنظر إلى شجاعتكم فعند ذلك قام رجل من رجاله وقال له أيها
الملك هذا الذى تذكره صحيح قال نعم وحق الرب فراش ففرح اللعين وركب
جواده ونزل إلى الميدان وكان يقال له الضحاك ولما أن نزل الميدان طلب البراز
وسأل الانجاز فبرز اليه واحد من المسلمين فقتله والثانى جندله إلى أن قتل خمسة من
المسلمين وطلب البراز فلم يبرز اليه أحد فقال يامعاشر المسلمين مالكم تأخرتم عن
قتالى وخفتم من حربى مع أنكم تزعمون أن من قتل منكم فهو سائر إلى الجنة ومن
قتل من الكفار فهو سائر إلى النار فلم يرد عليه أحد فنادى يا محمد اين فرسانك
وأين أبطالك وأين المقداد بن الاسود وأين طلحة بن عبدالله وأين خالد بن الوليد
وأين عمرو بن معدى كرب الزبيدى أين على بن أبى طالب (قال الراوى) فلما سمع النبى
ﷺ كلامه غضب غضبا شديداً وقال أين الليث الغالب أين فخر بنى غالب أين على
ابن أبى طالب فقال له لبيك يارسول الله فقال له النبى ﷺ أدن منى فدنى منه فألبسه
درعه وقلده بسيفه وأمره أن يخرج إلى عدو الله وبسط النبى ﷺ كفه بالدعاء
وسأل مولاه النصر على الاعداء ثم خرج الإمام على رضى الله عنه إلى براز اللعين
فقال له اللعين من أنت فقال الإمام على أنا الذى أقطع رأسك وأخمد أنفاسك ياويلك
أما تعرفنى ماأعمى قلبك وما أجن عقلك أنا ليث الوقائع وفارس المعامع أنا الاسد
الكاسب والسبع الغالب فارس المشارق والمغارب أنا ليث بنى غالب أنا مظهر
العجائب أنا على بن أبى طالب ثم أن الإمام على جعل يترنم بهذه الابيات

أنا الفارس البطل المرتضى ثقيل المضارب سريع القوادى
قليل المنام كثير السلام بحد الحسام وطول الأيادى

قليل الكلام كثير الصيام كثير الطعان فى الأضداد
كثير القتال شريف الخصال شديد الحروب قوى الفؤاد
بديع الجمال صديق المقال بجندل الابطال والاعادى
فصيح اللسان قوى الجنان وفى الضمان ممصع الحسام
أمير المؤمنين حبيب المؤمنين من أرسله المولى الينا هادى
صلى عليـــه إله السما ما نالت العشاق والركب حادى

(قال الراوى) فلما فرغ الإمام على من شعره رضى الله عنه حمل على الضحاك وزعق عليه زعقة أدهشته وقبض على مراق بطنه وشاله على زنده وحذفه فى الجو بقوة زنده إلى الهوى حتى ظن كل من رآه انه طائر بعشرين جناحا فتعجب المشركون من تلك الحذفة وصبر الإمام عليه حتى جاء ينزل وتلقاه من بيت الوسط على ذى الفقار فوقع على الارض نصفين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم أن الإمام على نادى برفيع صوته ياأهل البهتان ياأهل ملة الضلال والطغيان هل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الزلازل والهزاهز فعند ذلك برز اليه شداد ابن وهل وكان فارساً مشهورا وبطلا جسورا فالحق أن يصف أقدام الحصان حتى طارت رأسه من على بدنه ونادى هل من مبارز فبرز له فارس فجندله ولم يزل يقتل فارس حتى هلك من المشركين تسعين فارساً فى أقل من ساعة واحدة وطلب البراز فلم يبرز اليه أحد فعند ذلك قال رأس الغول أن الاقوام يحق لهم أنهم لا يخرجون الميدان لان علياً قتل مقتلة عظيمة وما أحد جاء يأخذ منى لا مال ولا نوال كما زعم الضحاك وقد ذهب مالى الذى أنفقته على الرجال والآن كل من خرج وأتانى برأسه فله عندى كل ما يريد هيا يارجال الآن يخرج منكم أحد ويريحنى من هذا الفارس فلم يجبه أحد من جميع الجيوش فازداد غضبه وقلت حيلته وكاد الغيظ أن يخنقه وقال وحق الرب فراش انكم أنذال وما أنتم رجال والآن ما بقى يخرج اليه إلا أنا بنفسى وأفرجكم كيف أصنع معه ثم أن الملعون أمر بإحضار جواده فركب وهمز الجواد فصار فى محل الجلاد وجعل يترنم بهذه الابيات

مددت طريق الحرب ياغير سالم فقد رويت منا الصقال الصوائم
وبالامس قد أوقعت فارساً أرضنا ومزقته بالمرهفات الصوارم
سأسقيك منى الموت كاساً وطعمه أمر عليك من نقيع الصوارم

(قال الراوى) فلما فرغ اللعين من شعره أقبل على الامام وقال له يا ابن أبى طالب

وحق الرب فراش ما تأخرت عن قتالك فزعا منك ولكن من عادة الملوك أن لاتبذل نفسها وتجمع أصحاب المقامات ورؤساتها وأما أنتم فما جمعتم إلا الفقراء والمساكين وجئتم بها إلى قتالنا وقصدتم أخراجنا من بلادنا فوحق الرب فراش لاملأن الأرض عليكم خيولا وأبطالا ورجالا (قال الراوى) فلما سمع الإمام على كلامه قال له وقدغضب غضباً شديد ماعليه من مزيد وقد نفر العرق الهاشمى بين عينيه وأجابه على عروض شعره يقول

اليوم يوم الحرب حقاً ويوم شرب كاس العلاقمى
سأكر عليكم كرة فارس وأصول عليكم مثل العلاقم
واسقيكموا كاس الممات بصارمى وأحل بكم حلول الباشم
وأنا على ابن عم محمد سيد بنى هاشم من كرام الاكارم
صلى عليه الله رب السما ماغرد القمرى وناحت حمائمى

(قال الراوى) ثم أن الامام على قال له ياعدو الله أنت تجبرت وكفرت فما قلت من قولك قد جمعت الفقراء والمساكين فكلنا عباد الله وفقراء إلى الله وماخرجنا إلا بأمر الله سبحانه وتعالى وبأمر النبى ﷺ وقد بشرنا بنهب أموالكم وقتل رجالكم وأخذ الجزية منكم إلاأن تحفظوا منا اموالكم وسفك دمائكم بكلمة التوحيد وتفوزوا بالنصر من الملك المجيد وتقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فان فلتم ذلك وفعلتم ماتفعل المسلمون كان لكم مالنا وعليكم ماعلينا ونرجع الآن عنكم وإن أبيتم عن كلمة التوحيد فالسيف بيننا وبينكم والأرض يورثها من يشاء من عباده لأنه بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير وبعباده لطيف خبير (قال الراوى) فلما سمع رأس الغول ذلك الكلام من الامام على غضب غضباً شديداً ماعليه من مزيد وحمل كل منهما على صاحبه واعتركا طويلا وافترقا ميلا فلما نظر عدو الله رأس الغول إلى شدة بأس الإمام على رضى الله عنه خاف الملعون وندم لخروجه اليه ثم انهما افترقا والتحما وتصادما وقد أقبل الإمام على إلى رأس الغول وقال له لقد علمت أنك ماتأخرت عن حربى وعن قتالى ونزالى إلا أنك كليت منى وطلبت لنفسك الراحة ياعدو الله واعلم أنى ما أقول لك إلا حقاً وإنى لك ناصح فارجع إلى عقلك وانظر كيف مد الله الأرض على المـــاء والسماء على الهوى ومسكها بالقدرة وهو الذى لاتراه العيون ولاتخالطه الظنون ، وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلدولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، (قال الراوى) فلما سمع رأس الغول من الامام على ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ولم يزدد إلا

كفراً وعناداً وحمل اللعين على الإمام وحمل الامام على على اللعين وما زالوا فى قتال ونزال والملعون يرمى إلى الامام ضربات كالجبال والإمام يميل عن ضرباته يميناً وشمالا وطال بينهما المطال واشتد عليهم الحر وكانت نزلاتهما أشد نزال حتى تحيرت منهما الأبطال ووقفت من تحتهما الخيول الجياد فنزل اللعين من على جواده وأتى إلى الامام وتلقاه الإمام بقلب قوى وانطبقا على بعضهما البعض وتضاربا وتطاعنا طويلا حتى ضجت وتكسرت جلاميد تلك الأرض هذا والنبى ﷺ مشغول القلب على الامام وهو يقول ياعظيم العظماء ويا باسط الأرض ورافع السماء انصر على ابن أبى طالب على عدوك أنك لاتخلف الميعاد هذا واللعين قد أقبل على الامام على وضربه بالسيف على رأسه فوقع السيف على الخوذة والزفادة فقدها وقد وصل دباب السيف إلى رأس الإمام على فجرحه جرحا صغيراً فصاح المسلمون ولما أن رأوا ذلك الأمر فعندها قال النبى ﷺ ياعمرو أمض وائتنى بخبر الامام فانطلق عمرو وما زال إلى أن وصل إلى الإمام على فوجده مع عدو الله فى حرب شديد وطعن أكيد فلما أن رآه الامام على وهو مقبل عرف المقصود فقال له الإمام على ياعمرو امض إلى من أرسلك واقرئه منى السلام واعلمه أنى بخير من الله تعالى ولكن أريد الآن تأتينى بخوذة عمى العباس فقال له السمع والطاعة (قال الراوى) ثم ان عمرو رجع إلى النبى ﷺ وأخبره بما قاله الإمام على فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال له خذ خوذة العباس وأعطها إلى الامام فاخذها عمرو وتوجه إلى الامام وأعطاها إياه فلبسها وقال ياعدو الله أعلم أن حربى إياك حالة الشفقة وقد أشفقت عليك لأجل أن الله يهديك إلى الإسلام وينقذك من عبادة الأصنام فوجدتك على ضلالك القديم ودينك الذميم والآن تفتخر على بقطع خوذتى فوالله الذى لا إله إلا هو ولولا أن لك أجلا باقياً إلى أجل معلوم لكنت قطعت رأسك بحسامى وقد يكون إن شاء ربى على يدى (قال الراوى) فلما سمع عدو الله رأس الغول ذلك الكلام طار عقله وارتعدت فرائصه وعلم أن كلام الإمام لحق وما نطق به صدق فقال عدو الله وهو منزعج يا ابن الكرام مهلا على حتى أجيب لى جواداً ولا تأخذنى غدراً من دون العباد لأنى أعلم أن الغدر ماهو شيمتك لأن الشجاع لم يكن شيمته الخداع

(قال الراوى) فلما سمع الإمام على كلام الملعون قال له أنت تريد أن تخدعنى بذلك المقال فما أنا ممن ينخدع بالمحال وقد أجبتك لما تريد لأنى لا أتبع المهزوم ولا أتبع المغدور فلما سمع اللعين ذلك من الامام على نادى على رجاله وقال لهم ائتونى

بجواد من الخيل الجياد فى الحال أتوا اليه بجواد أدهم ركبه على مهله والإمام على ساكت
عنه وبعد أن ركب الجواد نادى برفيع صوته يامعاشر المسلمين وعصبة الموحدين قد
طال بيننا القتال واتسع بيننا المجال وكثر بيننا القيل والقال وهذا فارس الأرض
فى طولها والعرض الذى تسموه ليث بنى غالب وفارس المشارق والمغارب والاسد
الكاسب مظهر العجائب الإمام على بن أبى طالب فهو قد قاتلنى وقاتلته وحاربنى
وحاربته وقد أخذت عليه الفخر وقطعت خوذته ولولا أن اللطش قصير لكان
فلق هامته (قال الراوى) فلما سمع الإمام على كلامه حمل عليه حملة الغضب وضربه
بالسيف فتلقاها عدو الله على درقته وكانت من الحديد الصلب فقدها ونزل إلى
الخوذة والرفاد فقدهما ونزل بعد ذلك السيف على رأس اللعين القوى فو الله لو
صبر له لكان قسمه هو وجواده وغاص إلى الأرض غير أن الملعون استحس
بالحسام أرمى روحه إلى الأرض وكان ذلك سبباً انجاته وترك الجواد والسيف
والرفادة والخوذة والدرقة وولى هارباً وإلى النجاة طالباً وهو لايصدق بالنجاة
وكان الإمام على رضى الله عنه من شيم أخلاقه وحسن طباعه لايتبع من انهزم
ولايهتك قط لأحد حرمة (قال الراوى) ثم بعد ذلك رجع الامام على إلى النبى
ﷺ فلما رآه المسلمون حمدوا مولاهم وكبروه وأثنوا عليه وشكروه وقال النبى
ﷺ كيف حالك ياأبا الحسن وكان قلبه عليه فقال الامام على رضى الله عنه ياابن العم إنى
ببركتك منصور على جميع الأعداء جسور وقد أنعم الله على بخير جسيم وأنا بفضلك
فى رعاية الله الملك الكريم (قال الراوى) فقال النبى ﷺ أرنى رأسك فكشفها
فوجدها شجة عظيمة من ذبابة السيف فتفل فيها النبى ﷺ من ريقه فقطبت لوقتها
وساعتها ورأى الامام على لذلك راحة عظيمة ببركة النبى ﷺ ثم قال النبى ﷺ كيف
رأيت حالك ياأبا الحسن مع هذا الملعون فقال الامام يارسول الله لولا الذى سبق لى
من كلامك لتركته أربع قطع هو وفرسه بل ظننت انه يميل إلى الإسلام فرأيته
كافراً عنيداً وشيطانا مريداً ولكن يكون ذلك عن قريب إن شاء الملك المجيب ثم
أن الإمام جلس مع الرسول والصحابة يتحدثون بقية ذلك اليوم إلى أن ولى النهار
وأسبل الليل بالاعتكار وأوقدت النيران وتحارست الفريقان (قال الراوى) هذا
ما كان من أمر الاسلام وأما ما كان من أمر اللعين فانه لما رجع مكسور من الميدان
قال لقومه كيف رأيتم حالكم وأنى أردت أن أحامى عنكم فمنعنى ذلك ابن أبى طالب
وإن لم تطاوعونى فيما به أشير عليكم وإلا أفنوكم المسلمون عن آخركم فقالوا له وماهو
الذى تشير علينا به فقال لهم تحاموا عن حريمكم وتجتهدوا فى الحملة بغاية اجتهادكم

وإلا أحل بكم الدمار (قال الراوى) فلما سمع القوم كلامه قالوا له السمع والطاعة وفى الحال حملت المشركون اسلحتهم وتجهزوا للحرب والقتال ولما أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح صلى النبى ﷺ بالصحابة صلاة الافتتاح واصطفت الصفوف وحملت على بعضهم الطائفتان وتقاتلا قتالا شديداً ولله در عمرو بن معدى كرب الزبيدى وما فعل لأنه كان فى أول فرسان المسلمين فخاض فى وسط الكفار وقتل منهم أمما لاتحصى بعدد الرمل والحصى ومازال يقاتل ويصول ويجول إلى أن وصل المكان الذى فيه رأس الغول وقد طعن صاحب العلم أرماه ووقعت الراية وتكسر العلم وتأخر رأس الغول إلى ورائه وانهزم ثم رجع الامير عمرو إلى النبى ﷺ وهو فى بحر من الدماء فلما رآه النبى ﷺ شكره على فعاله وكان الإمام على فعل أضعاف ذلك ولما أن رأى النبى ﷺ ذلك حمل فى رجاله وأبطاله وانصاره وأصحابه وكانت حملة صادقة وأعطى الله الفتح المبين والنصر لعباده المؤمنين واوقع الله الرعب فى قلوب القوم الكافرين فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وفى الحال اشتغلت المسلمون بالغنائم والأموال والأحمال ورجع النبى ﷺ بالفوارس المشهورة الذى مثل الامام على وعمرو والمقداد وغيرهم وترك المسلمين للأموال والأسارى وغيرهم فبينما هم على مثل ذلك وإذا باللئام قد ردت واحاطت بهم من كل جانب ومكان وذلك لما أن رأوا شجعانهم غابوا عنهم وهم مشتغلون بالاموال والأسلاب فردوا عليهم ودقوا فيهم فقاموا المسلمون هاربين وإلى النجاة طالبين وتركوا الأسلاب والأسارى والغنائم والاحمال ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى النبى ﷺ ومن معه من الفرسان فلما رآهم على مثل ذلك فهم المعنى فعدلوا خيولهم وانكبوا عليهم وتصايحوا الطائفتان وقاتلوا قتالا شديد ومازالوا فى قتال ونزال إلى أن عزم النهار على الارتحال وأقبل الليل بالظلام وكان ذلك اليوم على الكافرين مثل حر النار لأن المسلمين قد طحنوهم وعلى الارض جندلوهم وكان عدة الكفار الذين فنيت فى هذا النهار ثلاثين الف فارس كرار وقتل من المسلمين خمسمائة فارس كرار وافترق الجمعان عند آخر النهار وتحارس الفريقان وأوقدوا النيران ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركبت الفرسان وقال النبى ﷺ أن هذا الامر يطول بيننا وبين هولاء الملاعين وأريد أن تحملوا عليهم حملة صادقة وأنا أحمل معكم عسى الله أن يأتى بالنصر والفتح القريب فقالوا له سمعاً وطاعة لله ولك يارسول الله هذا وقد ركب النبى ﷺ وركب المسلمون معه وهم كأنهم رجل واحد وحملوا على المشركين حملة صادقة فلما نظر المشركين إلى ذلك قالوا لرأس الغول إن لم نلحق الوادى وإلا أفنونا عن آخرنا فقال لهم ياقوم أعلموا أنهم

شجعان وأبطال وكم طال ما تحار بنا معهم فالأولى أننا نحمل رجالنا ونترك لهم هذا الوادى ونرحل إلى غيره وأوديتنا كثيره ونريح أرواحنا من قتالهم ونجمع عليهم الأبطال ونحاربهم إذا أتوا إلينا على كل حال وهذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أن الملعون انهزم من ساعته وقومه بصحبته وساروا إلى الوادى الرابع ودخلوا فيه بعد أن تركوا جميع ما كان لهم من الأموال والنوق والجمال والأسلاب والأثقال والخيام ولما أن دخلوا إلى الوادى الرابع أغلقوا الأبواب وحصنوا الاسوار بالاحجار وكان ذلك الوادى متسع الجنبات ولكنهم دخلوا إلى الحصن كما ذكرنا وماتت قلوبهم عن حرب المسلمين كما وصفناها هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر المسلمين فانهم لما ركبوا لقتال المشركين ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار فلم المسلمون جميع الاسلاب والاموال والانعام فى عاجل الحال قسموه على بعضهم البعض واطمأنت قلوبهم تلك الليلة ولما طلع الفجر أشار النبى ﷺ بالرحيل إلى الوادى الرابع فرحلوا وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا اليه وأحاطوا بالحصن من كل جانب ومكان كما يحتاط النيل بالبلاد فما كان لهم إلا أن أرموا عليهم الاحجار من فوق الاسوار وأرادوا بذلك هلاك الابرار فلما رأى النبى ﷺ ذلك قال يا على خذ هذا الخاتم وامض به إلى الحصن والق به هذه الاحجار التى هى نازلة من الحصن فاذا لقيتها بالخاتم لا يصيب المسلمون منها شىء فاخذه الإمام وسار تحت السور ووقف وقد قوى قلبه والمسلمون من حوله فلما رأوه اعداء الله عرفوه اجتمعوا خمسين نفراً وتعاونوا على صخره كبيرة وجعلوا يسحبونها قليلا قليلا من كرحتى حكموها على رأس الامام والقوها عليه يريدون هلاكه فوقعت الصخرة فأشار اليها الامام بالخاتم فحادت عنه أكثر من عشره أذرع والكفار ينظرون ويتعجبون من تلك الاسرار ويقولون هذا سحر مبين ولم يعلموا أنها الطاف رب العالمين هذا وقد كبرت المسلمون لما روا هذا البرهان العظيم وانهزمت المشركين من فوق الاسوار وتراجعوا واعلموا رأس الغول بذلك الامر المهول وبطلوا رمى الاحجار لما رأوا انه لم يصل المسلمين منه أضرار هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامام فانه أراد أن يتحيل على الدخول على ذلك الجبل مسكن النحل وكان فيه نحل كثير كل نحلة قدر العصفور فالتم النحل على الامام على هو ومن معه الرجال الاخيار وأراد أن يأكله فألهمه الله سبحانه وتعالى أن يشير على النحل بالخاتم فأشار عليه به فبعد النحل عنه وتفرق فى البرارى والآكام ولم يصبه منه شىء لا هو ولا من معه من الإسلام فسمى من ذلك الوقت أمير النحل لأن النحل من ساعته أطاعه وكان

إذا حمل الامام على الكفار يحمل النحل معه وإذا قال له سر على جهة اليمين يطاوعه وكذلك إذا قال له كن فى الميسرة والقلب وكان حرب النحل عجيباً وهو أنه يدخل بين الدروع ويلدغ الكفار فى أجسادهم ووجوههم حتى يسيل الدم منهم هذا وقد سار الامام بمن معه من الإسلام وبيده الخاتم والنحل تابع له وفى خدمته وهذه معجزة النبى ﷺ ولم يزل سائراً إلى باب الحصن وأشار اليه بالخاتم فانفتح الحصن ودخل النحل مع الامام والمسلمين فلما رأوا الكفار ذلك ولوا الأدبار وتركوا الحصن بما فيه وخرجوا إلى الوادى المتسع فأمر الامام على الرجال الذين معه بنهب أموال الحصن فنهبوها وخرجوا من الحصن بعد أن خربوه والرجال الكفار لولا أنها هربت من النحل عاجلا لكان أهلكها ثم أن الامام على أخذ الرجال الذين معه وأخذ النحل وسار بهم إلى النبى ﷺ فشكره النبى ﷺ وأمره بالجلوس فجلس هو ومن معه من الرجال وتأخر النحل بعيداً وجلس الآخر هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر عدو الله رأس الغول فإنه لما شاهد تلك الفعال شخر ونخر وتجبر وتمرد وقال لأصحابه ألا ترون ماحل بنا من محمد وأصحابه وكيف فعل ذلك بنا وقد تحيرت وحق الرب فراش فى أمرى ولا بقيت أعرف ماذا أصنع فعند ذلك قام إليه رجل يقال له ميسرة بن تربة وقال له أيها الملك أن الذى فعل بكم هذه الفعال هو الذى أباد الملوك وقهر الجبابرة العتاة وهو الذى أخرب المدائن والحصون وقتل قريشاً يوم بدر وحنين وهو الذى قتل عابد الدار وغيره من الفرسان الكبار وهو الذى أهلك بنى قريظة فى يوم الأحزاب وكم أهلك هو وابن عمه من فرسان وشجعان وكم لهم من وقعات مشهورة وحروبات مذكورة وأنى أقول لكم وحق الرب فراش إن لم تصدقوا فى حملتكم وتبذلوا همتكم وإلا وحق اللات والعزى والهبل الكبير الأعلى أفنوكم عن آخركم ولو كنتم بعدد الرمل والحصى فلما سمع الملعون عدو الله ذلك الكلام قطع فيه العار وقال لهم أن لم تصدقوا فى حملتكم فأنا أبرز اليه وأكفيكم شره وأخمد لكم أنفاسه وكان رأس الغول له ولد يقال له مقلقل وكان جبار وفارساً كرار وكان يخرج إلى غابة الأسود لا يرجع منها إلا بعد أن يقتل أسدا أو اسدين أو ثلاثاً أما بسلاح وأما بغير سلاح وكان يشن الغارات على الشجعان ويهابوه الاقران وتخاف منه جميع الأبطال وتهابه كل الرجال وكان مقل لما سمع كلام والده قام على الاقدام ووقف قدام والده وقال له دعنى أنا أخرج اليه وآخذ روحه من بين جنبيه أنا كفؤ له ولامثاله (قال الراوى) فلما سمع أبوه منه ذلك الكلام قال له تمهل ياولدى حتى أشاور قلبي لأنى أخاف عليك من على بن

أبى طالب أو يأسرك كما أسر أخاك عرفجة فقال له مقلقل وحق الرب فراش لابد لى من الخروج اليه والهجوم عليه ثم أنه دخل إلى خيمته ولبس عدته ولبس آلة حربه ولامته وجعل على رأسه خوذة هندية وركب على جواده الادهم كأنه غراب أسحم وبعد ذلك همز جواده إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب البراز وسأل الإنجاز فبرز اليه فارس من المسلمين فقتله والثانى جندله والثالث فما أمهله ومازال يقتل حتى قتل من المسلمين اثنين وعشرين فارساً فأعجبته نفسه فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات

ما الفخر إلا الطعن فى الميدان   وقتال الأبطال والشجعان
فاعلموا إنى فى قتالى صادق   أنا القتال من أنس ومن جان
فتأهبوا يامسلمين لصارمى   وتعجبوا لتصادم الفتيان
فلآخذن فتيانكم أسارى   وأجعلنكم فداء إلى الأوثان
وأسقيكم كاس الحمام بصارمى   وأطعمكم للوحوش والعقبان
وهذا كلامى وسوف تروا   فعالى بصارمى وسنانى

(قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ كلامه ونظامه قال لعرفجة ابن رأس الغول أتعرف هذا ياعرفجة قال يارسول الله هذا فارس شديد وبطل صنديد هذا قاطع الخودات المنيعة وخائض الوقائع الرفيعة هذا البطل المهول هذا مقلقل بن رأس الغول (قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ من عرفجة هذا الكلام رفع رأسه إلى السماء وقال إلهى اسألك أن تكفينا شره أنك على كل شيء قدير هذا والمقلقل قد برز الى الصفين وقال يامعاشر الإسلام وأصحاب خير الأنام أبرزوا إلى فالق الجماجم وقاتل الأعراب والأعاجم ثم انه طلب البراز وسأل الإنجاز وإذا بالأمير عرفجة قام على الأقدام وقال يارسول الله دعنى أنا أخرج وأحاربه لأنى خبير بحربه ومضاربه فأما ان يغلبنى وأما أن أغلبه وأما أن يقتلنى وأكون لك الفداء وأكتب عند ربى من السعداء لأنى أريد أما أن أقتله وأما أن يسلم وعلى كل حال ماتختار (قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ ذلك الكلام بكى عليه السلام وقال له أخرج اليه أعانك الله عليه فقام عرفجة ولبس آلة حربه وتقلد بسيفه وركب على ظهر جواده وبرز له حتى صار قباله فقال له مقلقل من تكون أيها الفارس حتى تجاريت على قتل نفسك وتقدمت إلى ضرب عنقك أما تعرفنى وماشهدت قتالى وحربى ونزالى فانج اليوم بنفسك (قال الراوى) فلما سمع عرفجة كلامه حمل عليه حملة منكرة من غير أن يجاوبه وجعل يحاربه ويضاربه وقد تباعد وتقاربا وتطاعنا

واعتركا طويلا وافترقا ميلا ولم يزالوا فى قتال ونزال حتى علا عليهما الغبار وحجبهما عن أعين النظار وقد وقفت خيولهم إلى الأرض وماتوا لوقتهما هذا وقد رآه مقلقل فارساً شديداً وبطلا صنديداً فقال له مقلقل يافتى عرفنى بنفسك فأنا مارأيت قط فارساً مثلك وإن قلبى يحدثنى أنك من أولاد أس الغول لأن هذه العروسية لاتكون إلا فيهم فلم يرد عليه جواباً بل حمل عليه والآخر تلقاه وتقاتلا قتالا تعجز عنه الأبطال فقال مقلقل لولا أنك من فرسان المسلمين لاأقول إلا أنك أخى عرفجة وأنا أقول وحق معبودك الذى تعبده إنك تعرفنى باسمك وتخبرنى بنفسك وعن قومك وعربك (قال الراوى) فلما أن سمع القسم الامير عرفجة كشف اللثام عن وجهه فقال له هل أنت أخى عرفجة فقال له نعم أنا عرفجة وحق الرب القديم إله موسى وإبراهيم فقال له وكيف تركت دين أبائك وأجدادك وعبادة الرب فراش الذى كنا نسجد له وكيف يكون فى الآلهة مثل فراش الذى نحن على عبادته عاكفون وقد فارقت جيشك وخدمك وكنت سعيدو الآن صرت صعلوكا ومملوكا فقال له عرفجة اعلم أن الذى كنت فيه باطل لانى كنت أعبد الأحجار دون الملك الجبار فإن كنت يا أخى تقبل نصيحتى اليك فاطعنى فيما به أشير عليك وهو أنك تعبد الملك الجبار وتصلى على النبى المختار وتسلم من عذاب النار

(قال الراوى) فقال له وقد تعجب من كلامه ومال قلبه إلى الإسلام ومرامه أنى أخاف من محمد وأصحابه أن يقتلنى أو يغدرنى فقال له محمد وأصحابه ياأخى لايقتلون ولايغدرون من أتاهم مؤمنا فسر أنت ياأخى معى ولاتخف وأنا الضامن لك ولهم فقال له سر ياأخى أنت أمامى فسار قدامه فطعنه بكعب الرمح أرماه إلى الأرض ونادى ياأبى هذا أخى عرفجة يريد أن يأخذنى إلى دين محمد وكان ياأخوانى هذا من وسوسة الشيطان لأنه أغراه على عدم الاسلام (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك من ولده المقلقل صاح فى رجل من رجاله وقال له امض إلى ولدى مقلقل وائتنى بعرفجة أسيرا وكان هذا الفارس يقال له جندلة فركب وسار إلى المقلقل يعاونه على أخذ عرفجة هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر النبى ﷺ فإنه لما أن رأى إلى عرفجة وقد وقع على الارض صاح على الامام على وقال له أن الملعون غدر بصاحبنا فأدركه قبل أن يقتلوه أو يأسروه فحمل الامام على فى عاجل الحال وسار فوجد عرفجة مطروحا على الارض وأخوه مقلقل قد نزل اليه يريد يشد كتافه ونظر الامام على إلى البر فوجد اللعين جندلة قد أقبل لمعاونة المقلقل فصبر عليه الامام حتى نزل من الجواد وتقدم مع المقلقل وأراد الإثنان يأخذان عرفجة وإذا بالامام قد أقبل

عليهم وقبض على الثلاثة وأخذهم بيده وهم فى يده مثل العصفور وسار بهم إلى أن وصل إلى المسلمين ووضعهم امام النبى ﷺ فأطلق عرفجة وقيد الإثنين فى القيود والأغلال وتركوهم على حالتهم (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فإنه لما نظر إلى تلك الفعال لطم على وجهه ورمى التاج من فوق رأسه ونتف لحيته وزادت بلوته ونادى بملء رأسه وصاح وامصيبتاه واذلاه من هؤلاء الأقوام ثم صاح فى رجاله احملوا على هؤلاء واسقوهم كأس الحمام فعند ذلك حمل المشركون وساروا نحو المسلمين فالتقى الجمعان والتصق الفريقان وما زالوا فى قتال ونزال من مشرق الشمس إلى مغربها وافترق الجمعان عن القتال وأوقدوا النيران وتحارست الفريقان وكان الذى قتل فى ذلك النهار من المشركين ثلاث آلاف فارس من كل مدرع ولابس وأما المسلمون فهم فى أمان من رب العالمين لان النبى ﷺ دعا لهم دعوات مستجابات وكان أكثر من قتل من الكفار من بعضهم البعض لأنهم كانوا يجدون لهم هيبة وأى هيبة فسيرجع الفارس منهم وهو مدهوش فيقتل الفارس منهم أو الفارسين من قومه وهو فى دهشته هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر المسلمين فإنهم لما رجعوا عن القتال وافتقدوا بعضهم بعضاً فلم ينقص لهم عدد فجلس النبى ﷺ وجلس المسلمون وأمر النبى ﷺ الإمام أن يحضر الاسارى فقال السمع والطاعة وغاب والإمام على أتى باثنين منهم وهما عرفجة وأخوه مقلقل فلما نظر النبى ﷺ إلى الإثنين قال له ياأمير المؤمنين وأين الثالث فقال له الامير قد مات من شدة ما نزل به من الخوف والفزع فأقبل النبى ﷺ وقال لعرفجة ياعرفجة أين تجد نفسك وكيف الآن حالك فقال يارسول الله إنى فى خير ونعمة من ربى غير أنى مرجوف من الضربة التى ضربها لى عدو الله مقلقل فى أمس فقال النبى ﷺ ادن منى ياعرفجة فدنى منه فمس الضربة بيده الشريفة وكانت تلك الضربة سائلة بالدما والقيح فطابت لساعتها ووقتها كأنها ما كانت وكأنه لم يكن به ألم ولا وجع ثم أن الامير عرفجة وجد فى نفسه راحة تامة فقام من ساعته على الاقدام وقبل يد النبى ﷺ وحط يده على قبضة حسامه وجرد سيفه وقصد إلى قتل أخيه مقلقل وقال ياملعون أنا أدعوك إلى الخير وترمينى بالشر والضر فالان مابقى لك منى خلاص وقد رفع يده وأراد أن ينزل به العطب فصاح فيه المقلقل وقال له امسك يدك فإن الله قد هدانى وإلى الخير قد وفقنى واجتبانى وأوقع حب النبى ﷺ فى وأعيانى وأنا أقول على يدك قولا حقاً مخلصاً صدقاً أشهد

أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (قال الراوى) فلما سمع النبي ﷺ منه ذلك الكلام تلألأ وجهه بالنور وازداد فرحاً وسروراً ودعا لهما بالهداية فقام عرفجة فى الحال وحل وثاق أخيه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال الحمد لله الذى هدانا للإسلام وأنقذنا من عبادة الاصنام وجعلنا من أصحاب بدر التمام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر المشركين فإنهم باتوا بالشؤم ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قام رأس الغول وركب جواده ومازال سائراً إلى أن وصل إلى صنمه فراش وسجد له بعد أن شكى له ما جرى من محمد وآل محمد وكيف أسلمت أولاده على يده وأطال فى سجوده وهو يبكى وينتحب وقام ينتظر رد الجواب قدر ساعة هذا وقد دخل الشيطان فى جوف الصنم وتحرك وقال ياعبدى طب نفساً وقر عيناً فلابد أن أنصرك عليه وعلى على بن أبى طالب فسر إليهما وحاربهما ولاتخف ولاتفزع فها أنا معك (قال الراوى) فلما سمع اللعين كلام الصنم قام على الاقدام وفرح فرحاً شديداً وأحضر عصبة للقتال وجاءته همة زائدة وقال فى نفسه مابقيت أبالى أبداً من المسلمين ورجع إلى قومه وأمرهم بتجهيز حالهم للحرب والقتال وأخبرهم بما جرى من ربه فراش هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر النبى ﷺ فإنه قال يامعاشر المسلمين وأبطال الموحدين على طريق رب العالمين قد علمتم ماجرى لنا مع هؤلاء الملاعين وكم وقع بيننا وبينهم حرب كثير والله المعين كل هذا وما قدرنا على خلاص الزبير بن العوام وأنتم تعلمون أنه ركن من أركان الإسلام وبطل من الابطال الكرام ونخشى عليه من الكفار أن يقتلونه ويسقوه كأس الوبال وأنا أعلم أن عدو الله قد مضى إلى صنمه وقد اشتكى له حاله وما جرى له وأنا خائف أنه يقتل الزبير بن العوام وأنا أريد أن واحد منكم يهب نفسه وروحه لله تعالى ويمضى إلى الديار ويتحيل على خلاص الزبير فإن خلصه ونجى معه كان له عند الله أجر عظيم وإذا هو قتل كتب من الشهداء وفاز بجنات النعيم (قال الراوى) فافرغ النبى ﷺ من هذا المقال حتى قام إليه عمرو بن أمية الضمرى فى الحال وتقدم إلى النبى ﷺ وقبل يده الشريفة وقال يا حبيب الله أنا وهبت نفسى لمالك الممالك وروحى دونكم الفدا أنا أسير إلى الزبير بن العوام وأتحيل على خلاصه وإن وفقنى الله تعالى لا بد أن أحضره بين يديك فقال له النبى ﷺ سر إليه بارك الله فيك وعليك وأعانك الله على خلاصه فسار عمرو بن أمية الضمرى من وقته وساعته بعد أن لبس أثواباً مقطعة وجعل على رأسه عمامة مخلقة وعصب رأسه بعصابة من رباط

الجمال وشد وسطه بحبل مقطع ومعقد وجعل تحت أثوابه خنجراً وسار طالب أديار القوم لاجل خلاص الزبير بن العوام (قال الراوى) وبعد أن توجه عمرو بن أمية الضمرى قام عبد الله بن أنيس وأقبل على النبى ﷺ وقبل يده وقال له يا رسول الله أنت تعلم ما بينى وبين عمرو من المكائد والاحتيال وإنى أريد أن تأذن لى بالخروج خلفه لعلى أعمل عملا مثله وأظفر بخلاص الزبير (قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ ذلك الكلام من عبد الله تبسم ضاحكاً وقال له أذنت لك أن تفعل ذلك

وكان عبد الله بن أنيس خبيراً بالطب والجراح عاقلا وكان لبيباً وعالماً عربياً فقام من ساعته ولبس ثياباً بيضاء وتعمم بعمامة الاطباء فصار كأنه طبيب منذ ألف سنة وكان قد جعل أحقاقاً كثيرة فى خرجه وصار ينادى أنا الطبيب المداوى أنا أعرف الطب وأداوى البلاوى وكان ينادى ويتجسس على الزبير بن العوام لاجل خلاصه (قال الراوى) ومازال على مثل ذلك حتى صار عند القوم وإذا بجماعة منهم قاموا إليه وتلقوه وأخذوه وأكرموه وأحبوه محبة عظيمة وأتوا إليه بالطعام والشراب فأكل وحمد الله وبعد ذلك أتوا إليه بأربعة مجروحين من الحرب يداويهم فدواهم وشفاهم الله تعالى لوقتهم فأتوا له بغيرهم فصار يداوى وما يداوى أحد إلا وأبرأه الله تعالى فأحبوه أشد المحبة وشاع فى ذلك الوادى خبره فسار الناس يهرعون إليه من كل فج فصار يداويهم فقالوا له يا حكيم الزمان أترى ما حل بنا من محمد وأصحابه وما فعل بنا من الضرب والطعان وقد أفقرنا بعد الغنا واتسع هو وجيشه بعد الفاقة فقال لهم هذا رجل سحار وقد اعتاد على قتل الجيوش والعساكر (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه صدقوه وفرحوا فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وطابت نفوسهم وأوصلوا خبره إلى رأس الغول فأمر بإحضاره بين يديه فقال له رأس الغول من أين أقبلت أيها الحكيم فقال له أنا من بنى هوزان وقد سمعنا بما جرى لكم من محمد الساحر ابن عبد الله وقد قتل شجعانكم وأباد أبطالكم وأخذ أموالكم واستسلم أولادكم فلما سمعت قبيلة بنى هوزان قالوا إذا فرغ محمد من قتال هؤلاء ربما يسير إلينا فنحن نسير إلى رأس الغول ونقاتل معه ونساعده على القتال ثم أنهم أرسلونى إلى مداوات الجرحا منكم وأنا سرت أمامهم وهم على أثرى فى عشرين ألف فارس وأيضاً أعلمك أنهم أرسلوا إلى كل القبائل وسوف يأتون إليكم قبيلة بعد قبيلة وسوف ينصرنا عليهم الرب فراش (قال الراوى) فلما سمع عدو الله رأس الغول كلامه تعجب فقال له أهلا وسهلا ومرحباً بك يا حكيم الزمان ولكن أريد أن أرى برهانك فى صناعتك لأن عندى غلاماً مجروحاً وهو من خواص دولتى وإن أنت داويت هذا الغلام فلك منى جزيل الإنعام لأنه قد

جرح فى الحرب من المسلمين وإذا برأ على يديك أعطيتك كل ما تريد (قال الراوى) فلما سمع عبد الله بن أنيس ذلك من عدو الله قال له لك على ذلك فأتنى به فى هذه الساعة فأمر اللعين بإحضاره فأحضره أربعه منهم لانه لايقدر أن يقوم من مكانه فلما أن رآه عبد الله قام إليه وعالجه بالدوى وسقاه شربة ودهن له بمرهم فطاب قلبه وقطب جرحه وقام بإذن الله تعالى من وقته وساعته (قال الراوى) فلما أن رأى ذلك رأس الغول قام فخلع على عبد الله بن أنيس خلعة ثانية وأعطاه أجزل عطية وقال لقومه امضوا به إلى وزيرى وقولوا له يحسن إليه ويكرمه غاية الإكرام (قال الراوى) وكان ذلك الوزير مسلماً كما ذكرنا وكان كاتم إسلامه عن هؤلاء الكلاب فلما أتوا به إلى الوزير أكرمه غاية الإكرام وأجلسه فى رتبة العز وما زال ساكتاً عنه حتى انصرفوا عنه اللئام وتقدم إليه عبدالله بن أنيس وجعل يكلمه ويقول ما أجود هذا الملك يا وزير الزمان وسوف ينصره الرب فراش على محمد الساحر فقال له الوزير وكان إسمه عابد النار أولا والآن يسمى عبد الله فقال ياعبد الله دعنا من هذا الكلام فكيف خليت النبى ﷺ (قال الراوى) فلما سمع عبد الله بن أنيس من الوزير ذلك الكلام قال خليته فى خير من الله تعالى وعافية وهو يسلم عليك فقال له الوزير قم بنا يا عبد الله عند الملك ولا تخف فما عليك بأس ثم سار الوزير به إلى الملك وتقدم إليه وقال له أيها الملك أنا مدة عمرى ما رأيت مثل هذا الطبيب فقال له اللعين صدقت أيها الوزير لانه طبيب ماهر وعلى الطب والحكمة قادر والآن قلبى أحبه وصار له منزلة عظيمة عندى وإنى أريد أن تعين له مقاماً برسمه يقيم فيه حتى ننظر مايجرى بيننا وبين محمد وتأتى لنا العساكر الذى ذكرها لنا هذا الحكيم من بنى هوزان ثم أنهم رسموا له محلا برسمه وتركوه فيه إلى أن يحتاجوا إليه فأقام هو فى ذلك المكان وانصرفوا عنه الرجال وجعل يستنشق أخبار الزبير بن العوام ويسير فى البر وكل من رآه منهم يريه أنه ينظر الحشائش النافعة للأدوية وهم يصدقونه (قال الراوى) هذا ما كان من أمر عبدالله ابن أنيس وأما ما كان من أمر عمرو بن أمية الضمرى فإنه لما أن سار من عند النبى ﷺ ما زال سائراً إلى أن وصل إلى ديار القوم قال عمرو ولما أن توسطت فى الوادى رأيت جماعة مجتمعين فدنوت منهم فلما أن رأونى قالوا لى من أنت فقلت لهم أنا رجل غريب وعابر سبيل وكان لى مال ورجال وأموال فسقط على محمد الساحر فنهب أموالى وقتل رجالى وأخذ حريمى وأولادى قال عمرو ثم أنى جعلت أبكى وأنتحب وشكوت لهم الجوع فأتوا لى بالخبز واللحم فأكلت وشربت وحمدت

له السماء وتركتهم وسرت قليلا وإذا بجماعة أخر مجتمعين فدنوت منهم فرأيتهم من العبيد السودان فلما رأوني بربروا على بلغاتهم فأظهرت العجز والفقر والمسكنة فرحموني وتركوني فتأملت أنا من بينهم وإذا بسلسلة عظيمة فريت ببصري إلى آخرها فرأيتها في عنق الزبير بن العوام والمتوكل عليه خمسون عبداً ما رأيت مثلهم وبين أيديهم الطعام والشراب وهم يأكلون ويشربون ويقومون إلى الزبير ويضربونه فلما نظرت إلى ذلك دنوت منهم وقلت لهم حياكم الهبل الكبير الأعلى فقالوا لى ياشيخ وأنت من أين أقبلت فقلت لهم أنا من بنى هذيل وكان لى مال جزيل وأولاد فأتى إلينا محمد الساحر ونهب مالى وقتل أولادى وهلك أجنادى ولولا أنى هربت من أرضى لكانوا اهلكونى أنا الآخر وقد أتيت إلى ههنا هارباً وإلى النجاة طالباً قال عمرو ثم إنى جعلت تارة أقوم وتارة أقع وتارة أزحف وتارة أحجل وأظهرت لهم غاية ما عندى من الكبائر وجعلت أبكى بدمع غزير فقالوا لى ياشيخ طب نفساً وقر عيناً فنحن نعطيك ونحسن إليك وبعد أن نأخذ لنفسك راحة نوصلك إلى قومك قال عمرو فدعوت لهم وشكرتهم على ذلك فأجلسونى ساعة وإذا بالطعام قدم إليهم فقالوا لى تقدم وكل معنا وجابر زادنا فقلت لهم إن خيركم قد عمنى وشملنى جزاكم الرب فراش عنى خيراً فقالوا لى لا بد أن تأكل معنا فأكلت معهم على حسب الكفاية ثم إنهم قالوا لى اشرب معنا من شرابنا فقلت لهم حسبى ماقد كفى لأنه قد زادنى ما أنا فيه من الهم والغم من فقد مالى وفناء أولادى فقالوا لى ياشيخ لا بأس عليك قال عمرو ثم إنى جعلت أذكر لهم أخبار العربان السالفين والامم السابقين فازدادوا فى محبة ووداد كل ذلك وأنا أنظر إلى الزبير بن العوام بعينى وأتقرب منه قليلا قليلا وقد سمعته يقول هذه الابيات

أيا دمع عينى انسكبت صبيب	وبين جوانى نار اللهيب
عسى الكرب الذى أمسيت فيه	يكون صباحه فرج قريب
يا رب فرج كربتى وتزيل همى	وأضحى بالمسرة والحبيب
وإن مضى الزمان ولم أراه	فيا أسفى على الغصن الرطيب
وإنى مشتاق إلى خير البرايا	هو المصطفى الهادى حبيبي

(قال الراوى) قال عمرو بن أمية الضمرى فلما نظرت إليه وهو فى تلك الحالة أخذتنى عليه الشفقة والمحبة وأنا لم أقدر أبدى ولا أعيد فرفعت وجهى إلى السماء وقلت فى نفسى سراً اللهم يارب العالمين أنت تعلم السر والنجوى يسر لى قضاء حاجتى فى هذه الليلة يارب العالمين ثم إنى بعد ذلك لم أزل أحدث القوم إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وولى النهار بالابتسام فضيت وأنا أمشى على مهلى إلى جانب القوم ونمت

على الأرض وجعلت أتقلب يميناً وشمالا وأخط كل نائم ولم أزل كذلك حتى غلب عليهم السكر وناموا كلهم كأنهم الأغنام قال عمرو فقمت إليهم وأنا مثل الأسد وكان قد مضى من الليل نصفه وطفيت نارهم وسرت أتقلب من مكان إلى مكان وزدت فى الغطيط كأنى نائم حتى وصلت إلى الزبير بن العوام فرأيته يئن من كثرة ماهو فيه من العذاب ولما حس بى قال لى من أنت فقلت له لا تخف أنا عمرو بن أمية الضمرى فقم الآن يازبير وامشى معى فقال لى ياعمرو والله إنى لاأقدر على حركة من الحركات لأن هذه السلسلة قد أذتنى قال عمرو فجعلت أبحث على مملك هذه السلسلة فلم أجد لها مفكاً ولا محلا وما قدرت لها على حيلة فتحيرت فى أمرى وسألت ربى أن يفك كربتى وجعلت أبحث فى هذه السلسلة وإذا بحلقة سقطت منها فشكرت ربى على هذا وظل لسانى لم يغفل عن ذكر الله ثم أخرجت هذه السلسلة من عنقه وقلت له قم الآن يازبير فأراد أن يقوم فما وجد له همة ولاقدرة على القيام فقال لى ياعمر اصبر على قليلا حتى يلين ساقى فقلت له يازبير هذا لايصح أن تقعد وما كان عهدى منك هذا ولكن فوق نفسك حتى أريك أنا الآخر ماذا أفعل قال عمرو ثم أنى وثبت من عنده فى عاجل الحال وثبة الأسد وسحبت خنجرى وملت على هؤلاء الحراس فنحرتهم عن آخرهم وما أبقيت منهم باقية وكان ذلك فى أقل من لمحة عين ثم إنى جئت للزبير وقلت له قم الآن معى يازبير فقال لى ياأخى ليس لى قدرة على القيام قال عمرو فحملته على أكتافى وخرجت به ورجلاه تخط فى الأرض فضايقنى وأنا حامله فمشيت به قدر فرسخ وأنزلته فى مغارة ورجعت إلى القوم فوجدتهم نائمين كأنهم موتى فسلبت له حساماً صمصاماً بعد أن سقيت صاحبه كأس الوبال وأخذت جواده وسرت بالجواد والسيف إلى أن وصلت إلى الزبير وقلت له قم الآن واركب هذا الجواد وتقلد بهذا الحسام الصمصام فنهض قائماً على الأقدام وقد تقلد بالحسام وركب الجواد وقد طاب قلبه وانشرح خاطره ولبه وقال لى يا عمرو الآن قد طاب قلبى وما بقيت أعبأ من قتال ولكنى جائع الفؤاد وظمآن القلب والأكباد فقلت له قف مكانك ههنا فلابد لى من الدخول إليهم وآتيك بالماء والزاد وأرى ماذا يصنعون قال عمرو فقال لى السمع والطاعة ووقف مكانه ورجعت أنا إلى القوم ولكن ماعلمت أن عبدالله بن أنيس دخل هذا الوادى وكان النهار قد اقترب فبينما أنا كذلك وإذا بالمنادى ينادى فيهم ويقول يامعاشر العساكر هيا لرأس الغول وكل من تأخر عن غداة غد ما له إلا السيف من يد الملك رأس الغول فأجابوه كلهم بالسمع والطاعة ثم أن اللعين انتبه من منامه وقال لا بد لى من الدخول على الرب فراش وأشكى له ماقد جرى لى من

الإسلام ثم أنه ركب وسار فى عساكره حتى دخل على صنمه فراش قال عمرو فقلت فى نفسى لابد أن أمضى معهم وأرى ماذا يفعلون فدخلت فى أواسطهم وتركت الزبير وما سألت عنه هذا وقد دخل عدو الله رأس الغول إلى الصنم وسجد له من دون الله تعالى ثم أن اللعين رفع رأسه من السجود وقال خاب من عبد غيرك وأنت الذى قد ذلت لك الجبابرة وخضعت لك الأكاسرة وها أنا قد جئت إليك أشكو ما حل بى من المسلمين ثم أن الملعون بكى واشتكى وسكت ينتظر الجواب وإذا الشيطان دخل فى جوف الصنم وتمايل يميناً وشمالا ثم قال ياعبدى وعزتى وجلالى لقد انتقمت من أعدائك فطب نفساً وقر عيناً وسوف ترى ما يحل بهم منى وحياتك عندى لأفرق جموعهم وأنصرك عليهم وقد وعدتك بذلك مراراً قال عمروا فلما سمع اللعين منه ذلك طابت نفسه وقوى قلبه ثم أنه جاء بقربان وهم عشرة نياق سمان ذبحهم وفرقهم على من كان مستحقاً من عباد الأصنام وبعد ذلك صار إلى خيامه وأمر المنادى أن ينادى كما ذكرنا وقد أمره أن يقول للعساكر على النصر الذى قاله الصنم وأوعده به فشاع ذلك الأمر فى العسكر قال عمرو ثم أن الملعون قال لحجابه إذا كان فى غداة غد أحضروا الزبير بن العوام واصلبوه على خشبة وارموه بالنبال حتى يشرب كاس الوبال ونادى من وقته وساعته أن يحضروا غداً يتفرجوا على قتل الزبير بن العوام قال عمرو ولما أن رأيت هذه الأحوال قلت فى نفسى لابد أن أتحايل على هذا الصنم وأسرقه ثم أنى مضيت من وقتى وساعتى إلى نحوه فقال لى رجل من الحراس من أنت أيها الشيخ الذى تريد أن تدخل على الرب فراش بغير إذن الملك رأس الغول فقلت له أنى رجل غريب وبعيد الدار وفقير الحال ومرادى أن أقصد إلى الرب العظيم وعنيت كلامى إلى رب السماء وقد قصدت إليه أشكو له مانى من الفقر وأسأله أن يكشف ضرى ويرحم فقرى وينصرنى على أعدائى فقال لى الخادم ادخل إليه واسأله عن حاجتك فإنه لا يخيب من قصده قال عمرو فدخلت إليه فلم أجده فى مكانه فتأملت يميناً وشمالا فلم أجد له خبر ولا وقفت له على أثر فقلت فى نفسى قد يكون الشيطان أخفاه عن عينى فبادرت إلى الخروج من عنده وكان الفجر قد انشق ولاح وإذا بالصياح قد علا وهاج المرج بأصحابه فخرجت أنا أنظر ما الخبر وإذا بجماعة من الكفار يقولون أن الملك رأس الغول أمر بإحضار الزبير ليقتله بين الأنام فلم يجد له خبر وقد وجدوا الحراس مذبوحين عن آخرهم فصاحوا هذا الصياح ولطموا على وجوههم ، دخلوا على الملك وأعلموه بذلك فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال وحق الرب فراش ما سرق غريمنا الزبير إلا عمرو بن أمية الضمرى أو على

ابن أبى طالب قال عمرو ثم قام اللعين وهو منزعج الحواس وأخذ خواص دولته وأمرهم بالركوب فركبوا وسار بهم إلى الصنم الذى يعبده لأجل أن يشتكى له ماقد جرى من الزبير بن العوام وما زال سائراً إلى أن دخل عليه فلم يجد له خبر ولا وقع له على أثر فعند ذلك طار عقله من رأسه وقد شخص ببصره إلى نحو خدامه وقال لهم يا ويلكم أين الرب فراش فقالوا له نحن لا ندرى به ولا نعلم ما الخبر ودخلوا إلى الصنم فلم يجدوه فخرجوا من عنده وهم حائرين فى أمورهم فلما نظرهم اللعين على تلك الحالة سحب سيفه وطاح فيهم فقتل منهم جماعة وهرب الباقى (قال الراوى) ثم أن اللعين رأس الغول مزق أثوابه وحث التراب على رأسه وقال له من الذى فك أسيرى وسرق صنمى وكل ذلك فى ليلة واحدة وما أعلم بعد ذلك ماقد جرى عليه فبينما الملك على هذه الحالة وإذا بالوزير دخل عليه وقال له أيها الملك لا تخاف ولا تحزن أنت تعلم أن الرب فراش لا يسرق فحاشاه ما عليه خوف ولا فزع فلا بد أن الرب فراش سار إلى قتال محمد الساحر كما أوعدتنا بالامس وربما كان أخذ الزبير بن العوام ليصلبه بين الصفين لأجل مايقهر محمد بن عبد الله ونرميه نحن بالنبال ونريح أنفسنا من القتال (قال الراوى) فلما سمع راس الغول من الوزير ذلك الكلام فرح واستبشر وخلع على الوزير خلعة سنية وأجزل له العطية وقال له نعم الكمن وزير وإنى ما أجد عند الملوك قط مثلك فى التدبير ثم أنه اطمأن قلبه بكلام وزيره قال عمرو بن أمية الضمرى فصبرت إلى أن هجعت أصواتهم ومضوا إلى أشغالهم وخرجت فى حالة العجلة وعرجت عن الطريق العدلة وسرت إلى المكان الذى فيه الزبير بن العوام فوجدته فى انتظارى فقلت له سيريا زبير فقد انقطع ظهرى مما رأيته من الأحوال فقال يا عمرو أنظر لك فرساً واركبها لأجل أن نسرع فى مشينا فقلت له أن ساقى أحب إلى من فرس عجول ثم سرت أنا وإياه وأنا متعجب من هذا الأمر الذى رأيته فبينما نحن سائرين وإذا بخيال يلوح لنا فى البر فقال لى الزبير ياعمرو أنظر لنا الخيال وائتنى بالخبر فأردت أن أسير إليه وإذا هو مقبل علينا وهو يقول السلام عليكم ورحمة الله أنعمتم صباحاً وسقيتم خيراً ونجاحاً فحققت النظر فيه فعرفته فإذا هو عبد الله بن أنيس وقد رأيت الصنم على كتفه فازددت عجباً من ذلك فقلت فى نفسى هو الذى سرق الصنم ولكن كيف ذلك قال عمرو ثم أنى سألته وقلت له ما هذا الذى على كتفك وما هذا الأمر الذى أنت سائر فيه فقال لى هذا الصنم الذى كانوا يعبدوه سرقته فقلت له وكيف ذلك فقال إن لى سبب عجيب وأمر مطرب غريب وهو أنك لما أن سرت من عند النبى ﷺ استأذنت أنا الآخر فى المسير فأذن

لى فسرت إلى أعداء الله فى صفة طبيب وداويت لهم بعض الجرحا فحيونى وأكرمونى ودخلت إلى الوزير فهنانى بالسلامة وشكرنى عند الملك وتحيلت أنا والوزير على الصنم وسرقته فى ليلة ماخلصت أنت الزبير بن العوام ولما أن دخل بى الوزير أرادوا الحجاب أن يمنعونى من الدخول فقال لهم أن هذا رجل غريب قد أسقمه العيا وهو الآن طالب أن يدخل إلى الرب فراش ويسأله أن يشفيه ويدعو لكما عنده فتركونى فدخلت وسرقته وخرجت على حالة العجلة ولما أن دخل اللعين وبلغه الخبر دخل الوزير وقال له كذا وكذا فاطمأن قلبه وزال ماعنده ثم إنى سرت إلى الليل وأخذت الصنم وخرجت من عندهم وعدلت عن الطريق ولم أزل سائراً حتى وصلت إليكم ههنا وهذا كان السبب ولكن أخبرنى أين الزبير بن العوام فقلت له ها هو قدامنا قال عمرو ثم أنى حدثته بماقد جرى على وكيف أردت أن أسرق الصنم فرأيته انسرق ولم أدرى أنك فعلت هذه الفعال ثم إنى خرجت من عندهم على عجله فقالوا الى الحجاب لعل الرب أن يكون بلغك المراد فقلت لهم هاهو أغنى فقرى ورحم كبرى وخرجت من عندهم ياأخى وأنا لا أصدق بالنجاه ثم أنهم ساروا بعد ذلك حتى التقوا بالزبير ابن العوام وسلموا على بعضهم البعض وهنوا بعضهم بالسلامة وساروا طالبين ديار الإسلام قال هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فإنه صبر يومين فلم يجىء أحد يخبر بخبر الصنم الذى يزعم أنه ربه فكتب المكاتيب إلى الوديان والجنود الذى يحكم عليهم وهو يقول أن الرب فراش قد سرق فهل عندكم خبر عنه فأرسلوا إليه أن ماعندنا له خبر ولا وقفنا له على أثر (قال الراوى) فلما سمع اللعين ذلك الخبر قامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وادعى برجل من قومه يقال له كنانة وكانت العرب تسميه بمرارة الموت لأنه كان فارساً شديداً وبطلا صنديداً فقال له الآن قم يا كنانة وامضى إلى قبيلة بنى هوران وخذ معك ألف فارس لأن قلبى يحدثنى أن ما سرق صنمى إلا الطبيب الذى أتى إلينا لأنى من وقتها ما رايته وإذا أدركتموه فلا تقتلوه بل ائتنى به بالحياة لأجل أن أعذبه وبعد عذابه أحرقه وأسحقه وأدريه فى الهواء فقال كنانة السمع والطاعة ثم أخذ الرجال وسار من تلك الساعة وكان من الأمر المقدر أن الطريق الذى سار منه عبدالله والتقى بعمرو غير مستقيمة والطريق الذى سار منه كنانة مستقيمة وقريبة غير بعيدة (قال الراوى) فبينما الثلاثة سائرين وإذا بالغبار من خلفهم قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف وبان للنظار عن اللعين كنانة وصحبته ألف فارس وإذا بهم ينادون أين تنجوا منا ونحن ورائكم بخيلنا فانطلقنا فى البر أمامهم إلى أن كانت سواعدنا مما جرى.

علينا من الخوف ولولاه ما أدركونا هذا وقد أدركونا بالخيل فتلقاهم الزبير وقتل منهم خمسين فارساً جملة واحدة وجرح منهم أكثر من عشرين وقد أتاه رجلا منهم له لحية طويلة فضربه الزبير بالحسام قطع يده اليمنى وجذبه من ذقنه اقتلعه من سرجه وأتى به إلينا وقال لنا دونكم وإياه فمسكناه نحن الإثنين وقطعنا منه اليدين والرجلين ومازلنا نقطع فيه حتى جعلناه عشرين قطعة فلما رأت الرجال هذه الفعال تأخروا إلى ورائهم فتركناهم وقد أتينا إلى سطح جبل عالي وصعدنا عليه وأخذنا الأحجار وكل من جاءنا من الكفار رميناه بالأحجار حتى أهلكنا منهم أكثر من مائة وخمسين فارساً فقال واحد منهم يا ويلكم أخذلكم الرب فراش أما تنظروا إلى هؤلاء وهم ثلاثة أنفار وقدفعلوا فيكم هذه الفعال فكيف إذا اجتمعتم بمحمد ورجاله الذى فى الشجاعة مثل على بن أبى طالب وسلط عليكم رجاله الذين هم فى الشجاعة مثله كخالد بن الوليد وعمرو بن معدى كرب الزبيدى والمقداد بن الأسود والفضل ابن العباس والعرمرم (قال الراوى) فلما سمع رجل منهم ذلك الكلام تقدم إليه رجل منهم وقال له ويلك يا كنانة تحدث بمثل هذا الكلام أما تعلم أن هذا الكلام يكسر قلوب الرجال عن الحرب والقتال وأنت لو عرفت ما كنت تصف لهم شيئا من ذلك بل تثبتهم وتأمرهم بالصعود على الجبل ويلتقوا بالأعداء ولكن انظر إلى هذا الفارس واخبرنى من يكون فنظر له وقال لا أعرفه فقال لى هذا هو البطل الصنديد والفارس الجليد الليث الهمام والبطل الضرغام هذا هو الزبير بن العوام وأما هذين الشجاعين الذين تراهم أحدهما عمرو بن أمية الضمرى والثانى عبد الله ابن أنيس الذين هم إذا ساروا يسبقون الريح ولذلك ساروا على أقدامهم والزبير ابن العوام راكب من دونهم (قال الراوى) فلما سمع كنانة من هذا الرجل ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وقال ياويلكم تفرقوا حول هذا الجبل واصعدوا منه وتفرقوا حول هؤلاء الثلاثة أنفار وأنتم رجال كثيرة واحملوا عليهم وضايقوهم ولا تقتلوا منهم أحد بل أننا نأخذهم بالحياة إلى عبد الملك رأس الغول وكان هذا الكلام يسمعونه الثلاثة فعند ذلك قال لهم الزبير دعونا ننزل لهم قبل أن يحاصروا هذا الجبل وأنت ياعمرو دعنى أحاربهم وامض انت إلى النبى ﷺ واخبره بما نحن فيه وأنا أقاتلهم بعون الله تعالى ثم أن عمرو لما سمع كلام الزبير أعطى رجليه للريح وانقام عليها صحيح فلما نظروه الكفار تعجبوا منه وأطلقوا الخيل فى طلبه وهم يريدون أن يأسروه فوالله مالحقوا منه غير الغبار (قال الراوى) وكان بينهم وبين النبى ﷺ سبعة أميال فلم تكن إلا ساعة واحدة حتى وصل إلى خيمة النبى

ﷺ وكان ساعة وصوله إليه كان نائماً فى الخيمة فأيقظه وأخبره بما جرى له من أوله إلى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره فلما سمع النبى ﷺ من عمرو ذلك الكلام قال أين على بن أبى طالب فأجابه الإمام بالتلبية فقال له خذ معك مائة ألف فارس وسير بهم وأدرك الزبير بن العوام لأنه فى قتال شديد وحرب أكيد هو وعبد الله أنيس فلما سمع ذلك الكلام عمرو بن معدى كرب الزبيدى وثب على الأقدام وقال يا رسول الله دع الإمام يقعد وأنا أمضى إليهم وأكفيه شرهم فقال الإمام على بارك الله فيك ياعمرو اقعد أنت وحق النبى ﷺ لم يمضى إليهم غيرى (قال الراوى) فلما أقسم الإمام بالنبى ﷺ قعد عمرو مكانه وركب الإمام على رضى الله عنه وسار قال فبينما الزبير بن العوام يقاتل أشد قتال والملعون كنانة يقول خذوه من كل جانب ومكان وقد رفع وجهه إلى السماء وقال إلهى وسيدى أنت أعلم بما أنا فيه من قتال هؤلاء القوم فاجعل لى من أمرى فرجاً ومن بين أيديهم مخلصاً ومخرجاً إنك على كل شيء قدير (قال الراوى) فبينما الزبير فى كرب شديد وطعن أكيد وإذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان عن الفارس الكرار والليث المغوار وهو ينادى أنا ليث بنى غالب هذا وقد أقبل على القوم وحمل عليهم حملة الأسد الهجام وفرقهم عن الزبير بن العوام وقد قتل فى حملته خمسة وأربعين فارساً فقال كنانة ياقوم ما هذا الفارس الشديد والبطل الصنديد فقالوا له هذا ليث بنى غالب هذا الإمام على بن أبى طالب (قال الراوى) فلما سمع منهم كنانة ذلك قال لهم يا ويلكم يا أندال الرجال كيف تصفون هذا الفارس بالشجاعة والبراعة فليبرز إليه واحد منكم وإلا هلككم عن آخركم ثم أنه صاح فيهم فخرج له فارس شجاع فقال له من أنت أيها الفارس فقال له أنا كريم الحسب أصل النسب أنا مفرج الكرب أنا مظهر العجب بين العرب والعجم أنا على بن أبى طالب الشجاع المنتخب (قال الراوى) فلما سمع اللعين ذلك من الإمام على ارتعدت فرائصه ورجع إلى ورائه ولم يقدر أن يبدى له كلام بل أنه لما رجع صاح فى قومه وقال لهم ياويلكم يا قوم اعلموا أنه قد حل بكم الدمار وأتاكم مخرب الديار ومفنى منكم الصغار والكبار على بن أبى طالب الفارس الكرار (قال الراوى) فلما قال هذا الكلام برز له فارس يقال له عرفجة وقال له يا ويلك يا ابن الأندال سوف ترى ما يحل بك منى فى المجال بعد أن أقتله أرجع إليك وأعاقبك على هذا المقال فلما سمع منه هذا الكلام قال له ابرز إليه وإن رجع فاصنع بى ما شئت وأنت الآخر سوف

ترى صحة قولى هذا وقد خرج عرفجة إلى الميدان وسار إلى أن قاربه بالإلزام وبادره بطعنة فمال عنها الإمام على وأبطلها بحسن المعرفة ومال إليه الإمام على ومسك رمحه بيده وهزه بقوة ساعده كسره بأربع قطع ورماه بعد ذلك الإمام إلى الأرض (قال الراوى) ولما أن رأوا الكفار ذلك تعجبوا من قوة حرب الإمام ثم أن اللعين عرفجة قوى قلبه وأخرج حربة من تحت فخذه وأرسلها إلى الإمام فصبر الإمام عليها حتى قاربته ومسكها بيده وأخذها من الهوى وتفرج عليها فأعجبته هذه الحربة فأخذها لنفسه واستخسر أن يقتل بها صاحبها بل أنه قاربه حتى حف الركاب بالركاب وقبض الإمام على ذلك الملعون من رقبته وقرص عليه فانكسرت جوزته ومات وهو على سرجه وعجل الله بروحه إلى النار هذا وقد أرخاه الإمام فوقع على الأرض (قال الراوى) فلما أن رأى ذلك الفارس الذى كان خرج للامام قبله فقال لجماعته إنى نصحته فما قبل نصيحتى وحذرته من خروجه إلى هذا الفارس فأراد أن يعاقبنى على مثل ذلك فجزاؤه ما حل به (قال الراوى) فلما رأى كنانة ذلك حار فى أمره وقال يا قوم لا تخافوا ولا تفزعوا فما بقى يبرز إليه إلا أنا بنفسى ثم أن اللعين كنانة برز إلى حومة الميدان وصال وجال ولعب برمحه فى المجال وقال ياعلى يا ابن أبى طالب سوف ترى مايحل بك منى (قال الراوى) فلما سمع الإمام ذلك قال له ويلك ياعدو الله لمثلى تقول هذا المقال وحمل الإمام على على اللعين حملة منكرة وصاح عليه أدهشه وخبله وطعنه بالرمح فى صدره أخرجه يلمع من ظهره فوقع على الأرض سريعاً يخور فى دمه هذا ولما أن رأى بقية القوم ذلك أرادوا أن يولوا الأدبار ويركنوا إلى الفرار فانكب عليهم الزبير بن العوام وعبد الله بن أنيس وأسقوهم كأس الموت وماوصل منهم إلى الديار إلا من يؤدى الاخبار (قال الراوى) ثم أن الإمام على أمر الزبير وعبد الله أن يلموا أسلحتهم وخيولهم وملبوسهم ومالهم ونوالهم فلموها وأخذوها وعبد الله بن أنيس محتفظ على الصنم مع أنه كان يقاتل وهو ماشى فلما رآه الإمام قال له ياعبدالله كيف دخلت على الصنم فأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها (قال الراوى) فلما سمع الإمام منه ذلك تعجب وتبسم ضاحكاً ثم أن الإمام على رضى الله عنه أمرهم بالمسير فساروا الجميع وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى النبى ﷺ فقام الصحابة لملاقاتهم وسلموا عليهم وهنوهم بالسلامة وفرح المؤمنين بخلاص الزبير بن العوام ودخل ابن العوام إلى النبى ﷺ وقبل يده الشريفة فهناه بسلامته وأمرهم بالجلوس فجلسوا وبعد أن راق

بمجلسهم أخرج عبد الله بن أنيس الصنم ووضعه أمام النبي ﷺ فشكره النبي ﷺ على
وقال اللهم ياربنا لا إله إلا أنت وليس غيرك معبود وأنت تعلم بجهد عبادك فتقبل
منهم هذا الجهاد إنك على كل شيء قدير ثم أن النبي ﷺ أشار إليهم بكسر هذا
الصنم فكسره الإمام على برجله اليسرى (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء
وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فإنه لما أرسل الألف فارس مع كنانة
وأبطأ عليهم خبره قامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وأرسل يكشف أخبارهم
فوجدوهم على الأرض مقتولين فرجع إليه القصاد وأعلموه بما جرى فلطم وجهه
ونتف الباقى من لحيته ثم أرسل إلى ولد له يقال له دعامة وكان قريباً منه فى جانب
الوادى وقال له ياولدى إعلم أن الرب فراش ضاع والسرق وأخبره بما جرى من
عبد الله وكيف أنه عمل حكيما وكيف هرب فلما أن سمع دعامة ذلك صعب عليه
وكبر لديه وأمر رجاله بالمسير فتجهز وسار فى كامل عساكره وجد فى المسير إلى
أن قارب عساكر أبيه وتلقاه وأخبره بما جرى . بكى وقال له يا أبى ما تحمل هم
أنا أسير إليهم برجالى وأبطالى وآخذ رؤسهم على أطراف العوالى وأظهر لك خبر
الرب فراش وآتى به ولو كانوا وضعوه تحت الأرض السفلى فقال له والده وقد
أعجبه كلامه باركت فيك الأصنام ثم أنه مده بعشرة آلاف فارس من رجاله وقال
له سر إليهم وإن احتجت إلى عساكر ابعث لى وأنا أرسل إليك كل ما تريد
وإياك يا ولدى تبارز بطلا منهم يقال له على بن أبى طالب لأنه أقوى منى حرباً
وأشد منى ضرباً فقال له والده لا تخاف على فأنا لهم الكفاية ثم أنه سار إلى قومه
بعد أن ودع أبيه وأمرهم بالمسير فساروا إلى أن وصلوا إلى أمام المسلمين فأمرهم
اللعين دعامة بالنزول هناك فنزلوا ونصبوا خيامهم وأصلحوا أسلحتهم وأقاموا باقى
يومهم وليلتهم هذا ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمر
الملعون بالركوب إلى الميدان واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف ولما
أن رأى المسلمون إلى ترتيبهم فعلوا كفعالهم واصطفوا يميناً وشمالا وقلباً وكانت
العشرة آلاف الذين أعطاهم له أبوه جعل ولده جلاجل المقدم عليهم ولما أن رأى
المسلمون قد اصطفوا نزل إلى الميدان وصال وجال ولعب برمحه فى الميدان فبرز إليه
المرمرم فى عاجل الحال وانطبق عليه وطعنه بطعنة أمر من القضا فنظر إليها جلاجل
فرآها إليه قاصدة غير حائدة فاحتار فى أمره وولى هارباً وإلى النجاة طالباً فوقعت
الطعنة فى جواده الذى هو راكبه فأسالت الدماء لكنها غير قاتلة لأن الجواد عند
التقائه كان رامحاً ثم أن المرمرم طلب البراز وسأل الإنجاز وسار يقول هذه الأبيات

جمعنا لهم من كل غيث وضيغم　　كتائب تملأ المنافقين ظلالها
أسود إذا جالوا بأرض ترجرجت　　جوانبها خوفاً وزالت جلالها
فهل فيكموا من مضارب إلى　　فارس زالت إليه رجالها

(قال الراوى) ولما فرغ العرمرم من شعره طلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز إليه أحد فهجم على الميمنة فقتل منها أربع فوارس وعلى الميسرة فقتل منها ثلاث فوارس وعلى القلب فقتل منه فارس وجرح فارس هذا وقد أهابته الرجال ولم يبرز إليه أحد فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فشكره على فعاله (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر دعامة بن رأس الغول فإنه لما رجع أخوه مهزوما من القتال وبخه على هذه الفعال وقال له ياويلك ياجلاجل تنهزم من حرب المسلمين فوحق الرب فراش لولا أنك أخى لقطعت رأسك بهذا الحسام (قال الراوى) فلما سمع جلاجل من أخيه ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال وحق الرب فراش لا ينزل إلى الميدان فى غداة غد غيرى ولو أنى أشرب كأس الهوان أهون على من كلام دعامة القرنان هذا ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح كان أول من فتح باب الحرب جلاجل فنزل إلى الميدان وطلب البراز وسأل الإنجاز فبرز إليه واحد فقتله والثانى أسره وسلمه إلى رجاله فقطعوه بالسيوف وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) فلما رأى ذلك النبي ﷺ غضب غضباً شديداً وقال أين العرمرم فأجابه بالتلبية فقال له ابرز لذلك اللعين وائتنى به أسيراً غير قتيل فأجابه بالسمع والطاعة وركب من تلك الساعة وسار إلى بين الصفين وقد رمقته كل عين ولما أن سار فى وسط الميدان جعل يقول هذه الأبيات :

سأريكموا ضرباً من حسام هندى　　من يد فارس شجاع غالب
إذا ما أتى له فارس ذو همة　　تضيق عليه الأرض من كل جانب
سوف تنظروا منى كل شجاعة　　بضرب حسام ليس يخطى مضارب

(قال الراوى) ولما فرغ العرمرم من شعره انطبق على جلاجل وأخذ منه وأعطاه وصاح فيه أدهشه وفى أموره خبله ومال عليه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسار به إلى النبي ﷺ وأوقفه بين يديه هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر المشركين فإنهم لما رأوا العرمرم تأخروا إلى ورائهم وأوقع الله الرعب فى قلوبهم فوبخهم دعامة على فعلهم وباتوا تلك الليلة فى أشد حسرة هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر العرمرم فإنه لما أوقف جلاجل أمام النبي ﷺ وهو مكتوف اليدين ومقيد الرجلين قال له النبي ﷺ ياجلاجل انظر إلى إخوانك

فإنهم قد شرفوا بدين الإسلام وأقروا بالوحدانية للملك العلام فإن أسلمت تسلم وتمحى عنك الذنوب والآثام فلما سمع جلاجل من النبي ﷺ ذلك الكلام أطرق برأسه ساعة وقال أبطل عنى يا محمد ذلك الكلام واطلب كل ما تريد من المال وأنا أفدى روحى بمالى فلما سمع النبي ﷺ قال له إعلم أن مالى فيما ذكرته من رغبة وليس بى حاجة إلى المال فقال له الآخر وأنا لا حاجة لى بالإسلام فافعل بى كل ما تريد (قال الراوى) وقد تقدم فى هذه الساعة إخوانه إلى النبي ﷺ وقالوا له يا رسول الله إن أردت ذلك فسلمه إلينا عسى أن يميل قلبه للإسلام فأجابهم النبي ﷺ وسلمه إليهم فأخذوه وساروا به إلى خيمتهما وما زالوا يحدثونه ويكلمونه إلى أن مال قلبه للاسلام وقال لهم قد أجبتكما إلى ذلك يا إخوانى وجلسوا كلهم إلى أن طلع الفجر فقام مقلقل وعرجفة وصلوا صلاة الصبح وجلاجل ينظر إليهما فانفتح قلبه للاسلام ثم أنهما بعد أن فرغا من الصلاة أخذوه وساروا به إلى النبي ﷺ فأقبل على النبي ﷺ وقال له أقول على يدك قولا حقاً مخلصاً صدقاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وآمن به وبرسالته فهداه الله وحسن إسلامه وفرح النبي ﷺ هو وأصحابه لذلك فرحا شديداً (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر دعامة فإنه لما بلغه خبر إسلام أخيه صعب عليه وكبر لديه وكتب إلى أبيه وأعلمه بما قد سار له وبإسلام جلاجل ولده فاغتم غماً شديداً ما عليه من مزيد ثم أن اللعين أمر جيشه بالركوب فركبوا وساروا معه وما زال سائراً إلى أن أقبل على عساكر ولده دعامة فقام إليه دعامة وتلقاه فقال له يا ولدى قد زاد همى وغمى وكثرت بليتى وكبرت بلوتى وقد انسرق إلهى وانفك أسيرى وقد أسلموا أولادى وأفنوا رجالى وأبطالى فقال له دعامة يا أبى بالأمس قد اسروا ولدك جلاجل وكان الذى أسره فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق يقال له العرمرم وقد أخذه وساقه إلى أخواته وأنا أعلم أنه أسلم من كثرة ما أصابه من ضربهم

(قال الراوى) فلما سمع رأس الغول ذلك أرمى نفسه إلى الارض وقد غشى عليه أكثر من ساعة فلما أفاق قام على أقدامه وركب جواده وسار نحو عسكره لاجل أن يحثهم على القتال فبينما هو سائر وقد أقبل على شيخ كبير قد انحنى ظهره من الكبر وتقوس حتى صار كالقنطرة فلما رآه رأس الغول قال له من أنت وما رأيتك إلا هذه الساعة قال يا ولدى أنا شيخ من مشايخ نجد وكبرائها وقد مررت بكم فرأيتكم فى هول وأحزان وقد بلغنى أن إلهكم سرق وأنتم تزعمون ذلك

فأتيتكم بهدية عظيمة يفسر بها خاطركم ويهدى سركم حتى تقفوا على ذلك الأمر ولكن أخبرنى أيها الملك عما أنت فيه من البكاء والانتحاب فقال له اللعين مخارق وقد تعجب من أمره لأنه رآه لابس مرقعة من الصوف وعلى رأسه تاج مثل تيجان الملوك وراكب على ناقة عظيمة الشأن ومتقلد بسيف هندى ومعه طارقة كأنها صاعقة فى وسطه من الذهب مرصعة بالجواهر والدر ويقود ناقة أخرى وعليها هودج عظيم وفى رأس الهودج هلال من الياقوت الأحمر فظن عدو الله رأس الغول أن هذا من بعض الملوك فقال له اللعين أيها الشيخ اعلم أننا كنا فى منازلنا آمنين مطمئنين لا نبالى بأحد من العالمين حتى أتى إلينا محمد ملك يثرب برجاله وأبطاله وشجعانه وفرسانه فأذل شجعاننا وأباد أبطالنا وأهلك سلطاننا وسرق إلهنا وقد احترنا فى أمرنا ثم أن اللعين بكى واشتكى فلما فرغ من بكائه قال له أيها الشيخ الصالح ما يكون هذا الأمر قال له الشيخ استغفر ربك عوى الرب فراش يغفر ذنبك حاشاه أن يسرق ويطرقه طارق وهذا الذى فعلته ذنب عظيم فى حقه فاسأله الغفران .

(قال الراوى) فلما سمع اللعين رأس الغول ذلك الكلام زاد فكره وحار فى أمره فقال له الشيخ إعلم أن إله السماء قد اشتاق إليه فدعاه إلى حضرته لأجل أن يتحدث معه قدر شهر من الزمان ولا بد أن يعود إليكم وهو ليس بغافل عنكم هو ناصركم على عدوكم وإنه قد أرسلنى إليكم بهذا الرب العظيم ويأمركم أن تعبدوه وتسجدوا له وقد سواه بيده فاسأله عما تريد فإنه قريب مجيب ثم أنه عمد إلى الناقة الحمراء وأبركها بين يدى اللعين ومد يده إلى الهودج أخرج له صنما متحكماً وله عينان مثل الياقوت الأحمر يأخذ البصر فلما نظر رأس الغول إلى ذلك احتار وأخذه الانبهار ثم أنه أشار إلى الصنم وقال له يا رب أنت القريب المجيد طيب قلوب عبادك وانصرهم على أعدائك فإنى قد دعوتك بهمة زائدة فتقبل منى وسكت ينظر رد الجواب وإذا بالصنم هاج وماج وتحرك ذات اليمين وذات الشمال وخرج من فمه الدخان وقال يا معاشر عبادى أعلمكم أن لا إله إلا أنا ولا يكون إله غيرى فيا شقاوة من كسرته ويا سعد من نصرته وإنى ناصركم على عدوكم وأن رب السماء طلب الرب فراش يتحدث معه وقد أرسلنى إليكم لأجل أن أنصركم حتى يأتى إليكم (قال الراوى) فلما سمع اللعين رأس الغول ذلك خرله ساجداً من دون الملك الجبار وأمر قومه بالسجود له فسجدوا له عن آخرهم وقد فرحوا فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وظن اللعين أن هذا فيه نجاح الأحوال

ولم يعلم أنه زور ومحال وبعد السجود أمرهم أن يضعوا الصنم فى القبة ويحرسونه ويقربوا له قرباناً من البقر والنياق ويأخذوا ذلك الشيخ إلى دار الضيافة فأجابوه بالسمع والطاعة وفعلوا ما أمرهم به اللعين رأس الغول ووضعوا الطعام بين يدى هذا الشيخ فامتنع عن الأكل من الطعام والشراب فقال لهم يا قوم إنى حلفت بالرب فراش لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى يرزقنى النصر على محمد الساحر وأنا الآن سائر إليه لأشفى قلبى منه وأريح فؤادى من على بن أبى طالب فضلحوا عددكم وطيبوا نفوسكم ولا تتأخروا عن قتال المسلمين ثم أنه انصرف عنهم ولم يجدوا له خبر ولا أثر .

(قال الراوى) فتعجبوا من ذلك وكان السبب فى ذلك أن هذا الشيخ هو اللعين إبليس فإنه لما رأى ما حل برأس الغول أقبل على ولده وقال له يا ولدى أنت تعلم بما حل برأس الغول من المسلمين وأن أولاده قد أسلموا وقد انسرق الصنم الذى يعبدوه وأنا أخاف أن يكثر عليه الهم فيسلم مثل أولاده وإنى أريد أن أصنع له صنما محكماً مثل الأول وأدخل به عليهم وأرجعهم إلى عبادته وأريد منك أن تدخل فى جوف الصنم وتكلم كل من كلمك وكل من شكى إليك أجبه بأحسن مقال لأنه حقيق أن صنمه سرق وأن عبادة الأصنام على الباطل وأنا أخاف أن يعرف أن عبادة الأصنام على الباطل ويقول لو كان فيها سر ما كانوا سرقوا وربما زاد عليه القهر فيرجع عن عبادة الأصنام ويدخل فى دين الإسلام فماذا تقول يا ولدى فقال له السمع والطاعة ثم أن إبليس صنع ذلك الصنم وصار به إلى رأس الغول كما وصفنا

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فإن الحراس دخلوا عليه وأعلموه بامتناع الشيخ عن الأكل وكيف قال من المقال وكيف أنه سار فلم يجدوه فقال لهم ربما يكون هذا الشيخ من أعوان هذا الرب الذى جاءنا ثم أنه قام من وقته وساعته ودخل على زوجته وكان إسمها شامخة بنت الذباح وكان اللعين يسمع لقولها ويصغى لكل كلامها ثم أنه أخبرها بالقصة من أولها إلى آخرها فقالت له زوجته دعك من هذا كله واطلب القتال ولا تتأخر عنه ساعة واحدة ولكن خذ إلهك معك واهجم عليهم بجنودك وكامل عشيرتك واعلم أن إلهك يجيبك وهو وعدك بالنصر على أعدائك .

(قال الراوى) ونزل عدو الله بجيوشه فملأ الأرض فلما رأى المسلمون ذلك قالوا يا رسول الله أن عدو الله يريد الحرب بجيوشه وما لنا بهم من طاقة لأنهم

جنود كثيرة وكان ذلك كله خارج الحصن فى وسيع الوادى الرابع هذا وقد حصل
للمسلمين فزعاً عظيماً وهم ينصبون فى خيامهم إلى أن أقبل الليل بالاعتكار ودام
الديوم وظهرت النجوم فقال الوزير عبد الله وقد أحضر عبده وكان من الخواص
عنده وكان صاحب سره ومطيع أمره وحافظ ماله وكان الوزير يعلم بإسلامه وكان
إسمه المبارك فقال له يا مبارك إعلم أنه قد بان لى الحق من الباطل وإنى أسلمت
إسلاماً صحيحاً وإنى أعلم منك بالإسلام فانهض من وقتك وساعتك إلى النبى ﷺ
واقرأه منى السلام واعطيه هذه السرة وهى ألف مثقال من الذهب وخمسمائة أوقية
من الفضة فأوصلها إليه وقل له يقرأ سلامنا على كل العساكر والرجال وقل له
لا تخف ولا تحزن فإن الجيش الذى مع عدو الله أكثره نساء وكهول وعبيد
وأولاد لأن فرسانه قد فنيت وأبطاله قد محيت فإذا طلبوا البراز فابرزوا إليهم
بالرجال ولا تهابوهم وأعلم رسول الله بالذى أتى إلى رأس الغول وزعم أنه رجل
من نجد ومعه صنما مصنوعاً وها هو أخذه معه فى هودجه الذى أتى به لأجل أن
يقاتلكم وهو معه لأجل أن ينصره عليكم وقد قال له أن إله السماء طلب الرب فراش
أن يتحدث معه فقد كذب والله فى مقالته وأعلمه يا مبارك بكل ما قد جرى قال
له السمع والطاعه ثم أنه قام من وقته وساعته وركب ناقته وقبل يد سيده الوزير
وسار إلى عسكر المسلمين وإذا بهم سألوه من أين أنت ومن أين أقبلت وإلى أين
تريد فقال لهم أريد النبى ﷺ وإنى من عند عبد الله الوزير فلما سمعوا منه ذلك
خلوا سبيله فسار إلى أن وصل إلى النبى ﷺ وقبل يده وقال له السلام عليك
يا رسول الله أن الوزير أرسلنى إليك بهذه الهدية وهو يسلم عليك ويقول لك كذا
وكذا وقد قال له على كل ما أخبره به الوزير من أوله إلى آخره هذا وقد أمر
النبى ﷺ بإحضار أصحابه فحضروا جميعاً وأخذوا المال من العبد وفرقوه على
بعضهم البعض (قال الراوى) ثم أن النبى ﷺ قال إنى عزمت أن أفرق المسلمين
ثلاثة فرق فإذا طلعت الشمس أحمل بمن معى من المسلمين وننهزم أمامهم قليلا فإذا
رأونا على ذلك يطمعوا فينا ويقصدوا إلينا فإذا رأينا ذلك نرد عليهم ويكون قد
خرج عليهم القسم الثانى فبذلك يكونوا فى أواسطنا وإذا هرب منهم أحد من
القتال يدركه القسم الثالث على الرماح الطوال ثم أن النبى ﷺ قال لا بد لنا بذلك
أن نقتلهم عن آخرهم إن شاء الله تعالى ثم أن عمرو بن معدى كرب الزبيدى يأخذ
معه عشرة آلاف فارس ويسير بهم إلى ميمنة الخيل فى أواخر الوادى ويمكث
بهم هناك فإذا سمعت ضرب السيوف فاخرج إلينا بمن معك فقال سمعاً وطاعة لله

ولك يا رسول الله ثم أن عمرو أخذ أصحابه وسار كما أمره النبي ﷺ ثم قال أين علي بن أبي طالب قال لبيك يا رسول الله قال خذ معك عشرة آلاف وامض بهم إلى وسط الجبل واكمن بهم هناك فإذا ضرب النفير فاخرج إلينا بمن معك فقال السمع والطاعة لله ولك يا رسول الله ثم قال أين المقداد بن الأسود فأجابه بالتلبية فأعطاه عشرة آلاف وقال له سر خلف الجبل من جهة اليسار وإذا سمعت النفير فاخرج إلينا بمن معك فقال السمع والطاعة ثم أن النبي ﷺ رتبهم مثل ما يريد وكان ذلك ليلا ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمر النبي ﷺ بالركوب فركبوا واصطفوا صفاً واحداً هذا ولما أن رأى رأس الغول ذلك أمر عساكره بالركوب ووضعوا الصنم في هودج عالي ولبسوه الديباج والحرير ونادى يا معاشر الرجال إن إلهكم قد خرج معكم إلى قتال المسلمين وأنا ناصركم عليهم فاصدقوا في حملتكم (قال الراوي) فلما سمعوا ذلك الكلام قاموا وركبوا خيولهم ووقفوا صفاً واحداً وظنوا أن الصنم معهم يقاتل وينفعهم كما زعم رأس الغول هذا وقد حملوا حمله واحدة فالتقت الطائفتان وتقاتل الفريقان واشتد الزحام وكثر الصدام وقل الكلام ودارت رحاب الحرب واشتد بالناس الكرب واشتعلت نار الحرب وقوى الطعن والضرب وأسقوا بعضهم كاسات العطب وتوقد الحر هذا وقد أشار النبي ﷺ إلى عساكر الإسلام فانهزموا كما أمرهم النبي بالأمس وطلبوا لأنفسهم النجاة (قال الراوي) فلما رأى رأس الغول هزيمتهم صاح في قومه بأعلى صوته وقال يا رجال إن إلهكم الرب فراش قد نصركم على أعدائكم وإنهم ببركته انكسروا وولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار والحقوا ضيقوا عليهم واقتلوهم عن آخرهم ثم أن اللعين حمل في أوائل وطلبوا المنهزمين حتى صاروا من ورائهم وقد تيقن الكفار بالنصر فعند ذلك أمر النبي ﷺ بضرب النفير فضربوه فخرج عمرو بن معدى كرب الزبيدى ومن معه من جهة الميمنة وخرج المقداد بن الأسود وراءه وأقبل الإمام علي في الوسط وخالد بن الوليد في الميسرة وكل منهم بمن معه هذا وقد احتاطوا بالمشركين من كل جانب ووضعوا السيف فيهم من كل الجهات فما كان إلا لمحة عين حتى أفنوهم عن آخرهم وما نجى منهم إلا من كان جواده سابقاً أو عمره باقياً وقد وقعت عليهم الكسرة وجاءت للإسلام من ربهم النصرة وولى الأدبار رأس الغول وولد دعامة وركنوا إلى الفرار وما أخذوا معهم شيئاً خلاف الصنم هذا وقد لموا المسلمون الأسلاب والخيول والأموال وكانت غنيمة عظيمة لها قدر وقيمة ورجع المسلمين إلى الوادي وهم يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر اللعين راس الغول إنه لما انهزم هو وما بقى معه من قومه وولده دعامة وقد ملك المسلمون الوادى الرابع فسار عدو الله إلى الوادى الخامس وهو لا يصدق بالنجاه وقد اجتمع عليه أصحاب ذلك الوادى واجتمع عليه أبطال ورجال وخلع عليهم الخلع وفرق عليهم الأموال ثم استخلف ولده دعامة على الرجال ودخل اللعين على زوجته وشكا لها حاله وبكى بين يديها فرق قلبها عليه وبكت على بكائه وكان لها بنت يقال لها الزلفا وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت محبوبة عند أبيها أكثر من أولاده جميعاً وكانت ذات فصاحة وفطانة وكانت إذا برزت إلى الميدان لم يقهرها أحد من الفرسان وكان قد خطبوها جميع الملوك من أبيها وبذلوا فيها الأموال فأرسل إليهم أبوها وقال لهم إن كل من جاء إليها وتقاتل معها وقهرها فى الحرب فهى له زوجة فتجارت الملوك إليها وكان كل من برز إليها فى الميدان قهرته وفى الحرب غلبته وكانت قد فعلت تلك الفعال مع مائة وتسعين فارساً من أولاد الملوك فشاعت أخبارها فى جميع القرى بما فعلت فلم يقدر أحد أن يأتى إليها ويخطبها من أبيها هذا ولما دخل والدها وقد شكا من محمد وأصحابه وقال يابنتى محمد أخذ أولادى الثلاثة وهم إخوتك وأدخلهم فى دينه وهم كل يوم يبرزون إلى الميدان ويقتلون كل من يبرز من رجالنا (قال الراوى) فلما سمعت الزلفا من أبيها ذلك قالت له ياأبى أما ما ذكرت من إخوتى فإنهم ذو عقل شديد ورأى سديد ولولا أنهم ظهر لهم الحق وبان لهم الصدق ما كانوا اتبعوا محمداً قط لأنى إخوتى ماهم من الرجال التى تؤثر فيهم الأسحار فإن أطعتنى يا أبى فادخل فى دين محمد ونصالحه ونأخذه لنا صديقاً وتحفظ أموالك وأولادك وبلادك وترك عبادة الأصنام وتتبع عبادة الملك العلام فإن فعلت ذلك كان هذا خيراً لك مما أنت فيه من هذا العناد وأمور الفساد (قال الراوى) فلما سمع اللعين عدو الله من إبنته ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وقال لها وأنت الأخرى رضيتى بدين محمد وأغضبت الرب فراش وأنا أخاف من غضبه عليك فقالت له ياأبى وحياة رأسك لو كان له سر لمنع نفسه من الذى سرقه وكان سخط الذى ينقله من مكان إلى مكان (قال الراوى) فلما سمع رأس الغول من إبنته ذلك الأمر المهول كبر لديه وصعب عليه ولطمها على وجهها وسحب سيفه وأراد أن يقتلها فهربت من بين يديه وراحت غاضبة عليه وقد أحدق بها جواريها وسألوها عن أمرها فقالت انصرفوا عنى فقد أصابنى من الأمراض مرض عظيم ثم أنها تركتهم وسارت إلى مخدع لها ودعت بعبد لها يقال له صادم وكان كاتم سرها وقالت له ياصادم هل لك

أن تقضيني حاجتي وبعد ذلك أنت حر لوجه الله تعالى الكريم ولك مني ألف دينار فقال لها السمع والطاعة فقالت له انطلق من وقتك وساعتك إلى مرة سيد بني عوف واعطه هذا الكتاب واتني برد الجواب فقال لها السمع والطاعة وأخذ منها الكتاب وسار العبد كما أمرته هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر رأس الغول فإنه بعد أن لطم إبنته على وجهها تركها وسار وهو فى شدة الغضب وما أحد يستطيع أن يكلمه وخرج من المكان وهو لا يبدى لأحد كلاماً إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وهو كاظم لايتكلم هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العبد صادم فإنه ما زال سائراً وقد جد فى سيره ليلا ونهاراً حتى وصل إلى حى بنى عوف فوجد مرة جالساً على سرير مملكته ويشوى على النار لحم أسد لأنه كان اقتنص أسداً وذبحه وجعل يشويه هو وخواص دولته ولما أن قدم العبد إلى مرة قبل يده وقال له يا سيدى لى إليك حاجة وأريد أن تسير معى إلى بعيد وتقضيني إياها فعندها قال مرة وقد تعجب السمع والطاعة ثم قام من بين دولته من تلك الساعة وتباعد هو وإياه عنهم وأخرج له الكتاب وأعطاه إياه ففضه وقرأه وكان فيه من عند الملكة الزلفا إلى بين يدى الأمير مرة الذى كان قد خطبني من أبى فاعلم أنى أنا مغرمة بحبك كما أنت مغرم بحبي وأنا قد جرى لى مع أبى مشاجره من أجلك وقد منعني عنك وإنى أريد أن تأتى إلى ليلا وتأخذنى وتسير إلى بلادك ونعيش مع بعضنا باقى الأيام وقد أعلمتك فأسرع لى برد الجواب واعلم أننا مقيمون فى الوادى الخامس من أودية رأس الغول لأن الوادى الرابع ملكه محمد (قال الراوى) فلما سمع ذلك الجواب تهلل وجهه بالنور وازداد فرحاً وسروراً وأعطى للعبد مائة دينار وقال له سر إلى مولاتك وأخبرها بأنى سائر على أثرك فى ليلتى هذه فسار العبد وجد فى المسير إلى أن وصل إلى سيدته وأخبرها بقدوم مرة ففرحت بذلك وقعدت فى انتظاره وكانت تلك الليلة شديدة البرد والظلام هذا ما كان من أمر الزلفا (قال الراوى) وأما ما كان من أمر مرة فإنه بعد أن أكل الأسد هو ودولته وشربوا من الخمور بحسب كفايتهم ومازال يحادث أصحابه إلى أن أخذوا راحتهم وقاموا إلى مواضعهم ثم أنه دعى بعبد له يقال له فلاح فأجابه بالتلبية فقال له يا فلاح ائتنى بجوادى فأتى به إليه فركب مرة الجواد وسار بعد أن لبس عدة الحرب والجلاد وقال لعبده ائتنى بهودج وشده على ناقة جيدة فأحضر له ما طلب وسار هو والعبد والناقة إلى أن توسط الطريق فقال مرة لعبده ارجع إلى مكانك إلى أن أدعو إليك ولا تخبر أحداً بخبرى فقال له السمع والطاعة ؟

رجع العبد من تلك الساعة وسار مرة فى البر بمفرده إلى أن قارب وادى الزهرة وقد أدخل الناقة فى مغارة وعقلها بعد أن أناخها وربط الجواد وسار ليلا وجعل يتخطى الخيام حتى وصل إلى خيمة الزلفا وكانت منفردة وحدها من حين جرى ذلك الأمر فلما أن صار فى باب الخيمة أخذ من الأرض حصاة ورماها بها فوقعت الحصاة على جارية من جواريها فانتبهت وقالت يامولاتى أنت رميتينى بهذه الحصاة فعرفت المعنى فقالت لها نعم أنا الذى رميتك بالحصاه أما تعلمى أنى مريضة مما فعل معى أبى وأنت تنامى وتشخرى فقلقتينى فلأجل ذلك ضربتك بهذه الحصاة فقومى الآن ونامى بعيداً عنى لأنى أريد أن أنام إلى خارج الخيمة وأشم الهوى فقامت الجاريه ونامت كما أمرتها هذا والزلفا قد خرجت من الخيمة فوجدت مرة بن كعب سيد بنى عوف واقعاً فى انتظارها فسلمت عليه وقالت له سر بنا فقال لها السمع والطاعة ثم أنها لبست درعاً ضيقاً من تحت أثوابها وتقلدت بسيفها وتعممت بعمامة مليحة وأخذت عدة حرب كاملة وركبت جوادها وسارت مع مرة من وقتها وساعتها وسارت هى ومرة حتى قطعوا مسافة طويلة وقد وصلوا إلى المغارة التى فيها الهودج فنزلوا فى جانب ماء سائل من عيون الجبال فجلسوا هناك فأكلوا وشربوا فقالت يا مرة هل بلغك ما فعل محمد بن عبدالله من قتل رجالنا ونهب أموالنا وأخذ أرضنا وبلادنا فقال بلغنى ولكن هذا من السحر المبين فقالت له يامرة أريد أن أشاورك بأمر خطر ببالى فإن كان فيه صواب فعلناه وإن كان فيه خطأ تركناه فقال لها وما يكون ذلك الأمر فقالت له قد بان لى أن محمد بن عبد الله على الحق ودينه هو الصدق وما نحن فيه هو الباطل ولو كان الحق معنا ما كانوا إخوتى أسلموا واتبعوا هذا النبى الكريم وأنا مرادى أن أتبع دينه وأسلم أنا وأنت على يديه وهوا لذى يزوجنا إلى بعضنا وهذا ما خطر ببالى فما أنت قائل (قال الراوى) فلما تحققت ضد ذلك قالت له تباً لك من شجاع لأنه لما سمع ذلك منها غضب غضباً شديداً ماعليه من مزيد وقال لها وحق الرب فراش لولا أنى مسلوب بحبك وقتيل هواك لقتلتك فى هذه الساعة فلما تحققت ذلك قالت له فوحق الرب فراش إنك لقوى فى دينك وما فعلت هذه الفعال وتكلمت بهذا المقال إلا على سبيل الاحتيال لأن قصدى أمتحنك وأنظر كلامك فوجدتك على الحق وهذا شأن الفروسية ثم أنها صارت تخادعه فى الكلام حتى احتوت على قلبه وأخذت سمعه وبصره ولبه وقد انهبل بحسنها وجمالها وزال عنه ما كان قد اعتراه من مقالها فلما فاض به العشق وتطور حاله قام إلى جواده وأخرج من تحت ركابه خمراً كان معه فشرب وعرض على الزلفا فقالت

له ياحبيبى أنا لا أشرب لأنى أخاف إذا سكرنا نحن الإثنان فيدهمونا الخيل والرجال فقال لها إنى أريد أن أشرب الخمر معك وأدخل عليك فى هذه المغاره لأن قلبى قد انكوى بالنار وما بقى لى جلد ولا اصطبار فضحكت وقالت له نحن من ديارك قريبون والأيام بيننا كثيرة وهاأنا لك على طول الشهور والسنين وكان ذلك الكلام عند مرة ألذ من شراب المدام ومازالت الزلفا تخادعه وتحادثه إلى أن غلب عليه النوم فنام وهو سكران فقامت إليه وجردت سيفاً وضربته على عاتقه طلع يلمع من علائقه وكان هناك حفرة فألقته فيها بعد أن أخذت ما عليه وسارت إلى الناقة فأخذتها وركبت جوادها وسارت طالبة عسكر الإسلام هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فإنه لما ضرب إبنته وفاق بعد ذلك من غشوته قال فى نفسه لابد أن الزلفا صعب عليها الذى فعلته معها ثم أنه نهض من وقته وساعته إلى زوجته وقال لها إنى أخاف من الزلفا أن تكون قد أخذت على خاطرها منى فتمضى إلى أخواتها وتسلم وتحاربنى مع المسلمين فامضى الآن إليها وحذى بخاطرها عنى فقالت له السمع والطاعة ثم أنها قامت إلى خيمتها ودخلت عليها فما وجدتها فسألت الجوارى عنها فما أحد أعطاها خبرها وقالوا لانعلم بحالها فرجعت أمها صارخة وأخبرت أباها بما قد تدبر فلطم على وجهه حتى أغشى عليه وخرج من ساعته وأرسل أربعة من النجابين يكشفون خبر الزلفا وجعل كل واحد على طريق وأرسل على أثرهم ألف فارس وانتظر ما يأتى من الأخبار هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الزلفا فإنها كانت سائرة فى البر وإذا هى بالفارس الاول الذى أرسله أبوها فلما رأته قاطعت عليه وقالت له من أنت أيها الفارس وإلى أين أنت سائر فقال لها أنا من رجال رأس الغول وإنى سائر فى طلب إبنته الزلفا لأنها هربت وأنت من تكون من الفرسان فقالت له أنا الزلفا بنت رأس الغول وسائرة إلى محمد ﷺ ابن عبد الله وهو أشرف العرب والعجم فقال لها وقد غضب من كلامها ياويلك تتركى دينك ودين آبائك وأجدادك فإن أطعتينى ارجعى إلى أبيك وأنا أشفع لك عنده ولا آخذك قهراً فما صبرت الزلفا أن يتم كلامه حتى ضربته بالحسام على هامته أرمت رأسه وتركته وسارت وإذا بفارس آخر خرج عليها ففعلت به مثل الأول وكذلك الثالث والرابع ولم تزل حتى قتلت الأربعة وإذا هى بغبرة قد أقبلت وإلى نحوها تبادرت وقد عرفوا أهل الغبرة أن هذه هى الزلفا لما أن رأوا النجابين مقتولين وكانت هذه الغبرة هى الألف فارس الذى أرسلهم رأس الغول وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الهياف فقال لهم دعونى أنا لها ثم أنه انحدر إليها

وطلبها فضربته من غير كلام أطاحت رأسه عن الهام هذا ولما أن نظر القوم إلى ذلك حملوا على الزلفا من كل جانب ومكان فقال رجل منهم يا رجال أما تخشون العار وتحملوا كلكم على فارس واحد دعونى أخرج إليه أكفيكم شره وأعود إليكم فما تم الكلام حتى طارت رأسه فازدادوا غضباً وبادر إليها الأقوام من كل جانب ومكان لحملت فيهم بعفر دها قدر ساعه وقد كلت سواعدها وأيقنت بالهلاك (قال الراوى) فلما رأت الزلفا ذلك رفعت وجهها إلى السماء وقالت اللهم يارب محمد أسالك بحقه عليك أنت تعلم أنى تركت دين آبائى وأجدادى وسرت إلى دين محمد ﷺ فإن كان دينه على الحق فلا تبغضنى فيه وانصرنى اللهم على أعداء الدين وهؤلاء القوم المشركين وهب لى اللهم حسن اليقين لأنى أريد أن أسير إلى هذا النبي الأمين وأسلم على يديه وأسلم أمرى إليك يارب العالمين (قال الراوى) وهو ابن عباس فوحق محمد ﷺ ماتم دعاؤه حتى عرجت إليها الملائكة ونزلوا لها من السماء فى صفة الرجال بإذن الملك المتعال وعليهم ثياب من السندس الأخضر وقد أحاطوا بالكفار من جميع الجهات فكان الملك يضرب الفارس فيغور فى الأرض ومنهم من يرفعه الملك على يديه ويصعد به إلى الجو الأعلى ويرميه إلى الأرض فيجعله هو وجواده قطعاً ومازالوا بهم كذلك إلى أن أهلكوهم عن آخرهم (قال الراوى) فلما نظرت الزلفا إلى ذلك زاد إيمانها وعلمت أن الله واحداً أحد فرد صمد وثبت يقينها ولم تزل الزلفا سائرة إلى أن قاربت عساكر المسلمين وإذا بها رأت فارسين مقبلين من جوف الوادى وهما يطردان وحشاً من الغزال فلما رأت ذلك أطلقت عنان جوادها وطارت وراء الوحش وضربته بحربة فى جنبه فوقع على الأرض فسارت إليه وذبحته وأوقدت النيران وشوحته وقدمته للفارسين وقالت لهما كلوا ياوجوه العرب فتعجبوا منها غاية العجب وقالوا لها من أنت يا فارس العرب فأخبرنا بالحسب والنسب واكشف لنا عن لثامك حتى نعرف قدرك ونرفع شأنك (قال الراوى) فكشفت الزلفا عن وجهها وشالت اللثام عن جبينها فرأوها كالهلال تبارك ربى ذو الجلال فصاحوا بأعلى صوت أختنا ورب الكعبة ثم قاموا إليها وسلموا عليها وقالوا لها ماسبب قدومك فأخبرتهم بما جرى وكيف قتلت مرة والملائكة التى نزلوا لها من السماء وماحدث لها فى طريقها وإنها أرادت الإسلام على يد النبي ﷺ (قال الراوى) فلما سمعوا منها ذلك الكلام وهما المقلقل وعرفجة هللوا وكبروا وأخذوها وساروا بها إلى النبي ﷺ (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من العين رأس الغول فإنه أقام ينتظر أمر القصاد الذين أرسلهم يكشفوا أخبار إبنته الزلفا فما أحد أخبره بخبر ولا أثر فبينما هو كذلك

وإذا بالوزير دخل عليه وقال له أيها الملك السعيد ماذا جرى من أمر الزلفا والرجال الذين أرسلتهم إليها فقال له ياوزير الزمان ما أحد أتانى منهم بخبر ولا أثر فقال له الوزير وقد أراد بذلك هلاك سلطانه فاعلم أن إبنتك دخلت إلى البدر التمام وتركت عبادة الأصنام وقد أهلكت الرجال الذين أرسلتهم إليها عن آخرهم بمفردها فإن أردت أن تلحقها فاركب فى جيوشك وأقرانك فإنها إلى الآن ما وصلت إلى المسلمين لأنها تعوقت فى القتال مع الفرسان الذين أرسلتهم إليها (قال الراوى) فلما سمع اللعين ذلك الكلام غشى عليه ساعة وأفاق بعد ذلك وصرخ على قومه بالركوب فركب عشرة آلاف فارس وكان المقدم عليهم رجلا يقال له القتال بن النمر وكان فارسا شديداً وبطلا صنديداً وكان الوزير عنده عبد مسلم وكان حاضراً ذلك الأمر فلما خرج الوزير من عند رأس الغول قال له لماذا فعلت هذه الفعال ودعوتهم بالركوب على الإسلام فقال له اعلم أنى ما دعوتهم إلا لانقطاع آثارهم لأن النبى ﷺ منصور بالتأييد من الملك المجيد الفعال لما يريد (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الزلفا فإنها هى وإخوتها ساروا كما ذكرنا إلى أن طلع عليهم الحر وتوقد البر وأرادوا النزول هناك لأجل الراحة وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان عن اللعين القتال وصحبته عشرة آلاف فارس فقالت الزلفا لإخوتها الخيل قد دهمتنا فاركبوا خيولكم قبل أن يلحقوا بكم فركبوا خيولهم هذا وقد أقبل عليهم رجل وقال لهم حييتكم الأصنام فقال له مقلقل علت عليك الأمراض والأسقام وحلت بك الآلام وتبرأ منك الملك العلام يا كلاب يا عباد الأصنام (قال الراوى) فقال ذلك الرجل كأنكم من أصحاب محمد فقالوا إنه نعم من أصحاب محمد وحزبه وجنوده ونشهد أن لا إله غيره فلما سمع القتال منهم ذلك غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وقال خذوهم على أطراف الرماح فأرادوا أن يحملوا عليهم حملة واحدة فقال رجل منهم هذا عار عليكم كيف تحملون وأنتم عشرة آلاف على ثلاث فوارس ومالنا إلا أن نبارزهم فقال القتال هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم خرج إليهم فارساً فبرز إلى الميدان فخرج إليه المقلقل فقتله وجندله والرابع ولم يزل المقلقل يضرب كل من خرج إليه حتى قتل منهم خمسة وتسعين فارساً فتأخروا المشركون إلى ورائهم فقال لهم القتال مالكم تأخرتم عن القتال مع هذا الفارس فقالوا مالنا عليه من طاقه فقال لهم الان يخرج إليه منكم الف فارس ويحملون عليهم حملة صادقة ففى عاجل الحال خرج اليهم الف فارس وطلبوهم فقالت الزلفا بحق محمد يا اخى اتركنى انا اخرج اليهم فقال لها السمع والطاعة انزلى اليهم لانك

اقسمت على بقسم عظيم وهو حبيب القلوب الصافية وخليل علام السر والعلانية وانت الغالبة عليهم إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فتقدمت الزلفا إليهم واشارت برمحها عليهم وتمايلت فى سرجها عجباً وترنمت بهذه الابيات طرباً وجعلت تقول:

تمنيت هذا اليوم حتى لقيته	وقد كنت قبل الآن خلف حجابى
ساسقيكموا كأس المنية عاجلا	واجعل من دم الرجال خضابى
وادخل فى الهيجاء حقاً وابذل	فى نصرة النبى الهاشمى شبابى
وإنى الآن حقاً على دينه	لأجل ان يكون شفيعى فى حسابى

(قال الراوى) ثم انها بعد ذلك حملت على الالف فارس الذين خرجوا إليها وغاصت فيهم وقتلت رجالهم وابطالهم فانهزموا بين ايديها وقد افنت اكثر من نصفهم وما زالوا فى هزيمتهم إلى ان وصلوا إلى قومهم فلما رآهم اللعين القتال قال لهم ويلكم قد فزعتم من فارس واحد وهذه الحالة حالتكم وبأى وجه تقابلون الملك ثم انه وبخهم على فعالهم وإذا بفارس من رجاله قام على اقدامه وقال انا ابرز إليه واكفيكم شره لانكم تعرفون همتى ولا تنكرون شجاعتى ثم هز جواده وصار إلى حومة الميدان وصاح على الزلفا واخذ معها فى الجولان فصاحت عليه وضربته بسنان الرمح فى صدره اخرجته يلمع من ظهره وكان لهذا اللعين اخ اشد منه واقوى فخرج إليها فجندلته ولم تزل تقتل كل من برز إليها حتى قتلت منهم تسعين فارساً وطلبت البراز وقد اعطاها الله القوة فلم يبرز إليها أحد وتأخرت عنها الفرسان فجعلت تنشد هذه الابيات

إن هذا اليــــوم يوم طويل	وهلال السيف الاعدا غويل
وإنى لم ازل ارمى الفوارس	واقمح الاجسام عرضاً وطول
واقول ان لا رب غيره	وما ســـواه من الاباطيل
واكبر ربى واشهد انه	واحد احد ومحمد نبيه ورسوله
واصيح حقـــاً بكل تحية	واهلل واكبر بكثرة التهليل

(قال الراوى) ثم نادى بأعلا صوت يا اصحاب الزور والبهتان وعباد الاصنام والاوثان وحزب الشيطان خمدت والله نيرانكم وذل والله سلطانكم فهل فيكم من يبرز لى حتى اسقيه كاس الموت جرعاً واجعله مقطعاً بسيفى قطعاً (قال الراوى) فلما سمع اللعين منها ذلك الكلام كفر وتجبر وتمرد وقال لاصحابه كونوا متفرقين ثلاث فرق وكل فرقة تحمل على واحد من هؤلاء الشجعان ففعلوا ذلك فأما مقلقل فإنه حمل على فرقة ثلاث آلاف فارس وغاص فيهم وقتـــل منهم رجالا وابطالا وهو يصيح الله اكبر ولم يزل فيهم إلى ان كبا به الجواد وعثر فى رؤس القتلا

وذلك بما حل بالجواد من التعب الزائد فأخذوه وشدوه كتافاً وكشفوا عن وجهه اللثام فعرفوه وصاحوا كلهم وحق الرب فراش هذا مقلقل ابن ملكنا وبعد ان ملكوه كانت فرقة عرفجة ثلاثة آلاف تكاثروا عليه وقبضوه هو الآخر وشدوه كتافاً وتعاونوا جميعهم على الزلفا فحملت عليهم واسقتهم طعنات وضرباً فتقدم إليها القتال وطعنها طعنة فراغت منها واسقته اختها فأراد ان يزوغ عنها فجاءت في جنبه الأيمن فخرجت من الأيسر وعجل الله بروحه إلى النار فوقع قتيلا وفي دماه جزيل هذا ولما ان رأت الرجال ذلك تصايحوا على بعضهم البعض وقال عرقبوا جوادها فعرقبوه فوقعت إلى الأرض فقبضوها واوثقوها كتافاً وكشفوا الزردية عن وجهها فعرفوها وقالوا هذه الزلفا بنت ملكنا وقد ملكنا الرب فراش فيها هي وإخوتها والآن نسير بهم إلى ملكنا وبقى لنا الراية البيضاء عنده ثم انهم اركبوها على خيولهم بالعرض وارادوا ان يسيروا إلى جهة راس الغول وإذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وبان الغبار عن خيول وفرسان وشجعان وفي اوائلهم بطل من الأبطال غارق في الحديد وهو ينادي ويقول حلوا عنهم يا حزب الشيطان قد اتاكم الموت النازل والبلاء الهائل الليث الغالب والفارس الذي لم يوجد مثله في المشارق والمغارب ليث بني غالب علي بن ابي طالب فلما سمعوا ذلك بهتوا واندهشوا ونظروا إلى ذلك القايل فإذا به علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود الكندي والفضل بن العباس وعمار بن ياسر وسعيد بن أبي وقاص والعباس بن مرداس السلمي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي وعبد الله التيمي ومعهم جماعة من المسلمين ثم أنهم حملوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم وأسروا بعضهم وما نجا منهم أحد وخلصوا الثلاثة وهي الزلفا ومقلقل وعرفجة وقد أخذوا مالهم وسلاحهم وخيولهم (قال الراوي) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الإمام علي فإنه سلم على الزلفا فردت عليه السلام وقبلت ركابه وقبل الإمام رأسها وساروا الجميع إلى النبي ﷺ وتقدم الإمام علي ووقف الثلاثة بين يدي النبي ﷺ فسأل الزلفا عن الإسلام فقالت يا رسول الله أنا قائلة على يدك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ففرح النبي ﷺ بإسلامها ثم أن النبي ﷺ قال لها ما سبب إسلامك يا زلفا فقالت له لأي شيء تسأل عن هذا يا رسول الله وإنما هداية رب العالمين فقال لها يازلفا اعلمي أن الله سبحانه وتعالى أخبرني عن لسان أخي جبريل أن سبب إسلامك لطمة وجهك فاشكري إله السماء على الإسلام فقالت الزلفا الحمد لله الذي أنقذني من الضلال والكفر والمحال

وهدانى إلى دين النبى المفضال (قال الراوى) ثم أن الزلفا قالت يارسول الله أنى قد جرى لى من الأمر ماهو كذا وكذا ثم أنها أخبرته بكل ماجرى لها ولكن يارسول الله إنى متعجبة فى أمر واحد وهو أن الإمام على ومن معه أدركونى وأنا مع التمام أنا وإخوتى ماسورين وأنا قد زاد عجبى فى ذلك ولم أعلم ما السبب فقال لها النبى ﷺ إعلمى أن السبب فى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى وأعلمنى بالعساكر الذين أرسلهم خلفك وقال لى على ما وقع لك وعلى ما عانيتى من الأهوال وأمرنى ربى أن أرسل ابن عمى إليكى ففعلت كما أمرنى ربى فساروا إليكم وخلصوكم من أيدى المشركين فلما سمعت الزلفا ذلك حمدت الله سبحانه وتعالى هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فإنه لما أرسل العساكر مع القتال كما وصفنا وتأخر خبرهم تقدم إليه ولده دعامة وقال له يا أبى إلى متى هذا التأخير وكأنك ما أرسلت هذه الرجال إلا لضرب أعناقهم ولو كان وقع لهم نصر لكانوا أتوا إلينا فاركب فى جيوشك وأبطالك وسر بنا إلى المسلمين نهجم عليهم هجمة واحدة ونبذل الجهد فيهم ولا نبالى فقال والده هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أن اللعين رأس الغول أمر رجاله أن يتجهزوا للركوب فركبوا وساروا إلى أن توسطوا المرج ونزلوا فى وادى الزهور وهو الخامس من الأودية ونصبوا خيامهم وكان ذلك وقت اصفرار الشمس هذا وقد أقبل الليل بالاعتكار وولى النهار وقد قال النبى ﷺ لعمرو ابن أمية الضمرى يا عمرو خذ لك خمسين فارساً وتولوا الحرس فى هذه الليلة فقال عمرو السمع والطاعة ثم أخذهم وسار إلى أن مضى من الليل ثلثه وإذا بعمرو قال لأصحابه إنى أريد أن نكبس حرس المشركين ونغنيهم لأن المشركين كانوا أيضاً أخرجوا لهم حراساً فقالوا له ها نحن بين يديك فافعل ما تريد ثم أن عمرو بن أمية سار بالرجال إلى ان توسط القوم وإذا بهم خرجوا عليهم مثل الجراد المنتشر فلم يشعر الفارس منهم إلا وعشرة من المشركين قد أحاطوا به هذا وقد قبضوهم عن آخرهم وكثر الصياح فى العسكر وكان السبب فى ذلك الحراس الذين لرأس الغول قد أرسلوا واحد منهم يكشف خبر حراس المسلمين ويرى ماهم عليه معولين فمضى فى عرض البر إلى أن توسط الوادى وسار قليلا قليلا إلى أن اختلط بهم وكان لابساً مثلهم فما أحد منهم انكر عليه وقد دبر عمرو هذا التدبير وهو حاضر وصبر إلى أن ساروا وسبق هو وأعلمهم بما قد دبر فأخفوا أصواتهم وأوسعوا للقوم الطريق وصبروا إلى أن جاء عمروا إليهم وسار هو ومن معه فى أوسطهم فقاموا وقبضوا على الجميع كما ذكرنا ووقع الصياح هذا

كان السبب لما قدمنا (قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ هذا الصياح قال أظن أن عمرو أخذ من الحراس ثم أنه أمر عبدالله بن أنيس أن ينطلق إليهم ويكشف خبرهم فسار كما أمره النبى ﷺ ورأى عمروا وأصحابه جميعاً قد قبض عليهم المشركون فرجع إلى النبى ﷺ وهو مغموم وإذا به رأى رجلا فى طريقه من المشركين فأخذه فى يده من غير أن يكلمه وأتى به إلى النبى ﷺ وأوقفه بين يديه فقال له النبى ﷺ ما إسمك فقال إسمى صارم فقال له النبى ﷺ هل لك أن تسلم يا صارم لأجل أن يسلمك الله من عذاب النار فقال نعم يا رسول الله قد أجبتك إلى ذلك لأن الله أوقع حبك فى قلبى حين نظرت الك وهدانى ربى إلى الإسلام وأنا أقول على يدك قولا حقاً مخلصاً صدقاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ففرح النبى ﷺ بإسلامه وقال له يا صارم الآن قد وجب عليك نصرة إخوانك المسلمين وإنى أريد منك أن تسير إلى عساكر المشركين ولا تظهر إسلامك عليهم فإن وجدت لك طريقاً إلى خلاصهم فافعل وجزاك الله خيراً وإن لم تجد فامض إلى الوزير عبدالله واقرأه منى السلام وقل له أن النبى يأمرك أن تمضى إلى إخوانك المؤمنين لأنى أخاف يا صارم أن يقتلهم هذا اللعين رأس الغول فقال السمع والطاعة وسار من تلك الساعة (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فإن الحراس دخلوا عليه عند الصباح وأعرضوا عليه الأسارى وعمرو فى أوائلهم فعرفه اللعين من دونهم وقال له قبحت هذه الشيبة ياشيخ السوء يا رأس الفتن الآن بطل سحرك ووقعت فى أيدينا وحق الإله الذى أرسله لنا الرب فراش لأذيقك العذاب ثم صاح على بعض الخدام أن ينصب له خشبة لأجل أن يصلبه عليها ويرموه بالسهام وقال لهم اعلموا أن كل من اشار على منكم بتأخيره ساعة أرميت رقبته بهذا الحسام فقالوا له السمع والطاعة ثم أنهم صاروا ينصبون الأخشاب كما أمرهم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الأمير صارم فانه لما سار من عند النبى ﷺ لم يرى له خلاصاً فى فك الأسارى فسار إلى الوزير وأخبره بما جرى وما قال النبى ﷺ (قال الراوى) فلما سمع الوزير ذلك فرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال الحمد لله الذى ذكرنى على لسان سيد العرب والعجم ثم أنه نهض من وقته قائماً على الأقدام ودخل على الملك فوجده يريد أن يصلب عمرو بن أمية الضمرى وقد قال لرجاله انصبوا الأخشاب فلما دخل الوزير رحب به وأجلسه بجانبه وأعلمه بما جرى وكيف أقسم أن لا أحد يتعرض له فلما سمع الوزير منه ذلك الكلام أظهر الفرح والابتسام وقال له حييتك الأصنام ورضت عنك الأحجار والأوثان

وإنى أنا لا أتعرض لك فى ذلك ولا أراجعك فى فعلك غير أنى أجد أن التأخير فيه غاية الصلاح فلا تعجل أيها الملك لأنك إذا قتلت هذا الشيخ السوء أرحته من نفسه وأنا الرأى عندى أن تعقل كل من وقع فى قبضتك بالقيود ووكل بهم العبيد والرجال يحفظونهم بالليل والنهار وبعد ذلك تبعثهم إلى الوادى السادس فاذا نحن فرغنا من قتال محمد نجمع كل من نأسره من المسلمين لا نقتلهم ولا نصلبهم بل نقربهم قرباناً للاله والأصنام لأنك طول عمرك ماقربت لربك قرباناً من المسلمين (قال الراوى) فلما سمع عدو الله رأس الغول ذلك أعجبه غاية العجب وقال له عجباً لك من وزير وبالأمور خبير وظن عدو الله برأيه الفاسد أنه ناصح له ثم أنه دعا بالحجاب وقال لهم خذوا معكم مائه فارس وسيروا إلى الوادى السادس وهو وادى الزمهرير واحفظوا هؤلاء الأسارى ليلا ونهاراً فقالوا له السمع والطاعة وأرادوا أن يسيروا بهم من تلك الساعة فقال له الوزير من الرأى السديد أن نصبر إلى أن ينقضى ذلك النهار ونسير بهم فى الليل لأنى أخاف أن محمداً يكون له جواسيس فيوصلون إليه الأخبار فيركب فيمن معه من الرجال ويخلصهم بذلك منا (قال الراوى) فلما سمع عدو الله ذلك أعجبه وقال له إنك لوزير تصلح لتدبير الملوك هذا وقد أمر اللعين عدو الله بتأخيرهم إلى الليل وقال للحراس إذا مضى هذا النهار فسيروا بهم فى أوائل الليل فقالوا له السمع والطاعة واخذوهم ووضعوهم فى الخيام وجعلوا يحرسونهم هذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الوزير عبد الله فقد أحضر عبده وقال له خذ هذا الكتاب واعطه إلى النبى ﷺ فقال له السمع والطاعة وأخذ الكتاب وسار إلى النبى ﷺ وقبل يده الشريفة وأعطاه الكتاب فسلمه النبى ﷺ لبعض من الصحابة فقرده وقرأه وإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عند الوزير عبد الله الراجى عفو الله إلى حضرة سيد الأمم وشفيع المذنبين من العرب والعجم إعلم أنه قد جرى من الأمر ما هو كذا وكذا ودخل علينا صارم وأعلمناه بما قد قلت له وذهبت أنا يارسول الله إلى اللعين فرأيته قد نصب الاخشاب وأراد أن يصلب الأسارى فدبرت له على تأخيرهم فأعجبه تدبيرى وأمر بسيرهم إلى وادى الزمهرير خوفه منكم وقلت له أن لهم جواسيس وصبرته إلى الليل ومافعلت ذلك إلا خوفاً عليهم أن يمضوا بهم إلى الوادى السادس فلا تلحقوهم وقد أرسلت لك هذا الكتاب ترسل إليهم جماعة من عندك يربطون لهم فى الطريق ويكون سيرهم فى محل كذا وكذا حتى لا يشعر بهم الكفار وإذا طلعوا عليهم يأخذوا الأسارى منهم ولا يبقوا منهم أحداً وهذا ما عندى والسلام (قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ

ذلك حمد الله سبحانه وتعالى وأشار للعبد أين صارم قال أنه عند مولاى الوزير ثم أن النبي ﷺ قال أين على بن أبى طالب قال له لبيك ياقرة عينى قال له خذ معك مائتين من الرجال وخذ معك عبد الله بن أنيس وسر إلى إخوانك المسلمين فقال له الإمام السمع والطاعة ولكن يارسول الله أن هذا الطريق صعب المسالك وإذا سار فيها الرجال بغير خيولهم كان خيراً لهم فقال له النبي ﷺ افعلوا ما بدالكم نجح الله أحوالكم (قال الراوى) فسار الرجال مع الإمام وعبد الله يدلهم على الطريق إلى أن أوقفهم فى فم مضيق وإذا هى أرض وعرة كثيرة الشعاب مقفرة لا تسمع فيها إلا عوى الغيلان والذئاب وقعقعة الشياطين وصعصعة الجان هذا وقد خرجت عليهم الغيلان والشياطين وأرادوا أن يأخذوهم فى عاجل الحال فنهض الإمام وجرد سيفه ونزل طعناً وضرباً فى الوحوش والأسود وغيرهم فقال عمار بن ياسر والله العظيم رب موسى وعيسى وإبراهيم ما ظننا إلا أن السماء قد انطبقت على الأرض من تلك المضارب ومازال الإمام يقتل الأسد بعد الأسد حتى قتل مائة وتسعين أسداً وقد فعل أصحابه مثل فعاله ولله در النحل الذى معه فإنه أهلك بقرصاته ثلاثة وعشرين أسداً وكل من قرب للإمام من الشياطين وغيرهم أهلكه وهو ثابت على حاله ولكن تغيرت عقول بعض رجاله ولم يزالوا على ذلك حتى نظفوا الوادى مما فيه حتى هربت الجان منه (قال الراوى) ثم أن الإمام على تبطن فى الوادى بمن معه وأقام هناك إلى أن حميت الظهيرة وإذا بالجان تجمعوا عليهم من كل جانب ومكان وساروا يرمون عليهم النيران فقال الإمام لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لأنهم أجسام غير أجرام ثم أن الإمام هلل هو ومن معه من الرجال وأكثروا من قراءة القرآن وقرأ الإمام على رضى الله عنه (والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وقال للاسلام كونوا صفاً واحداً ثم أن الإمام أحاط بالجان وأجناده الإسلام وصار الجن فى أواسطهم والإسلام قد أحاطوا بهم لأنهم حبسوهم بالآية فما قدر أحد أن يهرب منهم ووضع الإمام السيف فيهم وجعل دمهم كالبحر الزاخر هذا وقد أفناهم الإمام وكانت عدتهم ستة آلاف جنى من العتاة وكلهم كافرون برب العالمين ولم يصب المسلمين منهم صائب لتحفظهم بكتاب الله تعالى واطمأنت بذلك قلوب الإسلام وقال الإمام صدق ربى لأنه قال فى محكم كتابه العزيز (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز) ثم أن الإمام على سار بالرجال وعبد الله بن أنيس يدلهم إلى وادى الزمهرير وهو الوادى السادس فقال عبد الله بن أنيس يا أمير المؤمنين انزل بنا هنا

هذه المغارة فانى أجدها واسعة وهى لنا نافعة ودعونا نمكن فيها إلى أن تأتى الينا الاسارى فنزلوا هناك فقال عبدالله يا ابن عم النبي إنى أريد أن أمضى إلى هذه الديار واستنشق عن بعض الأخبار واسألهم عن بعض من الطعام لأنى أراكم جائعين فقال له الإمام افعل مابدا لك يا عبد الله فقام عبد الله وقلع ماعليه من الملابس ولبس بعض خلق كان يدخرها لمثل هذه الأحوال وقوس ظهره وأخذ بيده عصاة وسار كأنه مخلوع لوسط وغمض عينيه وسار إلى أن وصل إلى خيام المشركين وطلب منهم الاحسان وهو ينادى ويقول أنا رجل كفيف البصر وينشد ويقول هذه الأبيات

أنا الفقير وقد جئت اسألكم ... ان الغريب أحوج الناس للصدقة
فارحموا فقيراً ضاقت مذاهبه ... لايطرق له اليوم باب ولا حلقه
قد فارق الأهل والأوطان منفردا ... دموعه فوق صحن الخد مندفقة
أتاكم يطلب اليوم فضل جودكم ... ويطلب الفضل والاحسان والشفقة
حياكم الهبل الأعلى بأجمعكم ... ياذا المكارم فى قلبي نار منطلقه

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره جعل يندب على قتلاهم ويفرج الهم عن مرنماهم ويدعو على محمد وأصحابه وهو يعنى بذلك عليهم وعلى ملكهم فبسبب ذلك رقت قلوبهم وأخرجوا له اللحم والخبز فكان شيئاً كثيراً فأخذه منهم وسار إلى أعلا صخرة عظيمة وهو يجر رجله فلايقدر وإذا بغبرة قد طلعت عليه فنزل من فوق الصخرة وكشف هذه الغبرة وإذا به رآها جمالا وبغال محملين ثماراً وطعاما متوجهين إلى رأس الغول فمضى عنهم وأخذ ما كان معه من الزاد وطلب الإمام علياً فى المغارة وأعطاه اللحم والخبز الذى أتى به وأخبره بخبر الغبره فركب الامام على وطلبها وعبد الله فى أثره مثل النسيم هذا وقد أقبل الامام على إلى مقدم تلك الغبرة وكان يقال له صلاح بن عاهد وقال له إلى أين أنتم سائرون فقالوا له إلى الملك رأس الغول فقال لهم الإمام حطوا مامعكم وانجوا بأنفسكم فلما سمع صلاح من الإمام ذلك الكلام قال له أرواحادونه فحمل عليهم الإمام على رضى الله عنه وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

أنا الإمام على فاعرفوا ضربى ... وابشروا كلكم بالذل والعطب
أين الفرار ومامن ملجأ أبدا ... ضيقت فى وجوهكم مستوسع الرحب
خلوا طعامكم وارموا سلاحكم ... فقد لقيتكموا يا أرزل العرب
لابد من قتلكم أيضا بجمعكم ... فان فى ذاك من قصدى ومطلبى
والله والله قد أفنى جيوشكموا ... وتبلغون ولكن ليس بالأرب

وإنى همام فارس فى الورى وأنتم ليس يخفى عنكموا حسبى
ثم الصلاه على المختار من مضر هو الحبيب محمد أشرف العرب

(قال الراوى) فلما فرغ الامام على من شعره حمل عليه صلاح فتلقاه الامام بضربة قبل أن يجول معه وكانت هذه الضربة هاشمية فوقع السيف على رأسه فشقها نصفين وحمل عليهم الامام كالسيل ولم يزل يقتل فيهم حتى أفناهم عن آخرهم وإذا بعبد الله بن انيس ساق الجمال والبغال بما عليها وسار بهم إلى المغارة وأخرج الامام المأكل والمشرب فأكل المسلمون وشربوا واطمأنت قلوبهم وما فرغوا من اكلهم حتى طلع عليهم الغبار وعلا وسد الأقطار وانكشف لهم الغبار بعد ساعة زمانية وإذا بالمشاعل تضوء والرجال بالأسارى قد أقبلوا فقال الامام ياعبد الله ماهذه القوم المقبلون فقال له انهم الأسارى الذين مع الكفار فقال له الامام امض اليهم كم يكون عددهم فلابد أن يكون عددهم مائتى فارس فغاب عبد الله وأتى اليه وقال صدقت يا أمير المؤمنين إنهم مائتان (قال الراوى) فركب الامام وركب من معه على خيول القتال وسار نحوهم وإذا بهم سمعوا صوت عمرو بن أمية الضمرى هو ومن معه وهو ماش على الاقدام وإذا نظر اليهم الملاعين ورأوا منهم التأخير يضربوهم ضرباً شديداً وهم ينادون فلم يجابوا ويستغيثون فلا يغاثوا ويقولون فى ندائهم اللهم خلصنا من هؤلاء الملاعين بحقك وبحق رسولك الأمين يارب العالمين هذا ولما سمع ذلك الامام على حمل بمن معه حملة صادقة فلما نظرهم الملاعين قالوا لهم كيف تخلصتم من هذا الطريق التى هى كثيرة الأوعار والأهوال فقال لهم الإمام ياملاعين أما تعلمون أننا حزب رب العالمين وأنصار النبى الأمين وأين ما توجهنا كان لنا معيناً وناصرنا عليكم وسوف ترون مايحل بكم

(قال الراوى) فلما سمعوا من الامام ذلك قالوا له يا ابن أبى طالب خــذ الأسارى الذين لك ودعنا نمضى إلى حال سبيلنا فإن لنا عيالا وأطفالا فقال لهم الامام والله ياملاعين ماتنجون من أيدينا إلا إذا تبرأتم من دينكم وقلتم قولا حقاً خالصاً أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فلما أن سمعوا ذلك حملوا عليه فحمل بمن معه وما نجى منهم إلا ابن رأس الغول دعامة لأنه كان المقدم عليهم فتبعه المسلمون فتلقاهم الملعون ورمى منهم خمس فوارس فلحقه الامام على وضربه بسيفه قطع يده اليمنى وقبض عليه واقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا واطلق الامام أسارى المسلمين وأخذ بهمته من كفر وقال الأسارى تسلموهم

كما كانوا متسلمينكم وأفعل معهم مثل ماكانوا يفعلون معكم فقام عندذلك عمرو بن أمية الضمرى هو ومن معه وتسلموا الأسارى ولم يزل الامام على بهم سائرا إلى أن وصل إلى النبي ﷺ وأعلمه بما جرى من أوله إلى آخره فشكره النبي ﷺ ثم انهم باتوا تلك الليلة إلى الصباح فصلى النبي ﷺ بالصحابة صلاة الافتتاح وأمر باحضار الأسارى فأحضروهم بين يديه فأعرض عليهم الاسلام فقالوا مالنابه حاجة فأمر النبي ﷺ بضرب رقابهم بين الفريقين فأخذوهم وساروا إلى أن نظرتهم كل عين وضربوا رقابهم وماأبقوا منهم باقية وقد أفنوهم عن آخرهم

(قال الراوى) ولما أن نظر رأس الغول إلى ذلك أمر رجاله بالحملة لانه علم أن أولاده أسلموا كلهم وهذا الباضل أخذوه أسير فكادت لذلك روحه أن تخرج من بدنه هذا وقد حملت الطائفتان على بعضهما البعض وكان الامام على فى الميمنة فقلبها على الميسرة وخالد بن الوليد والعرمرم فى الميسرة وباقى الشجعان فى القلب والجناحان هذا وقد اشتد القتال ووقع الضرب بالسيف اليمانى فلله در عمرو بن معدى كرب الزبيدى فانه فعل فيهم فعالا تعجز عنها صناديد الرجال وكذلك المقداد وعمار بن ياسر وعمرو بن أمية الضمرى ولم يزلوا إلى أن ولت المشركون وكان أول من هرب رأس الغول وقتل من المشركون فى تلك الوقعة خمسة عشر الف فارس واثنين وسبعين فارساً وقتل من المسلمين ثلثمائة فارس واستشهدوا إلى رحمة الله تعالى ومازالوا فى هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى الوادى السادس الذى يقال له وادى الزمهرير وقد نزلوا هناك (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر المسلمين فانهم دفنوا موتاهم بملابسهم كما هى عادة الشهداء ولموا الغنيمة والخير الكثير وفازوا بالنصر من الملك القدير ورحلوا وراء الكفار طالبين إلى وادى الزمهرير هذا ولما أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح تقدمت السادات إلى النبي ﷺ وقالوا له يارسول الله قد طالت غربتنا وكلما نقتل قوما من هؤلاء الملاعين يأتون بغيرهم فقال لهم النبي ﷺ ابشروا بالنصر المبين من رب العالمين ثم إنه أمرهم بالركوب فركبوا وطلبوا المشركين وكان بهذا الوادى ولد من أولاد رأس الغول يقال له عركة غير الذى كان مع الاسارى فقام إلى والده وقال له اقسمت عليك ياأبتاه أن تأذن لى بالخروج إلى لقاء هذا العسكر فلا تخالفنى بحق الرب فراش فقال يابنى إنى أخاف أن يقتلوك أو يأسروك ويجور فيك سحرهم فتسلم مثل إخوتك فقال له ياأبى لاتخف فطب نفساً وقر عيناً فلا بد أن أفرق جموعهم فقال له أبوه ياولدى ابرز اليهم فان الرب فراش ناصرك عليهم

(قال الراوى) فركب عركة إلى الميدان وطلب البراز وسأل الإنجاز فخرج اليه فارس شديد وبطل صنديد يقال له حاتم الأشقر وجال معه عركة قدر ساعة وتعلق بمنطقه وأخذه أسيرا وسار به إلى والده وأعطاه إياه ورجع إلى الميدان فنزل له أخوه فأسره ولم يزل يأسر فارساً بعد فارس حتى أسر خمسة وعشرين فرساً من الإسلام ورجع إلى والده فأعجبه ذلك فبغى وتجبر وتمرد فقال له والده قد نصرك الرب فراش عليهم هذا ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح صلى النبي ﷺ صلاة الافتتاح وقال لأصحابه أين عرفجة فقال لبيك يارسول الله فقال من هذا الفارس المعجب بنفسه فقال له هذا عركة بن رأس الغول وهو فارس شديد وبطل صنديد هذا ولما أن سمعت الزلفا ذلك قامت على أقدامها وقالت يارسول الله ائذن لى بالخروج اليه والهجوم عليه فقال لها ابرزى اليه أعانك الله عليه ففى عاجل الحال لبست درعها وركبت جوادها وأخذت آلة حربها ونزلت إلى الميدان وقد أرخت على وجهها لثامها وانطبقت على أخيها وجرى بينهما حرب شديد وطعن أكيد إلى أن جاء وقت الظهر فأقبل عركة إلى الزلفا وقال لها من تكون أنت أيها الفارس من عسكر المسلمين فما رأيت أقوى منك ولولا أنك من فرسان محمد لقلت أنك من أولاد رأس الغول ولكن أقول بحق معبودك الذى تعبده إلا ما كشفت لى عن وجهك وعرفتنى بحسبك ونسبك فعند ذلك كشفت الزلفا عن وجهها فلما نظرها عركة عرف أنها أخته فقال لها يازلفا كيف تركت دين آبائك وأجدادك وشمت بنا الأعداء يازلفا أرجعى إلى دين الرب فراش والجاه الكبير الذى كنت فيه من دين الناس فقالت له هيهات هيهات وحق رب العالمين أنى لم أرجع عن دين الإسلام وأنت ياأخى إذا قبلت نصيحتى فارجع عما أنت فيه من عبادة الأصنام وأدخل فى دين الاسلام.

(قال الراوى) فلما سمع منها ذلك الكلام غضب غضباً شديداً وفى الحال حمل عليها حملة منكرة وضايقها فالوت عنان جوادها وانهزمت من قدامه فتبعها وطمع فيها ولم يعلم أن هزيمتها خداع منها فرجعت اليه وضربته بالسيف فوقع على البيضة والرفادة فقدهما ولولا أنه رمى نفسه إلى الأرض لكانت قسمته نصفين هذا ولما أن وقع إلى الأرض نزلت اليه أقل من لمح البصر وأخذته أسيرا وقادته ذليلا حقيراً ورجعت به إلى أن أوقفته بين يدى النبى ﷺ فأمر باحضار أخيه الذى أسره الإمام على لأنه كان باقياً ولم يقتله فأحضروه وأوقفوا الإثنين بين يدى النبى ﷺ وهما عركة ودعامة فقال لهم النبى ﷺ تريدون القتل من هذه الساعة

أو الإسلام فأطرق الإثنان برؤسهم إلى الأرض فكشف الله عن أبصارهم فرأوا الجنة والنار وعرفوا ما أعد الله للقوم الأبرار فأفاقوا الاثنان وهما ناطقون بالشهادتين وأسلموا إسلاما صحيحاً ففرح النبي ﷺ

(قال الراوى)وأغرب مافى هذه السيرة العجيبة أن النبي ﷺ ظهرت له معجزة عظيمة وهى قيل أن النبي ﷺ أشار إلى يد دعامة التى قطعها الإمام على فردها الله سبحانه وتعالى لوقتها وهو على كل شىء قدير ففرح دعامة بذلك وحمد الله سبحانه وتعالى وثبت إيمانه .

(قال الراوى)واما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فانه لما أن علم أن أولاده قد خرجوا من يده كادت أن تنشق مرارته من كبده وكان له ولد يقال له جلاجل وقيل أن جلاجل هو الذى أسلم مع أخيه عركة ودعامة هو الذى باق من أولاد رأس الغول فقال له ياولدى مابقى من أولادى سواك فارحم شيبتى وكبرى واحفظ هذا الوادى فانى سائر بأموالى إلى هذه القبائل وابذل هذه الأموال للعرب واستعين بها على خلاص أولادى من محمد وابن عمه فقال سمعاً وطاعة ياأبى ثم ان اللعين رأس الغول ترك ولده فى الرجال وأخذ ماله وبصحبته أربعين فارساً إلى بنى عقال وأجزل لهم العطا وبكى فرحموه وأمدوه بثلاثة آلاف فارس فأخذهم وسار بهم على القبائل حتى كملت جنوده أربعين الف فارس فسار بهم وهو يكمن بالنهار ويسير بالليل حتى قارب الوادى الذى فيه دعامة وأرسل له قاصداً يعلمه بما جرى له من جميع العساكر وإنه قد انفق عليهم الأموال التى كانت معه فلما حضر الكتاب إلى ولده دعامة أرسل له القاصد وهو يقول انظرنى إلى الليل لانى اخاف أن أسير اليك بالنهار فيكسرون المسلمين العساكر هذا ولما أقبلت العشاء الأخيرة ركب دعامة وسار إلى أن التقى بوالده فقال له ياولدى إنى أريد ان أدبر حيلة وامنع مكيدة فى محمد وأصحابه وهو أنى قد جئت بعسكر كثيرة وهم مكمنون فى الوادى ومايشعر بهم أحد من الاسلام وقصدى أن أبعث لمحمد رسولا هو وابن عمه وأقول له انى أريد ان أدخل فى دينكم فبذلك ينخدعون ويبطلون القتال وأصبر أنا إلى الليل وأسير اليهم بالعسكر الذين هم مكمنون وأفنى عساكر المسلمين وقد فرغنا منهم وينصرنا الرب فراش عليهم فقال له ولده هذا هو الصواب والرأى الذى لايعاب ثم ان اللعين من لطف الله تعالى أمر باحضار وزيره وورد عليه المشورة فأظهر الفرح وقال له تبا لك أيها الملك ان هذا الرأى رأى سديد وبهذا الرأى تبلغ كل ماتريد فقال له اللعين اكتب لهم كتابا واعرضه

إلى فكتب الوزير كتاباً يقول فيه من البطل المهول والفارس الجسور الملك رأس الغول إلى النبي محمد أما بعد فاننا قاتلنا كم وقاتلتمونا وقد جرى بيننا وبينكم ماقد جرى والآن فقد ظهر لنا الحق وبان لنا الصدق ونريد منك أن تكشف عنا الحروب إلى ان نجمع قومنا ونشاورهم فى أمر الاسلام وندخل فى دينكم بأجمعنا ونقر بالوحدانية لله ولك بالرسالة وقرأ الكتاب على رأس الغول فأعجبه وطواه وناوله إلى أحد عبيده فقال له الوزير إرسل اليه ابن عمك ليكون ذلك شرفاً لك عنده وادعى فى الحال بابن عمه وقال له سر فى الحال إلى محمد بهذا الكتاب وائتنى من عنده برد الجواب فعند ذلك ركب المرسال ناقة وأراد المسير وإذا بالوزير يقول ياصارح قل لمحمد يقول لك وزير الملك صالحنا وانظر إلى الابيات التى قالها الجحاف فلما أن سار الرجل ودخل وقال له ذلك الكلام ثم إنه أعطى الكتاب إلى الامام على رضى الله عنه وفرده وقرأه وعرف رموزه ومعناه قال للنبي يارسول الله يقول لك الوزير صالحنا على الأبيات الذى قالها الجحاف فأمر النبي ﷺ الامام علياً أن يرد لهم الجواب يقول فيه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عند رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب إلى مخارق عدو الملك الخلاق أما ماذكرته من كف الحرب وإنكم تصالحونا وتسلم لله رب العالمين فقد أجبناكم إلى سؤالكم فتكونوا من الصالحين وإن خالفتم فلا عدوان إلا على الظالمين وطوى الكتاب وأعطاه للقاصد فأخذه وطلع من عنده قاصداً إلى عدو الله رأس الغول

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر النبي ﷺ فإنه قال لاصحابه من فيكم يعرف الأبيات التى قالها الجحاف فقام اليه حسان بن ثابت الانصارى وقال يارسول الله انا أعرفها وانشد وجعل يقول

يانائماً بطول الليل مسروراً إن الحوادث تطرق أهلها سحرا
لاتغررن بليل طاب أوله فعند آخره قد يوقد الشررا
تنام ليلك لاتأمن غوائله ستعلم الليل فيه عاقب الكدرا
كم نائماً علته الاكدار جميعها بطارق الشر فيه الليل قد غرقا

(قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ هذه الابيات قال أن الغدر بين أعينهم ولذلك يحذرنا الوزير وإنى أقول والله من ورائهم محيط ثم أن النبى ﷺ أمر القوم ان لايناموا ويوقدوا النيران عند أبواب الخيام ولايقعدون فى خيامهم

بل يكونوا بأسلحتهم ويكمن كل منهم بعيداً عن خيمته ويكون كل منهم حسامه مجذوب وهو يقظان فاذا رأيتموهم قدهجموا عليكم وقصدوا الخيام فيلوا عليهم ميلة واحدة واسقوهم كأس الحمام وتكونون أنتم الجميع عليكم ثياب بيض لأجل أن تعرفوا بعضكم والله يعطى النصر لمن يشاء فقالوا له السمع والطاعة هذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فانه لما ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار أمر عساكره بالركوب فركبت وإلى نحو المسلمين عولت ونظر رأس الغول يميناً ويسار فلم يجد لهما حساً ولا خبر آفظن أنه بلغ المقصود وهم كلهم رقود فمال بعساكره إلى الخيام وهجم عليها فلم يجد فيها أحدا وكذلك كل من كان معه فوقع الرعب فى قلبه وأراد أن يرجع إلى ورائه وإذا بالإسلام عليهم قد خرجت وإلى نحوهم تبادرت ووقع فى عسكره الفنى وصاروا يضربون بعضهم بعضاً ولم يزالوا كذلك إلى أن برق ضياء الفجر وإذا باللعين رأس الغول التقى بالمقداد بن الأسود فضربه جرحه جرحا بليغاً وانهزم المقداد وهو يئن من ألم الجرح وبعد ذلك تأخرت الكافرون إلى ورائها وقتل منهم فى هذه الليلة عشرون ألف فارس كرار فلما نظر اللعين رأس الغول إلى ذلك لطم على وجهه وقال لا شك أن مكرنا عائد لنا ولكن أن فيهم من يأتى الينا ويأخذ اخبارنا ويرسلها اليهم ولولا ذلك لكنا غلبناهم وأهلكناهم وهم نائمون فقالوا له أكابر قومه أيها الملك أن محمداً ساعدته الأيام فما قاتل عسكر إلا وغلبها ولا برزله جيوش إلا وأهلكها وان الجرل مافيه فائدة والرأى عندنا أننا نرحل من هنا إلى الحصن الذى هو باق من أرضنا ونحصنه بالمنجنيقات والخنادق ونحامى على أولادنا وحريمنا وإذا فرغ النهار وأقبل الليل بالاعتكار نوقد النيران ونسير وندخل الحصون من غير ضجة ولا صياح ويكون دخولنا جماعة بعد جماعة فقالوا له السمع والطاعة

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الوزير عبد الله فانه لما سمع هذا الخبر ادعى بعبده وقال له ياسعيد سر من وقتك وساعتك إلى حبيبنا ﷺ وقل له أن المشركين قد عولوا على الهرب إلى وادى الحصون وهو الوادى السابع ويريدون أن يحاصرونكم فى الحصن الكبير وإذا فعلوا ذلك طال الأمر على المسلمين وإن أردت انجاز ذلك الأمر فأرسل اليه مائة فارس من رجالك وهو يخالطهم فى عسكر الكفار واسأل الله تعالى أن يهون علينا أمر عسير

(قال الراوى) فقال له العبد السمع والطاعة ثم أنه سار من تلك الساعة إلى أن وصل إلى النبى ﷺ وأخبره بما جرى من ذلك الأمر المحكم بعد أن قبل يده الشريفة

فلما أن سمع النبي ﷺ ذلك الكلام ادعا بالإمام على وعمرو بن معدى كرب الزبيدى والزبير بن العوام والملك العرمرم وباقى المائة فارس وأمرهم بالركوب فركبوا وساروا صحبة سعيد العبد ومازالوا فى البر سائرين حتى قاربوا المشركين وعرج بهم العبد على طريق سيده وأعلمه بقدومهم فركب الوزير جواده وخرج اليهم وترجل عن جواده وسلم عليهم وسلموا عليه وأخذهم إلى ان أتى بهم إلى مغارة بعيدة عن القوم فأنزلهم فيها وأمر بإحضار الطعام والشراب اليهم والبسهم ملابساً كان أعدها لهم فصاروا بتلك الملابس كأنهم من عساكر الروم ثم انهم اقاموا بتلك المغارة إلى أن تنصف النهار وإذا باللعين دعامة بن رأس الغول مقبل من البر فنظر اليه الوزير وعرفه فقال ياأمير المؤمنين قال نعم قال اتدرى من هذا الفارس المقبل علينا قال لافقال هذا دعامة بن رأس الغول فدونك وإياه وأنا فى تلك المغارة مختف وأما الذى وراءه فهو عبد له يقال له دعومة

(قال الراوى) فلما أن سمع الإمام كلامه ركب جواده وسار طالباً دعامة بن رأس الغول هذا ولما أن رأى دعامة إلى ذلك قال لعبده امض وائتنى بخبر هذا الفارس فانطلق العبد إلى الامام وصاح عليه وقال له من أنت قال له الامام أنا فالق الجماجم بحد الصوارم أنا البطل الغضنفر انا الموت الأحمر أنا مبيد كسرى وقيصر أنا المسلط على من كفر أنا مظهر العجائب أنا ليث بنى غالب أنا على بن طالب

(قال الراوى) فلما سمع العبد من الامام ذلك ولى هارباً وأتى إلى سيده دعامة واخبره بذلك فقال له ارجع اليه وائتنى به أسيراً أوقتيلا فقال له هذا سيد جميع قومه ولايخرج اليه إلا سيد مثله لأنك ياسيدى من الرجال الصناديد وفارس مذكور واحمل عليه وأنت يبقى لك بذلك الفخر والتعظيم وأما أنا فكما من غلب صاحبه كنت له كل هذا والإمام يسمع كلامه والعبد يضحك عليه

(قال الراوى) فلما سمع دعامة من عبده ذلك الكلام أعجبته نفسه ونفخ الشيطان فى اذنه وهمز جواده حتى بقى عند الامام على وناداه ياابن أبى طالب لقد زال حظك ولانفعتك حيلتك ولامكرك وأوقعك الرب فراش فى يدخصمك وها أنت الآن فى وسط الجبال ولايبقى ينفعك لاخندق ولا خيام وأنا فارقتك فى عسكرى بالأمس فجئت إلى فى هذا المكان فأنا أقول أن هـــذا سحر مبين

(قال الراوى) فلما سمع الامام على ذلك منه قال له والله انت الذى القيت نفسك إلى شرب كأس الحمام وإنى أريد أن تخير نفسك فى هذا المقام فأما أن تسلم وتدخل فى دين الإسلام واما أرمى رقبتك بهذا الحسام فلما سمع الملعون دعامة ذلك

الكلام هجم على الإمام فى الحال ومد اليه الرمح بالسنان وإذا بالإمام على قبض على رمحه بيده واتكأ عليه قسمه نصفين وضربه الامام على بالحسام على جواده فكسر قوائمه ووقع اللعين على الأرض كأنه الجذع المديد فصاح اللعين وقال له ياإمام الأبطال وسيد جميع الرجال ماهذه الفعال واى شىء كان ذنب هذا الجواد حتى انك تركته ممدوداً فى المهاد وأيضا فانك كسرت رمحى وبأى شىء أنا بقيت اقاتلك فعند ذلك قال له الامام ها انا نزلت من على جوادى ورميت رمحى من يدى وبقيت راجلا مثلك فدونك والقتال كما تريد

(قال الراوى) فلما سمع اللعين من الامام على ذلك الكلام قام فى الحال على الأقدام وهجم على الامام وحملا على بعضهما وتصادما وإذا بالعبد ينادى سيده ويقول له يامولاى أرنى الآن حملاتك واهجم على الامام وخذه اسيراً من غير كلام

(قال الراوى) فلما سمع الامام كلام العبد اغتاظ وقد ميل إلى الأرض وأخذ بيده اليسرى حجراً محرقاً وضرب به العبد ضربة شجاع فوقعت الضربة فى رأس العبد فخرقتها وغاص الحجر فى رأسه فوقع على الأرض ميتاً من وقته وساعته كل ذلك والامام مع دعامة فى الصدام

(قال الراوى) فلما نظر اللعين دعامة إلى عبده وهو قتيل وقع فى قلبه الخوف وأراد أن يولى هارباً وإذا بالإمام على هجم عليه وقبضه من شعر رأسه وأخذه أسيراً ذليلا وسلمه لعبد الله بن أنيس وقال له احفظ هذا اللعين فقال له السمع والطاعة وكان السبب فى مجىء دعامة فى هذا المكان هو أن العبد سعيد عبد الوزير دخل على دعامة وقال له ياسيدى أن مولاى قد رأى شيئاً وأرسلنى وأعلمك به سراً فقام معه دعامة بعيداً عن الرجال فقال له اعلم أن على بن أبى طالب قد سار بمفرده فى مكان كذا وكذا وأن سيدى يقول لك اركب اليه وخذ روحه من بين جنبيه لانه يعرف أنك شجاع وقرم مناع ثم أن اللعين دعامة دخل على والده رأس الغول وأخبره بما جرى من الامور وقال له إنى أريد أن أسير اليه وآخذه قتيلا او أسيراً فاذا أنا فعلت ذلك انكسرت شوكة المسلمين وربما يكون الرب فراش ساقه الينا فى مثل هذا المكان الوعر ليقضى ماهو قاض فقال له من الذى أعلمك به فقال له أن الوزير قد أرسل الينا عبده

(قال الراوى) فلما سمع أبوه ذلك فرح فرحا شديداً وقال له سر اليه نصرك الرب فراش عليه ولكن إنى أخاف عليك منه فخذ لك خمسة آلاف فارس وامض أنت أمامهم وهم يكونون على أثرك لانى أعرف أنك شجاع وقرم مناع فارس

كرار لا يصطلى له بنـــار فقال له ولده دعامة السمع والطاعة ثم أن اللعين أخذ القوم الذين قال له والده عليهم وسار هو قدامهم حتى التقى بالامام كما وصفنا وتقاتلا هو وإياه وأسره وقتل عبده كما شرحنا

(قال الراوى) وكان ذلك كله من الله ثم من العبد سعيد لأنه كان يريد فناء هؤلاء الملاعين ولم يعرف أن الامام علياً كفؤاً لمن فى الأرض هو ومن معه وأن هذا العبد قال فى نفسه إذا الامام قتل دعامة أو أسره يكون ذلك رغم أنف لهذا اللعين هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الخمسة آلاف فارس فانهم سائرون إلى أن وصلوا إلى ابن ملكهم فرأوه قد أخذه الامام أسيرا وبقى ذليلا حقيراً فلما رأوا ذلك حملوا حملة منكرة على الامام بأجمعهم فتلقاهم الامام بقلب قوى وحمل فيهم حملة منكرة فلما رأوا المسلمون أن الفرسان قد وصلت إلى الامام فحملوا كلهم وأحاطوا باللئام وقد أشبعوهم طعناً وضرباً ولم تكن إلا ساعة حتى افنوهم المسلمون عن آخرهم وأرادوا أن يصيحوا بالتكبير والتهليل فمنعهم من ذلك الوزير وكان فى ذلك اعظم تدبير فالموا أسلابهم وأعطوهم إلى بعض رجالهم وقال لهم الامام سيروا من ههنا إلى أن تسلموا هذه الأسلاب والأموال إلى المسلمين فقالوا له السمع والطاعة وساروا بخيول القتلا وأمتعتهم إلى أن وصلوا إلى المسلمين هذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول فانه بعد أن أخذ ولده وقع الرعب فى قلبه والخوف على ولده دعامة فالتفت للحاجب الكبير وقال له سر إلى المحل الفلانى وائتنى بخبر ولدى وفرسانى فأجابه الحاجب بالسمع والطاعة وسار إلى أن وصل إلى مكان المعركة فوجد القتلى فيها مرمية ولم ير للإســـلام آثار ولا أخبار لانهم كما ذكرنا مكمنون فى المغارة فركب هذا الحاجب وهو على وجهه لاطم إلى أن وصل إلى عدو الله رأس الغول ووقف بين يديه وأخبره بذلك الأمر وقال قتلت الفرسان وأخذت الغنائم وهلك دعامة ولم أر فى ذلك المكان الذى عينته لى إلا القتلى ولم أرى للمسلمين هناك خبراً

(قال الراوى) فلما سمع اللعين عدو الله ذلك الكلام طار عقله من رأسه ولطم على وجهه وركب من وقته وساعته فى نصف رجاله ومازال سائر إلى أن وصل إلى مكان المعمعة فرأى القتلى ملقحين على الارض وملطخة بالدماء وجوههم فقال مافعل هذا برجالى وقتل ولدى إلا على بن أبى طالب ثم انه أمر رجاله أن

قدوروا على دعامة فى وسط القتلى فدوروا الرجال فلم يجدوه ولا وقعوا له على أثر فازداد غضب اللعين فاقام فى هذا المكان هو ورجاله .

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من المسلمين الذين ساروا بالاسلاب والغنائم فازالوا سائرين إلى ان وصلوا إلى المسلمين وكان المقدم عليهم عبد الله بن أنيس فتقدم إلى النبى ﷺ وقبل يده الشريفة وسلمه دعامة وأخبره بما قد جرى فى تلك الوقعة فقام النبى ﷺ وأعرض على دعامة الإسلام فأبى فأراد ان يقتله فتقدم أخوه المقلقل إلى النبى ﷺ وقال له يارسول الله اعطنى إياه وأنا لم أزل به لعل الله يهديه للإسلام فاشار له النبى ﷺ أن يأخذه فأخذه مقلقل إلى خيمته فبات تلك الليلة وهو يحذره ويخوفه من عذاب النار فلم يلين قلبه إلى ان مضت مدة ثلاثة أيام وهو لايزداد إلا كفراً وعناداً فللأمر المقدر من الله تعالى لأن لكل موتة سبب من الأسباب وذلك أن مقلقل غلب عليه سنة من النوم فنام بجنب أخيه إلى أن علا غطيطه فقام دعامة بعيداً عن الخيمة ورجع إلى أخيه فوجده غارق فى نومه فسل خنجره من حزامه وقطع به رأس أخيه المقلقل وهو ناطق بالشهادتين وخرجت روحه إلى الجنة وسار منه رائحة تفوق المسك الأزفر ثم أن دعامة اللعين خرج من الخيمة وركب جواداً من خيول المسلمين وسار طالب أباه عدو الله رأس الغول حتى وصل اليه فقام له اللعين وأخذه بين أحضانه وسلم عليه وسأله عن حاله وعن سبب ماجرى له فاخبره اللعين دعامة بكل ماجرى وكيف أنهم عرضوا عليه الاسلام ثلاثة أيام متواليات وكيف عصى وكيف أنه قتل أخاه وهو نائم ثم أن اللعين دعامة أخبر أباه بالقصة من أولها إلى آخرها .

فلما سمع اللعين عدو الله ذلك كادت روحه أن تزهق من بدنه ثم قال لولده سر أنت ياولدى إلى الحصن الكبير وحصنه واجعل على البرج عشره رجال من الصناديد لانى كثير الخوف من محمد واصحابه وافتح أنت ياولدى الخزائن واجمع الرجال وفرق الاموال وها أنا سائر على أثرك فلما سمع اللعين دعامة من والده ذلك الكلام قال له السمع والطاعة ثم أنه سار من تلك الساعة وأخذ معه ثمانين فارساً وارتحل بهم إلى الحصن الكبير الذى هو الوادى السابع هذا ما كان من أمر هؤلاء .

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر النبى ﷺ فانه لما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بكوكبه ولاح صلى النبى ﷺ بالصحابة صلاة الافتتاح وطلعت الشمس

على البطاح وسلمت على زين النبيين الملاح فقال النبي ﷺ انى أرى رائحة تفوق المسك فأين عركمة ابن رأس الغول فقال لبيك يارسول الله فقال النبي ﷺ امض إلى خيمة أخاك المقلقل واكشف لنا الخبر فمضى عركمة كما أمره النبي ﷺ إلى خيمة المقلقل فوجده قد قتل ومات وانقضت ايامه ووجد اللعين دعامة قد هرب ثم انه نظر وإذا به يرى عامود آ من النور يضيء كالمصباح على أخيه المقلقل فعند ذلك صاح وا أخاه واحبيباه ثم أنه رجع فى الحال إلى النبي ﷺ وأخبره بالخبر فعظم ذلك عليه وكبر ذلك الأمر اليه وفى الحال أشار لهم بدفنه بملابسه لأنه شهيد آ ففعلوا امابه أشار ثم أن النبي ﷺ أشار إلى المسلمين بالمسير فركبوا وساروا طالبين الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه هو والمقدمين الذين معه وعبد الله ابن أنيس سائر آقدامهم وهو يدل بهم إلى ان وصلوا إلى المغارة فلما رأوى المسلمين الذين مع الامام النبي ﷺ وقد أقبل هو والمسلمين وهم قاصدون المغاره خرجوا اليه وسلموا عليه وساروا جميعهم طالبين الحصن الكبير والوادى السابع الذى سار إليه عدو الله رأس الغول ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إليه وأحاطوا به كما يحتاط النيل بالبلاد ثم ان النبي ﷺ نظر إلى الحصن فرآه مغلقاً ومحصناً فقال عليه الصلاة والسلام كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان اللعين رأس الغول قد دخل فى على ولده وغلق الأبواب واكمن اللعين فى الحصن برجاله وأبطاله هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر النبي ﷺ فقال للمسلمين إنى أريد ان عشرة منكم يحتالون على الأبواب ويفتحون باب الحصن فقال الامام على أنا يارسول الله من العشرة ثم ان الإمام علياً أخذ المقداد وكان قد طاب جرحه الذى جرحه له اللعين رأس الغول وخالد بن لوليد وعمرو بن أمية الضمرى وعبد الله بن أنيس والزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقدم طلحة والعباس بن مرادس السلمى وميسرة بن مسروق العبسى وعمار بن ياسر رضى الله عنهم أجمعين وسار بهم إلى ان توسط الوادى السابع ووقفوا وهم لايدرون بأى حيلة يفتحون بها باب الحصن .

(قال الراوى) وإذا بسبعين جملا محملين وسائرين إلى نحو رأس الغول وعليهم طعام ودقيق وغير ذلك فقال الامام على رضى الله عنه وكرم وجهه لمن معه يامعاشر المسلمين قفوا مكانكم لعلى أن اتحايل وادخل مع الجمال وأصعد على الحصن الذى من جهتكم واطلعكم فيه فقالوا له سر بلغك الله كل الآمال فسار الامام وسار

معه عبد الله بن أنيس وقد حزموا أواسطهم بالحبال وساروا فى أثر الجمال هذا وقد أقبل الامام على شجره عظيمة فصعد الإمام على أعلاها وصبر إلى أن جازت عليه الجمال وعبد الله واقف خلف الشجرة إلى ان جاء آخر جمل وإذا عليه هودج ما فيه أحد فلما نظره الامام تعلق بأطراف الشجرء وألقى نفسه إلى الهودج فصار من داخله وكان عبد الله بن أنيس مثل الجمال فانقض من خلف الشجرة وقطع زمام البعير وأخذ بيده ولم يزالوا الجمالون سائرين إلى ان وصلوا إلى باب الحصن ودقوا الباب فقالوا لهم الحراس من أنتم فقالوا لهم نحن جمالون للوزير وقد أتينا بحريمه وماله وهو يريد أن يدخل بحريمه إلى ذلك الحصن حتى يأمن على نفسه وحريمه من المسلمين .

(قال الراوى) فلما سمع البوابون ذلك فتحوا لهم وأناخوا جمالهم بعد ان دخلوا وكان ذلك بتدبير عبد الله الوزير رحمه الله تعالى فلما أن توسطوا الحصن قال لهم رجل من المشركين من أنتم فقالوا له نحن رجال الوزير نريد مقابلة الملك الهمام فقال لهم أن الملك مشغول فى تحصين الأسوار فقال له عبد الله نريد أن نعلمه بما قاله الوزير وننظر إن كان حضر أم لا فقال له الرجل أما من خصوص الوزير فقد أتى إلى ههنا من أمس وأخبرنا بجيشكم ولولا ذلك ما كنا فتحنا لكم الباب (قال الراوى) فلما سمعوا من الرجل ذلك الكلام قالوا للرجل نريد أن نسير إلى الوزير ونعلمه بأن الجمالين قد حضروا قال لهم السمع والطاعة ثم أن الرجل مضى إلى الوزير وأعلمه بالحال فنهض من وقته وساعته إلى أن صار عندهم وقد صرف الغلمان وسلم على الامام وعلى عبد الله ابن أنيس وقبلوا بعضهما بعضاً وقال الامام على للوزير يا عبد الله قال له نعم يا أمير المؤمنين فقال له أين دعامة اللعين فقال له ها هو فى البرج الكبير فقم معى وانا أريك إياه فقام الامام على وعبد الله بن أنيس وصعدوا إلى الأسوار وأقبل الامام على إلى البرج الذى جهة الوادى وكان الوزير صرف من كان فيه من الرجال وقال لهم امضوا إلى البرج الكبير وساعدوا الملك على تحصينه فانه يدعوكم اليه فانصرفوا ولما اقبل الامام فك الحبل الذى على وسطه هو وعبد الله ودلوه من ذلك السور فنظروه الصحابة فعلموا ان الامام وصل إلى هناك فتعلقوا فى ذلك الحبل واحد بعد واحد إلى أن صعدوا الجميع وصاروا داخل الحصن هذا ما كان من أمر هؤلاء .

(قال الراوى) وأما كان من الوزير فانه قال للامام إنى سائر إلى دعامة فقال له الامام سر اليه وفقك الله لطاعته فسار الوزير عبد الله إلى ان وصل إلى اللعين

دعامة فوجده نائما فأيقظه وقال له قم أيها البطل الهمام فما هذا وقت نوم فقام دعامة فازعا وقال مابالك أيها الوزير فقال له انى أريد ان أسير معك ونطوف حول الحصن من فوقه ومن اسفله وتوصى الرجال باليقظة وعدم النوم وبعد ذلك ندخل إلى الحصن الذى فى البرج الأول ونغلقه علينا ونستريح فيه إلى الصباح

(قال الراوى) فلما سمع دعامة من الوزير ذلك الكلام قال له لقد اشرت على بالصواب ثم قام مع الوزير وطافوا على الحراس وامرهم بعدم النوم وساروا بعد ذلك إلى البرج الأول ودخلوا من بابه وقال الوزير لدعامة اغلق الباب واحفظ غلقه لانى خائف من على ابن ابى طالب ربما يكون من داخل حصننا فيتحايل على الأبواب ويفتحها ويهلكنا عن آخرنا فقال له دعامة ايها الوزير أعلم انه لو قام على بن ابى طالب باقى الشهر والأعوام وهو على حصننا فلم ينل منا مراده لان أبوابنا محكمة وحصوننا مانعة فلا تخف ولم يزالوا صاعدين إلى ان توسطوا قلب البرج وإذا بالامام على قد خرج عليهم وقال لهم قد أرماكم الله فى أيدينا والآن مابقى لكم مناخلاص إلا ان تقروا بكلمة الإخلاص فقال له الوزير ويلك يا ابن ابى طالب من اين ومن الذى اتى بك فقال له الامام على ويلك ماتقول فى دين الإسلام أنت وهذا الشيطان فقال كيف يسلم الملك دعامة ويخرج عن عبادة الأصنام فعند ذلك صاح الامام فى اللعين دعامة وضربه ضربة هاشمية فوقع السيف على عاتقه اخرجة يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار

(قال الراوى) هذا ما كان من أمر اللعين وأما ما كان من أمر الوزير فأنه خرج وجمع اكابر قومه وأهله وأقاربه وقال لهم ياقوم اعلموا أن الامام على بن أبى طالب قد دخل فى حصننا وقتل دعامة ولدرأس الغول ثم انه اخرج لهم الرأس فقالوا له وما الذى تريد منا فقال لهم الوزير أريد منكم ان تؤمنوا بربكم الذى لاإله إلا هو وتشهدوا ان محمداً رسول الله ﷺ نبيكم فلما سمعوا منه قومه ذلك الكلام قالوا له سمعاً وطاعة فأخذهم وسار بهم إلى الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه واسلموا كلهم على يد الامام على رضى الله عنه ثم بعد ذلك قال لهم الوزير اكتموا اسلامكم ولاتمكنوا أحدا من الدخول إلى الحصن وإذا أتوا الينا اعداء نضع كلنا السيوف فيهم ونقتلهم عن آخرهم فقالوا له سمعاً وطاعة هذا ما كان من أمر هؤلاء وماجرى لهم .

(قال الراوى) هذا ماجرى وأما ما كان من أمر اللعين رأس الغول الكلب المهول فانه لما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس

على البطاح وسلمت على زين النبيين الملاح وركب اللعين رأس الغول على جواد من الخيل الجياد وفتح باب الحصن وهو لا يعلم بما جرى له على والده دعامة واسلام اهل الحصن كلهم هذا وقد وقف فى الميدان ونادى وقال ياعصبة الإسلام وجماعة محمد الساحر اعلموا انى انا الملك الهمام صاحب الرايات والاعلام اخرجوا الآن إلى حربى ونزالى فلما سمع الإسلام كلام عدو الله اللعين مخارق عدو الرب الخالق ذلك خرج اليه رجل فارس مشهور من بنى مخزوم فقتله اللعين والثانى جندله ولم يزل يقتل فارسا بعد فارس إلى أن قتل من المسلمين عشرين فارساً وبعد ذلك نادى برفيع من صوته يامحمد اين ابطالك وشجعانك أين فارسك وابن عمك على بن ابى طالب الفارس الغالب اين عمرو بن معدى كرب الزبيدى اين المقداد ابن الأسود اين الملك العرمرم اين خالد بن الوليد فان لم تخرجوا إلى من الفرسان الذى ذكرتهم وإلا هجمت عليكم بأجمعكم .

(قال الراوى) فلما سمع النبى ﷺ ذلك الكلام من اللعين رأس الغول الكلب المهول غضب غضباً شديداً ماعليه من مزيد ودعا بعمرو بن معدى كرب الزبيدى وقال ياعمرو قال لبيك يارسول الله قال له أخرج إلى هذا الملعون أعانك الله عليه فقال عمرو السمع والطاعة ثم سار وركب جواده الخطاف وتقلد بعد ذلك بسيفه وعدة جلاده وسار إلى ان قارب اللعين رأس الغول فقال له اللعين من تكون انت ايها الفارس المغرور بنفسه فقال له الأمير عمرو أنا قاطع رأسك وخامد أنفاسك انا فارس اليمن وصنعاء وعدن انا عمرو بن معدى كرب الزبيدى (قال الراوى) فلما سمع اللعين رأس الغول ذلك الكلام من عمرو بن معدى كرب الزبيدى حمل عليه فتلقاه عمرو بقلب شديد وجنان أقوى من الحديد ثم انهم تقاتلا من طلوع الشمس إلى الزوال والأمير عمرو قد ضايقه وأراد ان يأخذه اسيراً فعاينوا ذلك المشركون فأدركوا منكهم ومنعوا الامير عمرو من الوصول اليه وحالوا بينه وبين عدو الله رأس الغول وقد دخل قلبه الخوف والفزع ودخل على صنمه وشكى له حاله وسجد له من دون الله تعالى فتحرك الصنم وقال له لا تخف فإنى ناصرك عليهم فلا تخش بأسهم ففرح اللعين بذلك وذهب ما كان قد اعتراه من الخوف والفزع ثم انه سار إلى ان وصل إلى عند الحصن الذى فيه الامام ومن معه من المسلمين ودق الباب فقالوا له الحراس من تكون فقال لهم انا رأس الغول ففتحوا له الباب فدخل وإذا به يرى الامام عليا وصحبته عشرة من

الرجال الكرام فلما رآه قال له من أنت أيها الفارس فقام إليه فى ساعة الحال وقال له أنا البلاء النازل أنا الموت العاجل أنا الشجاع القاتل ليث بنى غالب أنا قاطع رأسك أنا خامد أنفاسك أنا ممزق الكتائب أنا فارس المشارق والمغارب وأنا شجاع بنى غالب مظهر العجائب أنا الأسد المظارب أنا الإمام على ابن أبى طالب فاعلم ياعدو الله ان كل من كان هنا من سادات قومك قد أساءوا وأمرهم إلى ربهم سلموا فإن طاوعتنى واسلمت سلمت من يدى وإن لم تطعنى فما لك من يدى خلاص

(قال الراوى) فلما سمع عدو الله رأس الغول ذلك الكلام وقع الخوف فى قلبه ومابقى يعرف أين يمضى ولا رد على الإمام على رضى الله عنه جواباً ولا أبدى له خطاباً وأراد أن يرجع إلى مكانه الذى جاء منه فقال له الإمام إلى أين ياعدو الله تنجوا من سيفى ومابقى لك خلاص منى ثم أن الإمام علياً رضى الله عنه حمل على اللعين حملة الغضب فتقاتلا وتصادما وتضاربا ضربا يقصر الأعمار وقد رأى عدو الله من الإمام ضربات زائدة وهمات غير متبادرة وحرباً لم ير مثله قط فى طول حياته فضربه اللعين أربعين ضربة بالسيف والإمام يردها بقوة ساعده هذا وقد بان من عدو الله التقصير فزعق عليه الإمام زعقة دهشه وبها خبله وحيره فى أمره وقد أعمى الله بصره ثم ضربه الإمام على ضربة واحدة قوية هاشمية أحوجه إلى غيرها بل أن السيف وقع على رأس اللعين فشقها وهوى فى جسمه إلى أن جعله نصفين وركه على الأرض شطرتين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار

(قال الراوى) ثم ان الإمام علياً رضى الله عنه أمر بتعليقه على باب الحصن فعلقوه وقد قال الإمام لعبد الله بن أنيس أمض وافتح باب الحصن وأدخل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وبشره بفتح باب الحصن وقتل رأس الغول وولده فقال السمع والطاعة .

(قال الراوى) سار عبد الله إلى النبى ﷺ واخبره بذلك فهلل وكبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه الثناء الجميل اللائق بجمال عظمته سبحانه وتعالى وأمر الرجال بالحملة فحملوا على المشركين حملة صادقة ووضعوا فيهم السيوف الماحقة قدر ساعة زمانية فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وساروا طالبين الحصن هاربين من المسلمين فخرج عليهم الإمام بمن معه فقالوا الأمان الأمان فسار الإمام بإسلام من دخل الحصن والنبى ﷺ من خارجه هذا وقد قال الأمان لكم الآن ياملاعين إلا أن تؤمنوا بالله رب العالمين فمن أسلم منكم سلم ومن جحد ندم

وقد أخذوهم على السيوف وأسقوهم كاس المنون وأيد الله الإسلام بتوحيد الملك العلام وقال هـــذه ببركة النبي عليه الصلاة والسلام لأنه مؤيد منصور من ربه العليم القدير

هذا وقد جمعوا الأموال والغنائم وقلبوا تلك الديار كلها اسلاما وساروا يعبدون الملك العلام وقد قسم النبي ﷺ الأموال بوقته على الرجال بعد أن اخرج الخمس إلى بيت المال وقد أحضروا الوزير وشكره النبي ﷺ على إسلامه وفعاله خيراً ودعى له وبشره بالجنة وأقامه على تلك الأراضى حاكما الإسلام والإيمان وشرائع الدين وأوصاه بالتقوى وأمر بهدم الكنائس وبناء المساجد فهدموها وبنوا بدلها مساجد وأمره أن يعلم الناس الذين اسلموا الصلاة والعبادات وأن يقيموا شرائع الإسلام فأجابوه كلهم بالسمع والطاعة وساروا من أصحاب الرسول ومن أتباعه

ثم أن النبي صلى الله عليـــه وسلم قال لأولاد رأس الغول الذين اسلموا أنا اريد أن تكونوا معي اينما كنت فقالوا له يارسول الله مالنا قلب يفارقك ونحن الجميع تحت أمرك ورفقائك واصحابك ومطيعون لك وقتلاء النظر إلى وجهك الكريم جزاهم الله سبحانه وتعالى خيراً على مقالهم ثم أنهم أخذوا مالهم وعيالهم وقد اسلموا جميعاً وساروا طالبين المدينة فلما وصل النبي ﷺ المدينة نشروا الزايات ونالوا من الله الفرح والسرور وخرجوا الناس إلى لقائه واستقبلوه وهنوه بالسلامة ونادوا اصحاب رسول الله ﷺ بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير والسراج المنير وقدجمع الله شملهم بأربهم وأهلهم ونالوا من الله السعادات وكل المسرات ونسأل الله العظيم العفو عن كل ذنب ذميم آمين

{ تم بحمد الله }

